

مقالات العشرية الحمراء

مقالات وحوارات وتقارير صحفية
كُتبت خلال العقْد الدموي السوري

أحمد دعدوش

مكتبة الأسرة العربية ®
نحو أسرة عربية واعية ..



مقالات العشرية الحمراء


MAKALAT
Al uşriya al hamraa
Ahmet Dadouş
1. BASKI: İSTANBUL
2023 - 1444

مقالات العشرية الحمراء

مقالات وحوارات وتقارير صحفية

كُتبت خلال العقْد الدموي السوري

أحمد دعدوش



مقــــالات العشريـة الحمـــراء

أحــمد دعــدوش

القياس: 17x24 سم

عدد الصفحات: 244 ص

ISBN: 978-625-8063-26-4

الطبعة الأولى

1444 - 2023



مكتبة الأسرة العربية

نحو أسرة عربية واعية ..

طبـاعــة ونشــر وتوزيع

إصدارات مُختــارة للأســرة العربيــة

www.arabfamilybs.com

+90 212 631 81 09 - +90 555 028 11 55

info@arabfamilybs.com



BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 65276



UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: Enes Basın Matbaacılık Ltd. Şti. Litros Yolu Fatih San. Sit. No: 12/210 - Topkapı / İstanbul

الفهرس

الإهداء ٩
المقدمة ١١
المجلس الانتقالي السوري ومخاوف الانقسام ١٥
هل ينفجر بركان دمشق؟ ١٨
الأسد سمع "شبيحة للأبد" في ساحة الأمويين ولم تستهدفه صواريخ "الإرهابيين" ٢٣
ثورات الربيع العربي تسيطر على منتدى الإعلام العربي في دبي ٢٥
لماذا لا يتخلص الغرب من الأسد؟ ٢٩
أحمد دعدوش: النظام السوري أصبح دولة فاشلة وسيخسر آخر معاقله ٣٨
لاجئو سوريا.. مخاطر التسلل وشقاء الانتظار.................................٤٤
حوار خاص مع عبد القادر صالح قائد لواء التوحيد في الجيش السوري الحُرّ........٤٨
ثوار شمال حلب يبدؤون تشكيل "دولتهم" المدنيّة...............................٥٥
من إعزاز إلى حلب.. مسيرة النزوح والدمار.................................٥٩
قصف عشوائي على مدار الساعة.. أهالي حلب يتوقعون الموت في أي لحظة ٦٢
الجمعة في حلب.. مظاهرات وقصف وقتال ٦٥

تدمير المنازل.. إستراتيجية النظام السوري لمعاقبة شعبه ٦٩
حلب.. القصف والنزوح يرسمان معالم العام الدراسي الجديد.......................٧٢
ناشطو الثورة الإعلاميون في حلب يحرقون المراحل من الهواية للاحتراف ٧٥
المجلس الوطني السوري يعلن هيكلته الجديدة ٨٠
اجتماعات متواصلة في الدوحة.. المجلس الوطني السوري ينتخب قياداته.........٨٤
نقاشات ساخنة في الدوحة.. المجلس الوطني السوري يدرس مبادرتين لحكومة انتقالية سورية ٨٨
هل اقتربت معركة الحسم في دمشق؟ ٩٣
حوار خاص.. مراقب الإخوان في سوريا: ليس لدينا تنظيم مسلح وقرارنا مستقل عن المرشد في مصر ٩٧
كيف يرى الثوار الضربة المحتملة على سوريا؟.......................................١٠٢
الشبّيحة.. من عصابات التهريب إلى مليشيات القمع ١٠٦
"هل أنا حيّة؟".. سؤال يستدعي فيضا من الأسئلة ١١١
مع انتهاء العام.. أحزان بالجملة في سوريا وثورة تراوح مكانها ١١٤
عام آخر ينقضي في سوريا من دون حسم.. ١٢٠
البراميل المتفجرة.. تقتل أكثر بتكلفة أقل ١٢٦

الخطيب: جنيف-٢ لتمرير تفاهمات دولية وأدعو للمشاركة ١٣٠
الناشطون الإعلاميون في سوريا يرتدون أحزمة ناسفة ١٤٠
استعادة المبادرة في ظل المؤامرة ١٤٤
التجويع سلاح بديل لعجز المدافع ١٤٩
جولة في ريف إدلب.. إصرار على المقاومة رغم الصعوبات ١٥٢
شريط "الذبح" الذي حرّك العالم.. هل حقا أُعدم فولي وسوتلوف؟............ ١٥٧
جدل المؤامرة بين السياسة والفلسفة ١٦٢
هل أصبح تقسيم سورية قدَرًا محتّمًا؟ ١٦٨
مَن المستفيد من "قتل" الكساسبة؟ ١٧٣
كي لا تفشل الثورات التي أظهرت أسوأ ما لدينا ١٧٩
هل تنتصر الثورة بتحرير المحافظات السورية؟ ١٨٧
هل يدفع الصمت الدولي إلى تقسيم سوريا؟ ١٩٨
النزيف يتواصل.. أهم قادة حزب الله الذين قتلوا بسوريا ٢٠٢
نحن قوم لا نصدّق حتى نجرب ٢٠٦
بعد ضرب سوريا.. هل تمهد القمة العربية لبقاء الأسد؟ ٢١١
شتاء لبنان.. موسم سنوي لمعاناة اللاجئين السوريين ٢١٥

الأسد على خطى السادات.. قاطعه العرب عقدًا ثم سامحوه.................... ٢١٩

جواز السفر.. سلاح النظام لإذلال السوريين وابتزازهم.................... ٢٢٣

مواقف زعماء العالم من الأسد.. من العداء الصريح إلى التطبيع الخجول ٢٢٧

السياحة في سوريا.. خطر محدق ودعاية سياسية.............................. ٢٣٢

ترامب يكرر إعلان الانسحاب من سوريا.. تعرف على أهم المواقف الأميركية من الأزمة السورية ٢٣٦

واكتملت العشريّة الحمراء ٢٤٠



الإهداء

إلى الشهداء والمعتقلين الذين خذلناهم..

وإلى الجيل الذي وُلد في قلب المأساة، ولم يدرك معنى الخذلان بعد..

وإلى كل من فقد الثقة في هذا العالم الفاجر.

المقدمة

منذ سنوات دراستي الابتدائية، كنتُ أطرب لعبارات التشجيع والإطراء على مواهبي في الكتابة والرسم، لكن أحدًا لم يجرؤ آنذاك على التلميح إلى احتمال استثمارها عندما أكبر، إذ كان من المسلّمات -في جيلنا- قصْرُ مجال الطُّموح على الطب البشري، فإن قصُرت عنه الهمم تنازلَ الآباءُ والأمهات والمربون وأتاحوا لأبنائهم التفكير في احتمال امتهان الهندسة.

مرّت السنون سراعًا، وأبليتُ بلاءً حسنا في معركة الثانوية المصيرية (البكالوريا)، لكن هذا النجاح -الذي استهلك كل طاقتي- انقلب إلى نقيضه عندما حُشرت في أحد كليات الهندسة من غير رغبة. انقضتْ سنتان في فشل ذريع، بالرغم من كل الجهد الذي بذلته، وهربتُ بعدهما إلى أقرب الكليات لمجالات النجاح المهني: الاقتصاد وإدارة الأعمال.

سارت أمور التخرج على ما يرام، ولكن بدون اهتمام، فضلًا عن فقدان الشغف. ثم أتبعتُ شهادة البكالوريوس بدبلوم يجمع الاقتصاد إلى السياسة، وارتأيت البدء بدراسة العقيدة الإسلامية والفلسفة لأربع سنوات أخرى، مع احتفاظي بالحنين إلى عبارات التشجيع الأولى لِما كان يسمى مجرد هواية: الكتابة والفن.

كنت لا أكفّ طوال تلك السنوات عن مراسلة الصحف والمجلات لنشر مقالاتي، وعندما استُبدلت بها المنتديات والمدونات والمجلات الإلكترونية وجدتُ فيها ضالتي. سارعتُ لتعلم فنون الإخراج التلفزيوني، ووضعتُ عيني على السينما، ومارست التدريب والعمل، وبدأ اسمي بالظهور على الشاشات.

كنت أدرك أن ما جمعتُه من شهادات جامعية ليس مجرد أوراق اعتماد لسوق العمل، بل هي في الدرجة الأولى مؤهلات علمية لإثراء مواهبي التي لم يُلتفت إليها في مدرجات الجامعة. وعندما حان وقت العمل، كانت تلك "الهوايات" هي دافعي الأول، والشهادات هي الروافد.

لم تجرِ الرياح بما تشتهي سُفني في بحار التلفاز والسينما، بالرغم من محاولاتي المتكررة، وما إن دقّت نواقيس ثورات "الربيع العربي" مؤذنة بولادة عَقْد جديد، حتى وجدت نفسي -وفي تزامن عجيب ومن غير تحضير مسبق- صحفيًّا في كبرى غرف الأخبار الدولية، ومراسلًا من جبهات الحرب ونقاط التوتر!

تخيّلتُ نفسي في مهن كثيرة، ولكن لم يخطر على بالي في سن الطفولة -مع سعة الخيال- أني سأعمل صحفيًا، غير أن الصحافة كانت من أقرب "المهن" إلى مواهبي الكامنة، فوجدتُها ووجدتْني، وحمّلتُها عبء رسالتي، فما لم أقدر على بثه مُخرِجًا أصبح بالإمكان تسطيره بقلمي الصحفي، مُحررًا وكاتبًا.

مرّ عقد كامل، بكل ما فيه من أحلام عالية، وخيبات هاوية. تغيَّر وجه العالم فيه، وانقلب فيه عالمنا نحن حتى ما كدنا نعرفه.

وبما أني كنت منخرطًا في الثورة السورية على وجه التحديد، كاتبًا وناشطًا، وصحفيًا بطبيعة الحال، فما كتبتُه عن هذه الثورة قد يملأ سفْرًا ضخمًا، بل عدة مجلّدات، لا سيما المنشورات والتغريدات المبثوثة على مواقع التواصل، والأخبار والمتابعات اليومية، فضلًا عن المواد المرئية والمسموعة التي شاركتُ فيها ضمن مقابلات أو برامج أو حلقات شخصية، وقد أعود يومًا ما لأرشفة بعض تلك المواد.

أما مقالات الرأي والتقارير الصحفية، فقررتُ جمعَ أهمّها في هذا الكتاب، كي تبقى حاضرة في الذاكرة، وشاهدة على العصر، لا سيما بعدما صُدمت بما رأيتُ وسمعتُ من جهل شريحة واسعة من الشباب العرب بما حدث في سورية، بل لا أستبعد أن يجهل الجيل القادم من أبناء البلد نفسه جزءًا كبيرًا من حقيقة الأحداث وخلفياتها، مع أن الشهود عليها ما زالوا أحياء.

ومما يزيد مخاوفي تعمّدُ حكومات وجِهات كثيرة طمس الحقيقة وتشويهها، وإعادة كتابة هذا التاريخ -الذي عشناه بأنفسنا- بما يوافق أهواءهم وكأنه اندثر قبل آلاف السنين، ما يدفع الكثير من الشباب الذين لم يعاصروا تلك الأحداث، أو لم تبلغهم الصورة الكاملة، للاكتفاء باتخاذ موقف المحايد بين السفّاح والضحيّة، ولتذهب دماء أكثر من مليون شهيد هدرًا، وتمرّ تلك المأساة الهائلة وكأن شيئًا لم يحدث، ومن دون الاستفادة من دروسها وتضحياتها على الأقل!

بقي أن أشير إلى اعتمادي في انتقاء مواد هذا الكتاب على معايير الجودة والأهمية وإمكانية استمرار الإفادة والتوثيق، إذ تجاوزتُ بعض المقالات التي لم أجد في إعادة نشرها فائدة.

تعمّدتُ أيضا تجاوز مقالات سياسية ناقدة لسلطات دول أخرى، وتسليط الضوء على الوضع السّوري فقط قدر المستطاع، فمع أن تلك المقالات ما زالت منشورة على الشبكة، إلا أن وضعها بين دفّتي كتاب ورقيّ يعني الحكم عليه مسبقًا بمنع التوزيع.

وأخيرًا، لا أعدّ هذا الكتاب شهادة شخصية خالصة على تلك الفترة الصعبة، بل هو جمعٌ لما كُتب سابقًا، ولا شك في أن لدي المزيد من الآراء والتحليلات والشهادات، لا سيما بعد انقضاء وقت كاف للتأمل عن بُعد، وليس من داخل الحدث، وأرجو أن يُسهّل الله لي الفرصة لإخراج آرائي وشهاداتي في كتاب أو كتب أخرى، مع أني أشكّ في قدرتي على البوح بكل شيء.

❋ ❋ ❋ ❋



المجلس الانتقالي السوري ومخاوف الانقسام

الجزيرة نت- ٣ سبتمبر ٢٠١١

فوجئ العديد من الناشطين ببيانٍ صدر في ٢٩ أغسطس/ آب الماضي للإعلان عن تأسيس "مجلس انتقالي سوري"، ما أثار مخاوف لدى المعارضة السورية -التي لم تعتد بعدُ على العمل المؤسسي- من التشتت والانقسام، فضلا عن الافتقار إلى التنظيم.

ويضم المجلس الذي تم الإعلان عنه في أنقرة ٩٤ شخصية، تقيم ٤٢ منها في الداخل السوري. وأُسندت رئاسته إلى المعارض البارز برهان غليون المقيم في باريس.

وفي مؤتمر صحفي مفاجئ عُقد في أنقرة، ظهر المتحدث باسم "شباب الثورة في الداخل" ضياء دغمش وهو يتلو بيانًا جاء فيه أن تشكيل المجلس أتى «نتيجة تأخّر التمثيل المتوازن للثورة الذي بدأ يضر بها ويؤخر نتائجها ويزيد في فاتورة الدم»، مضيفا «قررنا بعد المشاورات الدقيقة أن نأخذ زمام المبادرة في اختيار من يمثلنا في قيادة الحراك السلمي».

وردًا على سؤال أرسلناه بالبريد، قال دغمش إن اختيار تلك الشخصيات جاء بعد مشاورات بين كافة الفعاليات الشعبية والتنسيقيات المشاركة في الثورة، وبين

رموز المعارضة في الخارج، مشيرا إلى أن الأسماء تعكس كافة أطياف المجتمع السوري.

وجاء الإعلان عن تشكيل المجلس بالتزامن مع حصار فرضته قوات النظام السوري على بلدة الرستن في ريف حمص، حيث تتحصن هناك مجموعة من المنشقين عن الجيش، بينما تتزايد حركة الانشقاق في محافظات حمص ودير الزور وإدلب وريف دمشق.

إنكار واستنكار

وبعد تلاوة البيان، سارع الكثير ممن عُيّنوا في المجلس، وعلى رأسهم برهان غليون نفسه، إلى نفي علمهم بالأمر.

كما استنكرت "الهيئة العامة للثورة السورية"، وهي أبرز التنظيمات الثوريّة، ورود اسمها ضمن الجهات التي تمّت مشاورتها بشأن المجلس، ورأت أن الإعلان عنه بطريقة تعتمد "تلفيق الأسماء من دون علم أصحابها" هو تشتيت للجهود وزرع للخلاف.

وفي الوقت نفسه، أوضح لنا ممثل "اتحاد تنسيقيات الثورة السورية" عامر الصادق أنه لم يتم التنسيق مع الاتحاد، مضيفا أنه ليس لدى أي من الشخصيات الوطنية المذكورة موقف معادٍ للمجلس.

وفي السياق نفسه، رفض الناشط السياسي حازم نهار الانضمام إلى المجلس، مستنكرًا عدم مشاورته ومبديًا اعتراضه على الغموض المحيط بالجهة التي بادرت بتشكيله، فضلا عن آلية الاختيار.

وقال في اتصال أجريناه معه إنه كان قد قدّم في العشرين من مارس/ آذار الماضي أول مبادرة لتوحيد المعارضة، بالاشتراك مع مجموعة من الرموز مثل برهان غليون وميشيل كيلو وعارف دليلة وحسين العودات، وهو ما أثمر تشكيل "هيئة التنسيق الوطنية" في الداخل.

وبشأن ما يقال عن اعتماد آلية التعيين بدلًا من التشاور لإقصاء قوى على حساب أخرى، قال نهار إن "الموضوع أبسط من ذلك"، مؤكدًا ثقته في نوايا القائمين على المؤتمر.

لكن الناشط السوري برر رفضه بأن المجلس لن ينجح في تحقيق أهدافه لكونه معرَّضا للانقسام والارتباك، كما أبدى تخوفه من الإعلان عن مجالس أخرى مما يفاقم حالة التشتت.

وفي رسالة تلقيناها بالبريد، تتفق الناشطة السورية بهية مارديني مع هذا الرأي، مبدية تخوفها من تعدد المجالس الانتقالية على الرغم من تأييدها للمجلس.

وفي المقابل، قالت الناشطة خولة يوسف، ردًا على استفسار أرسلناه بالبريد، إنها علمت بتشكيل المجلس وعضويّتها فيه من وسائل الإعلام.

وأضافت أن تلقيها التأييد من داخل سوريا زاد من شعورها بالمسؤولية، وأقنعها بالموافقة على الانضمام، بالرغم من عدم مشاورتها بالأمر قبل الإعلان عنه.

ويجدر بالذكر أن خطوة الناشطين المفاجئة في الإعلان عن تأسيس "مجلس انتقالي سوري" جاءت بعد أسبوع فقط من الاجتماع الذي انعقد يومَي ٢٠ و٢١ أغسطس/ آب الماضي في إسطنبول لتأسيس "المجلس الوطني السوري"، والذي من المقرر أن يشكل المظلة الأكبر لاحتواء المعارضة الساعية لإسقاط النظام.



هل ينفجر بركان دمشق؟

الجزيرة نت-٢٢ ديسمبر ٢٠١١



صورة من إعلام النظام للمسيرة التي حشدها لتأييد بشار الأسد في وسط دمشق

في مطلع الشهر الحالي، كتب مارك غونيونه في صحيفة لوفيغارو الفرنسية تحت عنوان "قشعريرة العاصمة تحيي من جديد أمل السوريين" إن دمشق -على

عكس مدن سورية أخرى- لم تشهد مظاهرات حاشدة ضد النظام، بل إن كثيرا من المراقبين كانوا يعتقدون قبل شهر من الآن أن الاحتجاجات بدأت تنحسر، لكن الثوار أظهروا عزيمة منقطعة النظير، وسرعان ما نفضوا عنهم غبار الاستكانة ليبدؤوا من جديد.

تبدو هذه الرؤية صحيحة اليوم أكثر من أي وقت مضى، فبعد نحو عشرين يومًا من نشر مقالة غونيونه، ينقل الناشطون إلى شاشة الجزيرة وغيرها تسجيلا لمظاهرة تضم الآلاف في حي الميدان بدمشق، مما يعيد إلى الذاكرة مشاهد مماثلة في مدن أخرى، لتبدو أنها خرجت عن سلطة النظام، بالرغم من كثافة انتشار عناصره المسلحين.

بداية مبكرة

تعود بداية الانتفاضة في دمشق إلى ما قبل الثورة نفسها، ففي ١٧ فبراير/ شباط اعتدى شرطي بالضرب على ابن أحد التجار في منطقة "الحريقة" وسط دمشق، وهو أمر كان سيمضي بسلام لو لا أنه وقع بعد ستة أيام فقط من سقوط نظام حسني مبارك في مصر.

تجمّع الناس في السوق وبدؤوا عفويًا بالهتاف "الشعب السوري ما بينذلّ"، وعندما وصل عددهم إلى نحو ١٥٠٠ سارع وزير الداخلية إلى المكان، وأقنع المحتجّين بأنه سيحقّق في الاعتداء، لكن شرارة البدء كانت قد اندلعت، وحاجز الخوف كُسر، فبعد أقل من شهر تجمّع العشرات في سوق الحميدية بوسط العاصمة، وتحديدا في ١٥ مارس/ آذار، وهتفوا للحرية، معلنين بدء الثورة السورية.

وللكشف عن أسباب تأخر دمشق عن اللحاق بركب مدن أخرى مثل حمص، يقول غونيونه في مقاله إنه لا مجال للمقارنة بميدان التحرير في القاهرة، فهناك ثكنة عسكرية أو مركز للمخابرات قرب كل ساحة في دمشق، كما يحاصِر الجيش كل الشوارع المؤدية إلى الساحات العامة والمساجد الكبرى بالعاصمة والبلدات المحيطة أيام الجُمع، ومع تصاعد وتيرة التظاهر بات الحصار مفروضا طيلة أيام الأسبوع.

وبالرغم من ذلك، لم تمرّ جمعة واحدة تقريبا من دون مظاهرة في مكان ما بدمشق منذ بداية الثورة، ويبدو أن النظام اعتمد سياسة قمعٍ أكثر شدة من حيث تشديد الإجراءات الأمنية والعسكرية، مع محاولة تجنب القتل إلا في أضيق الحدود قياسًا للمدن الأخرى، نظرا لحساسية الوضع في العاصمة.

وكانت أولى المؤشرات على التصعيد في دمشق قد ظهرت في ليلة السابع والعشرين من رمضان الماضي، وهي ليلة اعتاد الدمشقيون على إحيائها بالتهجّد في المساجد الكبرى، حيث تجرّأ موالون للنظام على اقتحام مسجد الرفاعي في ساحة كفر سوسة عندما تعالت أصوات المصلّين بالتكبير، واندلعت مواجهات بالأيدي والسلاح الأبيض داخل المسجد، تعرّض خلالها إمام المسجد الشيخ المسنّ أسامة الرفاعي لإصابات بالغة.

وفي عيد الفطر، باءت محاولة الثوار القادمين من دوما ومناطق أخرى في الغوطة للوصول إلى ساحة العباسيين بالفشل، حيث فتح عناصر الأمن النار على حافلاتهم قبل بلوغ مدخل العاصمة، مما دفع المحتجّين لتأجيل خطة الاعتصام الكبير في الساحات العامة إلى أجل غير مسمى.

أفكار بديلة

إزاء هذا القمع العنيف، لجأ الثوار إلى بدائل عديدة تساند المظاهرات الجريئة في الجامعات وأحياء عدة، كالقابون والقدَم وبرْزة والميدان والصالحية والمزّة وكفر سوسة، وحتى حيّ المهاجرين قرب القصر الرئاسي، إذ نظّم ناشطون عبر مواقع التواصل الاجتماعي فعاليات تناسب الأغلبية الخائفة.

ومن بين هذه الحملات الاحتجاجية: إطفاء أنوار المنازل في ساعة محددة، النزول إلى الأسواق بقمصان بيضاء، إطلاق بالونات تحمل شعارات مضادة للنظام، توزيع المنشورات والكتابة على الجدران، وضع مكبرات للصوت تعمل تلقائيا في مبان حكومية لتردد هتافات ضد النظام وتسبّب الحرج للمسؤولين.

ومع استمرار الزخم الثوري، شجّعت هذه الدعوات الطبقتين الوسطى والمخملية في العاصمة للتخلي عن السلبيّة، فتراجعت شعبيّة مشايخ الدين ممن دأبوا على دعم النظام والطعن في شرعيّة الثورة، وقاطع الكثيرون منتجات الشركات التي تعود ملكيتها لأقطاب النظام، كما أضربت أسواق عدة مع بدء فعالية "إضراب الكرامة".

لكن المرحلة الفاصلة بدأت بالفعل عندما تعرّضت طالبات مدرسة ثانوية في حي الميدان لتحرش "الشبيحة" بهنَّ في السابع عشر من الشهر الجاري، مما حرّض الأهالي على الاشتباك، وأسفرت المواجهة عن مقتل عدد من الشباب والفتيات واختطاف بعضهم.

وقدّر ناشطون خروج عشرة آلاف متظاهر في تشييع أحد القتلى في اليوم التالي، الأمر الذي أثار ذعر النظام ليردّ بإطلاق الرصاص على الحشود، ويقتل ستة آخرين، ما قد يؤدي إلى دفع دمشق للحاق بالمدن الغاضبة الأخرى.

هذا التصعيد يتزامن مع توقيع النظام السوري على بروتوكول الجامعة العربية لإرسال مراقبين، وهو ما شجّع الناشطين على الدعوة لتصعيد الإضراب والاعتصام في الساحات العامة، في ظل الحماية الدولية المرتقبة.

ولتنظيم هذا الحراك، أسس ناشطون على موقع فيسبوك صفحة باسم "ساعة الزحف نحو ساحة الأمويين"، وهي الساحة الأهم وسط دمشق، الأمر الذي يرفع من مستوى الترقب لما سيحدث قريبا في العاصمة، التي يرى مراقبون أنها تجثم على فوهة بركان.

*   *   *   *

الأسد سمع "شبيحة للأبد" في ساحة الأمويين ولم تستهدفه صواريخ "الإرهابيين"

زمان الوصل- ١١ يناير ٢٠١٢

بعد تسعة شهور ونصف على انطلاق الثورة، احتفل إعلام النظام السوري صباح اليوم بظهور زعيمه بشار الأسد في ساحة الأمويين وسط دمشق، وهو أول ظهور له بين الجماهير في حياته، الأمر الذي اعتبره أنصاره وشبّيحته نصرًا مؤزرًا على "المؤامرة" الكبرى التي تحاك للوطن.

هذا الاحتفال الجماهيري المصطنع ليس إلا الحلقة الثانية من مسلسل بدأه النظام أمس، بعد تخاذل الجامعة العربية، فظهور بشار بين شبّيحته هو استعراض للقوة أمام الخارج، وشماتةٌ بالشعب المقموع في الداخل والخارج.

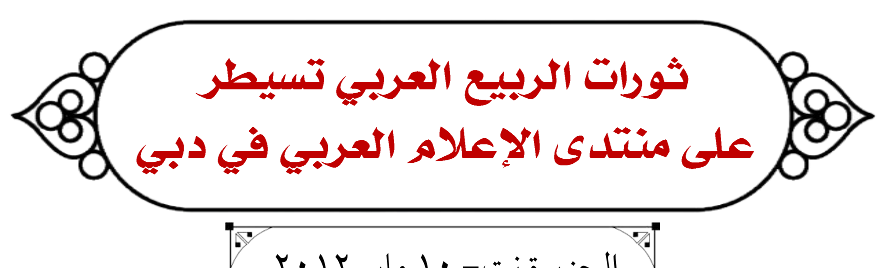
وتكفي الإشارة إلى أن وصوله لأهم ساحة في دمشق، وأكثرها ازدحاما، ثم خروجه من بين الجماهير سالمًا، من دون إطلاق رصاصة عليه أو على الآلاف من حوله، هو إدانة لنظامه الذي فشل في حماية مظاهرات المعارضة، التي لم تسلم من رصاص "الإرهابيين" ومدافعهم وصواريخهم كما يزعم النظام!

أما هتاف عناصر الحراسة بأعلى أصواتهم: "شبّيحة للأبد.."، بكل صفاقة ووقاحة، وعلى مسمع ومرأى رئيس دولة، وأمام كاميرات العالم، فهو بمثابة إعلان حرب على الشعب الذي يطالب بالإصلاحات في احتجاجات سلميّة.

وإذا كان "الشبّيحة" يعتبرون هذا الاستعراض نصرًا على الشعب الأعزل، فلا ننسى أن الزعيم الليبي معمر القذافي كان قد حشد الآلاف من المرتزقة والجبناء والمقهورين في الساحة الخضراء بطرابلس كي يهتفوا له، وذلك قبل ساعات فقط من اقتحام الثوار للمنطقة المحصنة، ثم هرب وبقي متخفّيًا حتى مقتله.

السنن الكونية تتحقق أمام أعيننا، وأعتقد أن فراعنة العصر ليسوا أفضل من فرعون الذي ظلّ مصرًّا مع أتباعه على العناد والظلم والتجبّر، حتى بعد رؤيتهم للمعجزات على يد نبي معصوم. وفي النهاية دعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾. فهل يتّعظ الجبابرة؟

* * * *



ثورات الربيع العربي تسيطر على منتدى الإعلام العربي في دبي

الجزيرة نت- ١٠ مايو ٢٠١٢

كما هو حال المشهد السياسي العربي الذي يتقلّب على صفيح ساخن، اختتمت فعاليات الدورة الحادية عشرة لمنتدى الإعلام العربي في دبي، بعد جولات من النقاش الحاد وورش العمل التي غصّت قاعاتها بالحضور، في انعكاس واضح للدور الذي بات الإعلام يلعبه في حياة الناس مع ازدياد وعيهم بالسياسة.

وفي جلسة الافتتاح، ضجّت القاعة بالتصفيق عندما قارن عالِم الفلك والجيولوجيا المصري فاروق الباز بين جيله وجيل الشباب الذي أشعل الثورات، فقال إن جيله فشلَ في كل شيء، وإن الرهان العربي الآن على جيل الشباب، مكررًا بعد موجة من التصفيق الحادّ أنه حان وقت التنحي لجيل الشباب الذي سيُحقِّق الآمال التي أَخفق آباؤهم فيها.

وعقَّب الوزير الجزائري السابق محيي الدين عميمور معترضًا بأن الجيل الذي ينتسب إليه هو والباز نجحَ في تحقيق تنمية واسعة، لكن الباز أوضح موقفه بالقول إن الجيل السابق فشل في تحقيق العدالة الاجتماعية وتطوير التعليم، كما فشل في تحقيق الوحدة العربية وتحرير فلسطين.

وبجرأةٍ لقيتْ حفاوةً من الحضور، أشار الباز -وهو عالم سابق في وكالة ناسا-

إلى أن فلسطين ما زالت محتلة بالرغم من تضخُّم الجيوش العربية، وأن الفقر والتفاوت الطبقي في تزايد مستمر.

مواقع التواصل

من جانب آخر، سلّط المنتدى أضواءه على الدور الكبير الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي اليوم، فأقيمت في اليوم الأول ورشة عمل حول "الإعلام الجديد ودور الشباب في ساحة التغيير".

وتحدثت خلال الورشة مراسلة الجزيرة ديمة الخطيب عن تجربتها في "التغريد" على تويتر بأربع لغات، مؤكدة إمكانية التكامل بين الإعلامَيْن الجديد والتقليدي، حيث تنشر في صفحتها ما لا تتسع له ساحة الإعلام التقليدي.

أما المخرج عمرو سلامة فرأى أن ثقة المتابعين بمواقع تويتر وفيسبوك باتت أكبر من ثقتهم بالإعلام التقليدي، وخصوصا بعد اندلاع الثورة المصرية. وأضاف أن مقدمي البرامج الحوارية يتابعون ما يقال عنهم في تويتر لتقييم أدائهم، حيث أصبح الموقع ساحة للتعبير الحر والناقد على نحو يسمح للجمهور بالتعبير والتأثير على صناع القرار.

مخاض واستعجال

وفي ظل الثورة الإعلامية الموازية للثورات السياسية، اتفق المحاضِرون في ندوة "الإعلام العربي وصدمة التغيير" على أن المجتمع يعيش اليوم مرحلة مخاض تستلزم من الإعلاميين إعادة النظر في أدائهم كما هو الحال في عالم السياسة، كما أكد الصحفي موسى برهومة أن إعلام اليوم لم يعد من الممكن السيطرة عليه، كما لا

يصح استعجال قطف ثمرة التغيير في وقت يعيش فيه الإعلام والمجتمع كله مرحلة هدم تستبق البناء.

من جانبه، قال رئيس قطاع الأخبار الأسبق بالتلفزيون المصري عبد اللطيف المناوي إن على الإعلاميين المبادرة إلى وضع صيغ جديدة لحماية مكتسبات المجتمع وتأصيل الإعلام الحر، منتقدا تحول إعلام الدولة إلى إعلام رسمي في ظل الحكومات التي ثارت عليها الشعوب.

وفي سياق التساؤل عن الابتكار في الإنتاج التلفزيوني، قال المنتج أسعد طه إن مخرج الفيلم الوثائقي قد ينال أجرا موازيا لأجر من يصنع إعلانا في يومين، منددا بمعايير السوق التي تطغى على توزيع ساعات العرض بين الجاد والسطحي.

وخلال الندوة، تباينت مواقف عدد من العاملين في الإنتاج الدرامي إزاء إثارة المواضيع الحساسة، مما انعكس بالدرجة نفسها في تعليقات الحضور.

وتوسّع هذا الجدل في ندوة "القنوات العربية والثورات"، حيث أشار المتحدثون إلى التحدي الذي واجهوه في إدارة الأخبار، عندما حُرمت معظم القنوات من العمل بحرّية في الدول المضطربة، فاضطروا للجوء إلى مصادر غير تقليدية.

غير أن العديد من الحاضرين حمّلوا القنوات مسؤولية الانحياز والتحريض وتحقيق الأجندات والمصالح، مما أوصل الحديث في النهاية إلى نقطة اتفاق على صعوبة الحياد في الإعلام والاكتفاء بالمهنية والموضوعية.

جدل حاد

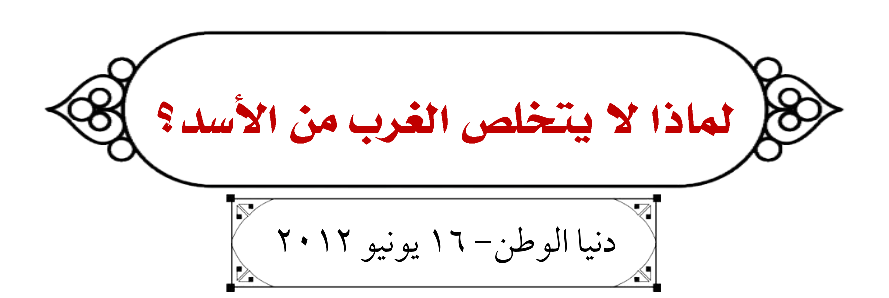
وفي ندوة "الثورات تعيد رسم خارطة النخب" احتدم النقاش بين المتحدثين

أنفسـهم، إذ رأى الكاتـب عبـد الله الغـذامي أن تطـور وسـائل الإعـلام سـاعد علـى اكتشاف انفتاح التحرك أمام الشارع إزاء انعزال المؤسسات التقليدية وثباتها، محمّلا المسؤولية للمثقف، في حين رأى الكاتـب خيـري منصـور أن النخب كانـت موجـودة دائما، لكن الناس لم يقرؤوا ما كتبوه، كما دافع الدكتور طاهر لبيب عـن النخـب التي كانت حاضرة فكريا بالرغم من غيابها عن الميدان.

كما حظيت ندوة "الخطاب الإعلامي الـديني" بجدل مماثـل، إذ رأى المفكـر عبد الإله بلقزيز أنـه لـيس هنـاك خطـاب دينـي إعلامي بـل خطـاب دينـي في الإعـلام، واصفا إياه بأنه متعصب وسيُغرق المجتمع في الصـراع، وهـو مـا أكـده المفكـر حسـن حنفي، مضيفا أن الإعلامي يخشى إثارة الرأي العـام فيضـطر للمسـايرة، وصـولا إلـى التعصب والتكفير.

لكـن الشـيخ خالـد الجنـدي ذهـب إلـى القـول إن الإعـلام خلـط بـين الفتـوى المتغيرة والحكم الثابت، كما تداخل الـدين بالسياسـة لتحقيـق المصـالح، مطالبـا بـأن يقتصر التجديد على انتقاء الإعلامي نفسـه ليكـون علـى علـم وثقافـة ولـيس تجديـدا لثوابت الدين، كما ردّ على من ينتقد شعار "الإسلام هـو الحـل" بالـدعوة إلـى تفعيـل الإسلام ليصبح "الإنسان هو الحل".

* * * *



لماذا لا يتخلص الغرب من الأسد؟

دنيا الوطن- ١٦ يونيو ٢٠١٢

يعترف الباحث شاشانك جوشي من معهد "رويال يوناتيد" بأن الغرب ينتظر وقوع مجزرة واضحة المعالم في سوريا، كي تدفعه للتدخل وتخليص العالم من وحشية الأسد، على أن يبقى الأمر محصورا في دعم الثوار من دون تدخل مباشر، لكنه يرى أن مجزرة الحولة[1] لم تكن كافية بالمقاييس الغربية.

ويذكر جوشي -في مقاله المنشور بصحيفة "ذي إندبندنت" مطلع شهر يونيو الحالي- حالتين إضافيتين يمكن أن تدفعا الغرب للتدخل، تتمثل الأولى في فقدان النظام سيطرته على مخزونه الكبير من الأسلحة الكيميائية، لا سيما أن إسرائيل ألمحت إلى استعدادها للتدخل من أجل منع وصولها إلى حزب الله.

والحالة الثانية تتمثل في تغيير تركيا موقفها وتأمين "ممرات إنسانية" إلى سوريا، مما قد يشجع العرب المترددين إلى إرسال قواتهم فيكتفي الغرب بالمساندة في الصفوف الخلفية، ومع أن الكاتب لا يفصّل في شرح الموقف التركي، فهناك تخمينات باستخدام الأسد الورقتين الكردية والعلوية لتهديد تركيا بزعزعة أمنها قبل إقدامها على أي خطوة من هذا النوع.

---

(١) مجزرة الحولة هي هجوم وحشي شنّه المليشيات الطائفية التابعة للنظام السوري في ٢٥ مايو ٢٠١٢، على منازل المدنيين في بلدة تلدو بمنطقة الحولة غرب حمص، وأسفر -بحسب الأمم المتحدة- عن مقتل ١٠٨ أشخاص، من بينهم ٣٤ امرأة و٤٩ طفلا.

إضافة إلى ما سبق، يسهب محللون آخرون في سرد تعقيدات الملف السوري محمّلين المسؤولية على روسيا، وكأن الغرب قد وجد في تعنت الروس فرصته للتهرب من مسؤولية التدخل، بل إن بعض الصحف تقف عند مبررات موسكو لهذا التعنت لتخفيف المسؤولية عن الروس أيضا، وأهمها ما جاء في صحيفة ديلي تلغراف في مطلع هذا الشهر عن اعتماد ٤٠٠ قرية روسية على صناعة الأسلحة التي تُصدر إلى سوريا، أي خشية الكرملين من تهديد حياة آلاف الروس الذين يعيشون من قتل آلاف السوريين!

ورقة الجولان

في الساعة ٩:٣٠ من صبيحة العاشر من يونيو ١٩٦٧، أعلن حافظ الأسد الذي كان وزيرا للدفاع البلاغ العسكري رقم ٦٦ عبر إذاعة البعث، وجاء فيه أن "القوات الإسرائيلية استولت على القنيطرة (مركز الجولان) بعد قتال عنيف دار منذ الصباح الباكر في منطقة القنيطرة ضمن ظروف غير متكافئة، وكان طيران العدو يغطي سماء المعركة بإمكانات لا تملكها غير دولة كبرى"، وطلب من جميع الضباط الهرب بأي كيفية ممكنة (انسحاب كيفي).

وقد وثّق العديد من الشهود كذب ادعاءات حافظ والدور الذي لعبه في تسليم القنيطرة للصهاينة قبل أن يقتربوا منها، ومنهم رئيس وزراء الأردن سعد جمعة، والرائد خليل مصطفى الذي اختفى في سجون النظام السرية، ووزير الصحة آنذاك عبد الرحمن الأكتع الذي كان في جولة ميدانية بالقنيطرة، إذ اتصل هاتفيا بحافظ وأكد له أنه لم يرَ أي أثر للعدو في القنيطرة، فردّ عليه حافظ: "لا تتدخل في عمل غيرك يا حمار".

وبالرغم من هذه الخيانة العظمى التي أعطت للعدو أكثر المناطق تحصينا وغنى بالمياه والثروات، فقد أصبح المسؤول عنها رئيسا للجمهورية مدى الحياة، ثم استغل "تحرير القنيطرة" ليصبح بطلا قوميا، بل استخدم ورقة الجولان -الذي ما زال معظمه محتلا حتى الآن- لابتزاز الشعب.

لقد ظلت خدعة المقاومة والصمود في وجه الإمبريالية هي محور الحياة اليومية للمواطن السوري طوال حكم الأسد، إذ ملأ حافظ أنظار وأسماع الشعب بهذه الشعارات في كل وسائل الإعلام والمناهج التربوية ومواقع العمل، وحتى في لافتات الشوارع وعلى جدران النوادي والمسارح ومؤسسات الدولة، ليظل المواطن مشغولا بالسياسة الخارجية أكثر من لقمة عيشه، وتبقى صورة القائد الأبدي مفعمة بصفات القوة بدلا من خيباته على الصعيد الداخلي.

في مطلع التسعينات، أطلق مؤتمر مدريد للسلام مرحلة جديدة من الصراع العربي- الإسرائيلي عبر المفاوضات، واستغلت آلة حافظ الإعلامية كل شيء لصالحه، فلم يعد هو الأب الحامي للشعب فقط، بل أصبح الرجلَ الحكيم القادر على التفاوض من موقع القوة أيضا، وهي صورة تناسب إسرائيل طالما بقيت الحقائق على الأرض لصالحها، ولا ننسى أن رئيس وزرائها الأسبق إسحاق شامير قال يوما إنه مستعد للتفاوض مع الفلسطينيين أربعين سنة من دون أن يعطيهم شيئا.

وبالرغم من استنكار نظام الأسد لاتفاقية أوسلو وما نتج عنها من اعتراف السلطة الفلسطينية بشرعية إسرائيل، فقد بدا حافظ مستعدا للوصول إلى النتيجة نفسها في حال استعادة الجولان الذي ابتز به شعبه عشرين سنة، لكن مقتل إسحاق رابين على يد المتطرفين اليهود حال دون ذلك.

كانت الأصوات تتعالى في إسرائيل لاستئناف المفاوضات مع نظام الأسد ومن دون شروط مسبقة، لكن المتخوفين ظلوا يتمسكون بتعنت حافظ الأسد وإصراره على استئنافها من النقطة التي توقفت عندها قبل مقتل رابين، مما يعني اشتراط استرجاع كامل مرتفعات الجولان حتى خط عام ١٩٦٧.

الطريف هو أن بشار تنازل حتى عن شرط أبيه الذي جعله بطلَ الصمود وحامي قلعة العروبة، وعرضَ على الإسرائيليين إمكانية التفاوض من دون شروط مسبقة، وصرّحت مستشارته بثينة شعبان بأن بلادها جاهزة لاستئناف المفاوضات بمجرد أن تقوم واشنطن بحثّ إسرائيل على التفاوض، وكأنها تضع الكرة في ملعب الأميركيين الذين كانوا منشغلين آنذاك بالحرب على ما يسمى الإرهاب.

تعاون أمني

عندما احتلت الولايات المتحدة العراق المجاور لسوريا، بدا أن نظام الأسد قد بدأ فعلا بالتخبط، وخصوصا إزاء التصريحات المتضاربة من إدارة جورج بوش الابن التي كانت تثير القلق، فإلى جانب مواقف وزير الخارجية كولن باول الأقرب للدبلوماسية، كانت مواقف البنتاغون بقيادة دونالد رامسفيلد تقضّ مضاجع النظام، حتى صرحت بثينة شعبان بالقول إن باول يبدو لحكومة الأسد رجلا عاقلا وإنها تأمل بأن يتابع الحوار مع سوريا.

لكن هذا التفاؤل سرعان ما عاد للتزحزح، وخصوصا بعد تولي كوندوليزا رايس موقع باول لتعيد سيطرة الصقور على السياسة الخارجية، إذ صرح السفير الأميركي في بغداد زلماي خليل زاد في سبتمبر ٢٠٠٥ بقوله "لقد نفد صبرنا تجاه سوريا وكل الخيارات مطروحة".

اليوم يمكننا القول إن تلك التهديدات لم تكن سوى زوبعة في فنجان، فضبطُ الحدود الذي قام به نظام الأسد لمنع تسلل "الإرهابيين" إلى العراق كان يتم على أفضل وجه، ولم تعد خافية فضيحةُ تعاون النظام مع وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لاستجواب المتهمين بالإرهاب في سجونه بعيدا عن عيون الصحافة والقضاء في أميركا، وكانت مجلة تايم أول من نشر بعضا من فصول هذه القضية في أكتوبر ٢٠٠٦، عندما ذكرت تفاصيل نقل المتهم الألماني من أصل مغربي محمد زمار، والكندي من أصل سوري ماهر عرار إلى فرع فلسطين التابع للمخابرات العسكرية، حيث يتفنن المحققون بأصناف التعذيب التي تدفع المعتقلين للاعتراف بتُهم لم يرتكبوها، ما يكفي للسجن مدى الحياة مقابل الإسراع بالخروج من هذا الجحيم.

وبناء على ذلك، يجدر بنا أن نعيد صياغة السؤال موضوع المقال، لنسأل أولا: هل للغرب مصلحة في خلع نظام الأسد؟

العدو المثالي

من المعروف في عالم السياسة أن المواقف المعلنة للدبلوماسيين وقادة الدول ليست بالضرورة انعكاسا لما يجري في الكواليس، فقد يعلن أحدهم العداء الأبدي تجاه دولة ما، أو حتى يشن غارة عسكرية محدودة عليها، بينما يعقد معها صفقات سياسية واقتصادية في الخفاء.

لقد أهدى نظام الأسد للصهاينة أهم مبرر لتحويل كيانهم الوليد إلى دولة عظمى، فهو ما زال يقدم بآلته الإعلامية "المقاومة" نموذجا جيدا للعدو العربي

المتوحش والمعادي لليهود الذين لم يتخلصوا بعد من مأساة الهولوكوست، مما يسهّل تهرب إسرائيل من مفاوضات السلام ورفض الانسحاب وتكثيف عمليات التسلح بكل أنواع الأسلحة، وعلى رأسها النووية.

وفي السياق نفسه، يمكننا فهم استثمار إسرائيل لمساعي النظام الدائمة لعقد صفقات التسلح مع روسيا، ولو أن هذه الصفقات أدت إلى القيام بعمل عسكري واحد ضد إسرائيل لتغيّر خطاب الثورة الشعبية اليوم، لكن الجنود المنشقين والثائرين يذكرون جيدا الدروس التي تلقوها على يد الضباط عن أسطورة خطوط الدفاع الهائلة التي أقامها الإسرائيليون في الجولان، في محاولة لإقناع الشعب باستحالة إقدام النظام على أي مغامرة لتحرير أراضيه.

وفي المقابل، فإن السلاح الذي ظل يتراكم في الثكنات طوال أربعين سنة من حكم الأسد سرعان ما نزل إلى الشوارع والمزارع ليقتل الشعب، ويكفي أن ننقل عن صفحة المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي أفيخاي أدرعي على تويتر، قوله إن "مجرزة الحولة تشكل دليلا على أنماط العمل الوحشية التي يتبعها بعض أعدائنا، مما يؤكد أهمية احتفاظ إسرائيل بقوتها العسكرية وبقدرات جيش الدفاع".

ليس من مصلحة الغرب وربيبته إسرائيل إذن إسقاط النظام السوري، فقد أعطى متنفَّسا للشعوب العربية الغاضبة طوال عقود لتفريغ غضبها ضد كافة أشكال الاحتلال في مسيرات واحتجاجات ومقالات وكتب وأعمال فنية، لكنه كان يقبض بيد من حديد على كل من يحاول أن يحوّل غضبه إلى فعل، ويتعاون مع الغرب في القبض عليه والتحقيق معه وتعذيبه.

إزاء هذه الحقائق، لم يكن من المفاجئ إطلاق صحيفة هآرتس العبرية لقب "ملك إسرائيل" على بشار الأسد في أبريل ٢٠١١، حيث أشارت مع بداية الثورة إلى قلق الإسرائيليين من احتمال سقوط نظامه، وقالت إن الكثيرين في تل أبيب يصلُّون من قلوبهم للرب كي يحفظ النظام الذي لم يحارب إسرائيل منذ عام ١٩٧٣ بالرغم من كل شعارات المقاومة التي يرفعها، واصفة هذه الشعارات بأنها مجرد صمام أمان ضد مطالب الشعب السوري بحقوقه.

جماعة وظيفية

علاوة على ما سبق، ليس من مصلحة الغرب والروس والصينيين أن يقوم في سوريا نظام سنّي يتحالف مع بلاد الثورات التي صعد فيها الإسلاميون مؤخرا، فالأفضل لهم إبقاء توازن الصراع بين السنة والشيعة لينشغل المسلمون بأنفسهم عن أي نهضة حقيقية أو مشروع تحرير.

لقد قالها وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف بصراحة غير مألوفة في عالم السياسة، معلنا أن بلاده لا تريد للسنّة أن يحكموا سوريا[1]، إذ يخشى الروس من تزعزع توازن القوى بين الطوائف الذي يحفظه هذا النظام الأقلوي. وكان النائب البريطاني السابق جورج غالاوي -الذي هلل له العرب كثيرا لمواقفه المؤيدة لفلسطين- قد وبّخ إحدى المتصلات على برنامجه الإذاعي التي نادت بإغاثة الشعب السوري المذبوح، ليخبرها بأن طبيعة الشعب المتعدد الطوائف تجعل من المستحيل التفكير بأي تدخل لخلع النظام، وكأن الوضع القائم هو أهون الشرين في رأيه.

---

(١) كان هذا في في حديث لإذاعة "كوميرسانت إف إم" الروسية.

لقد مهّد الفرنسيون منذ تسعين عاما لهذا الخلل في تقاسم السلطة، فشكّلوا لحمايتهم "جيش المشرق" من جنود الأقليات وبأغلبية علوية، مع منحهم امتيازات استثنائية ليستمر ولاؤهم للخارج وتبقى السلطة بأيديهم بعد الاستقلال، وهذا ما حدث بالفعل، حيث ظل الصراع محتدما بين السنة والعلويين -أكثر من أي طائفة أخرى- على النفوذ في الجيش طيلة عقود، حتى انتزعه حافظ الأسد بالقوة وقضى على كل منافسيه.

ومنذ حينه، أثبت الأسد أنه قادر على قيادة هذه المنطقة الإستراتيجية مدعوما بحاشية عديمة الأخلاق والوطنية، ومسلَّحا بشريحة شعبية ذات ولاء أعمى قوامها أكثر من ١٥٠ ألفا من قوات الأمن، ومئات الآلاف من الجنود والشبيحة الطائفيين والمرتزقة، وقد وجد الغرب في هذا القِسم من العلويين وأبناء العشائر "مجموعة وظيفية" نموذجية تحرس مصالحه مقابل النزر اليسير من المكتسبات، وخصوصا في ظل الفقر والجهل والطائفية والعنصرية التي ما تزال تهيمن على جبال العلويين وقرى البادية حتى بعد أربعين سنة من السلطة المطلقة.

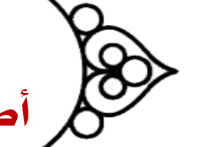
ويبدو أن الأسد وجد في فكر البعث القومي غطاء فكريا لإقناع السوريين بوصول أول علوي للسلطة، كما وجد أفرادُ طائفته في البعث منفَذا للخروج من عزلتهم الطويلة باسم العروبة، وفي الاشتراكية مبررا للتخلص من فقرهم، وفي أسطورة المقاومة مصدر اعتزاز إلى حد العنجهية.

واستثمر الغرب وحليفته "إسرائيل" هذا الأمر جيدا، إذ يروي سعد جمعة في كتابه "المؤامرة ومعركة المصير" أن سفير دولة غربية بدمشق أطلع النظام البعثي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ (أي قبل انسحاب الأسد من القنيطرة بخمسة أيام) أن

إسرائيل تريد فقط تأديب جمال عبد الناصر، وبعدها ستُفتح الآفاق العربية أمام الثورية البعثية لأن إسرائيل بلد اشتراكي يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية وخاصة العلوية، إذ يمكنها أن تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين في البلدين، ويؤكد جمعة أن النظام ردّ على السفير الوسيط بأن كافة القيادات تتجاوب مع هذا التطلع.

لقد أسقطت الثورة السورية ورقة التوت التي استتر بها هذا النظام عقودا طويلة، كما أسقطتها عن شرائح واسعة من المثقفين والسياسيين وحركات المقاومة في المنطقة والعالم كله، لذا فإن المعركة التي يخوضها السوريون اليوم ليست مجرد ثورة شعب مقموع على نظام مستبد فاسد، بل هي إعادة ترتيب لتوزيع القوى على خارطة العالم، ومن البدهي ألا يتدخل الغرب لصالح هذا التغيير ما لم يكن في صالحه، فضلا عن وقوفه في وجهه.

❋ ❋ ❋ ❋




أحمد دعدوش: النظام السوري أصبح دولة فاشلة وسيخسر آخر معاقله

حوار أجرته صحيفة إيلاف مع أحمد دعدوش- ١٠ أغسطس ٢٠١٢

كاتب شاب وناشط ومدون، صفات باتت من أهم السمات التي يتميّز بها نشطاء الثورة السورية وأنصارها الذين ينتمون في معظمهم إلى جيل الشباب، الذي فجر في الشعب السوري أفضل طاقاته وإبداعاته، وخلق جيلًا مقاومًا لكافة صنوف الاستبداد والقمع، عاشقًا لكل مظاهر الحرية ومناديًا بها.

وفي حوار مع "إيلاف"، يقول الكاتب والناشط السوري أحمد دعدوش إن النظام السوري أصبح دولة فاشلة في معظم أنحاء البلاد، مؤكدًا أنه يخسر آخر معاقله في حلب ودمشق.

بعد مرور عام ونصف على اندلاع الثورة السورية.. كيف تقيمون واقع الأمور في سوريا من الناحيتين السياسية والعسكرية؟

- لو سألتني قبل عام ونصف كيف أتصور المستقبل في سوريا لما توقعت إطلاقا أن يكون على ما هو عليه الآن، فحتى بعد أشهر من اندلاع أولى المظاهرات لم نكن نصدق أنه من الممكن الخروج إلى الشارع في قرية صغيرة وعلى أطراف البلاد للتعبير عن رأي شخصي فضلا عن شتم رأس النظام. مهما كان الوضع

الإنساني والأمني سيئا الآن، فلا بد أن ما حققه الشعب من مكاسب الحرية هو أفضل مما كان يحلم به، ولا شك في أن الصمت لخمسين سنة إلى حد الخنوع يستلزم أن تكون ضريبة النطق اليوم بهذا الحجم. صحيح أن لدينا مخاوف من استمرار الفوضى والانزلاق إلى حرب أهلية، لكن لا بد من دفع الثمن لبعض الوقت حتى يستقيم الطريق بدلًا من القبول بواقع أعوج مدى الحياة.

من الناحية السياسية، النظام أصبح "دولة فاشلة" في معظم أنحاء سوريا، وهو يخسر الآن آخر معاقله في حلب ودمشق، ويكفي أن تتساءل الغارديان مؤخرا عن سبب اختفاء الأسد منذ مقتل رموز نظامه في تفجير مركز الأمن القومي، أما من الناحية العسكرية فعلى الرغم من تفاوت التدريب والتسلح، فإن الجيش الحر يؤكد أنه يسيطر على نحو ٧٠٪ من أراضي البلاد، وتشير التقارير الآن إلى أن الوسيلة الوحيدة للاشتباك لدى قوات النظام باتت تقتصر على القصف الجوي والمدفعي عن بعد خوفًا من الوقوع في فخ حرب الشوارع.

هل تخلت الثورة السورية عن مبدأ السلمية الذي رفعته طويلًا مع الاتجاه نحو عسكرة الثورة؟

- ربما كان للإعلام دور في تسليط معظم الأضواء على الصراع العسكري وتجاهل المظاهرات خلال الأسابيع الأخيرة، لكن الإحصاءات تشير إلى أن زخم التظاهر لا يزال في تصاعد، ولا شك في أن استمرار الإضراب سيعجل بانهيار النظام، وذلك بالتوازي مع الحراك العسكري الذي أصبح أمرًا لا بد منه.

كيف ترى مواقف المنظمات الحقوقية والإغاثية؟

- هناك شكاوى كثيرة تتردد في وسائل الإعلام الجديد عن ضياع مبالغ ضخمة من التبرعات قبل أن تصل إلى مستحقيها، ويبدو أن التحقق من صحة ما يقال ليس بالأمر السهل وسط الفوضى القائمة.

صعوبات الحياة التي يعاني منها النازحون في المخيمات بكل الدول المجاورة لا تخفى على أحد، وعلى الرغم من التسهيلات المشكورة التي تقدمها بعض الحكومات، فما زال الوضع أسوأ بكثير من المأمول، وعندما يصبح معظم الشعب منكوبا، فقد يحار فاعلو الخير في الجهة التي تستحق أن يولوها اهتمامهم.

كشباب وناشطين ومدونين، ما هو دوركم؟ وكيف تسهمون في الثورة؟

- الثورة بدأت واستمرت على يد الشباب، ولا شك في أن بطولات هذا الجيل ستبقى منارة للأجيال المقبلة. أما عن دور المدونين تحديدا، فبات معروفًا اعتماد وسائل الإعلام التقليدي على الإعلام الجديد كمصدر للمعلومات والصور منذ بدء الربيع العربي، وخصوصا في ظل التعتيم الذي تفرضه الأنظمة.

ومع نضج التجربة في سوريا التي تعد أطول الثورات في المنطقة، أصبح الناشطون والمدونون على قدر كبير من الخبرة الإعلامية والحقوقية، ونحن في المؤسسات الصحافية نستلم منهم رسائل عاجلة على مدار الساعة كأي وكالة أنباء احترافية، ونجد تقاريرهم مذيّلة دائما بقائمة من أسماء المراسلين الميدانيين ووسائل التواصل معهم إلى جانب التوثيق البصري بالصور وتسجيلات الفيديو، حتى كادت

بعض الوسائل الإعلامية تستغني عن إرسال مراسليها إلى سوريا مع توفر هذه الخدمات المجانية.

من جهة أخرى، يلعب التدوين دورًا مهمًّا في الدعم النفسي للثوار، وأنا من معجبي الصفحات الكوميدية والأدبية على الفيسبوك التي تقوم بدور كبير في الحرب الإعلامية ضد مؤيدي الطغيان وتضفي على الثورة طابعًا إنسانيًا يلطف بشاعة الحرب. وإضافة لما سبق، فإن الإعلام الجديد أتاح لنا فرصة تبادل الآراء وإثراء الثورة بما لا يمكن بثه في الإعلام التقليدي من أفكار، وأخصُّ بالذكر هنا الناشطين المقيمين خارج سوريا، فهم أكثر تفرغًا للاشتغال بالفكر، ولديهم الإمكانية لطرح الأفكار ومعالجتها ثم بثها عبر الشبكة لمساندة إخوتهم في الداخل.

كيف تنظرون إلى قدرة النظام السوري على الصمود بعد كل هذه الفترة، وإلى أي مدى أثّر تفجير مبنى الأمن القومي على معنوياته وقدراته؟

- أعتقد أن الكفة بدأت بالرجحان لصالح الثوار منذ توسع حركة تهريب السلاح النوعي من مضادات الطيران والدروع قبل نحو شهرين، وما زال هذا الدعم جاريًا بجهود عربية مشكورة من دون إقحام التدخل الغربي الذي يرفضه الكثيرون، وربما كان التحرك الروسي الأخير بطرح حلول الحكومة الانتقالية هو ردة فعل للمكاسب التي حققها مقاتلو الثورة بهدف إنقاذ النظام، وكانت التوقعات تشير إلى احتمال سقوط النظام بالحسم العسكري في حال استمرار زخم القتال خلال أربعة أشهر كحد أقصى من الآن.

لا شك في أن عملية تفجير مبنى الأمن القومي واغتيال عدد من رموز النظام

كان لها أثر نفسي كبير على الطرفين، ومع أن أسرار العملية ما زالت موضع تكهنات كثيرة، فيكفي القول إنها كانت شرارة انطلاق المعركة في دمشق. وعلى الرغم من أن السلاح النوعي لم ينتشر بعد في العاصمة ومحيطها بالقدر المطلوب، فالأنباء تشير إلى تدمير عدد هائل من الدبابات والمدرعات في حيّي الميدان والقابون مع إسقاط ثلاث مروحيات خلال ثلاثة أيام فقط من الاشتباك، ويبدو أن دخول المعركة إلى حلب في الأسبوع نفسه كان نتيجة لهذا التطور، وعيون العالم الآن مركزة على حلب التي يدرك النظام أنها حجر الدومينو قبل الأخير.

ما رأيكم في اشتباكات حلب الأخيرة، وهل سوف تنجح في تحرير المدينة كما يقول الثوار، أم أن مصيرها سوف يكون كمصير عملية تحرير دمشق؟

- عملية دمشق لم تنته حتى يقال إن مصيرها قد فشل، فالجيش الحر انتهز فرصة حشد قوات النظام الكثير من كتائبها في دمشق ليعلن معركته الكبرى في حلب، ويبدو من المعطيات أن ما يجري حاليًا في حلب هو أكثر المعارك نجاحًا وتخطيطًا، حيث لم يعد النظام هناك قادرًا على المواجهة سوى بالقصف عن بعد، بينما يردّ الجيش الحر على مصادر النيران بقوة مكافئة، ما أرغم النظام على اللجوء إلى طائرات "ميغ" مع التحليق على ارتفاع عال وتقليص مشاركة مروحيّاته التي باتت لقمة سائغة للمقاتلين.

وفي المقابل، علينا الاعتراف بأن فصائل الجيش الحر في دمشق حققت نجاحًا لا يستهان به على الرغم من اضطرارها إلى التراجع لنقص الذخيرة، ولا شك في أن إشعال المعركة على جبهتي دمشق وحلب في آن واحد هو استراتيجية موفقة.

كيف ترون مستقبل الحل في سوريا، وإلى أين تتجه الأمور برأيكم؟

– أميل إلى التفاؤل دائمًا مهما بدت الصورة معقّدة، وفي أسوأ الأحوال لا أتوقع السقوط في أتون الحرب الأهلية كما يكرّر محللون غربيون، وعلى الطريقة اللبنانية طويلة الأمد. قد ينسحب الأسد مع قوته العسكرية والأمنية إلى الساحل لتشكيل دويلة علَويّة تقتات على المعونات الإيرانية والروسية كموطئ قدم لهما على البحر المتوسط، ولكنها قد تصطدم بتركيا التي لن تقبل بحراك علَويّ مماثل على أرضها، كما لن تبقى للغرب مصلحة في دعم العلويين بعد خسارة سلطتهم على كامل الدولة المحاذية لإسرائيل.

لا أستبعد استمرار المناوشات حتى بعد سقوط النظام، ولكن قد تنحصر هذه الصدامات الجزئية في المناطق المتاخمة للدويلة العلوية، فانسحاب العلويين من بقية أنحاء البلاد خوفًا على حياتهم لن يترك أي سبب للتوتر في المناطق الأخرى، وليست هناك أي مؤشرات جدّية لاندلاع صراع طائفي أو قبلي بين المكوّنات الأخرى للشعب السوري حتى الآن.

أعتقد أن معظم معوقات الثورة تعود إلى ضحالة الثقافة السياسية وعقليّة الشورى لدى الشعب الذي استكان للاستبداد منذ الستينات، لكن ثقافة جديدة بدأت بالظهور منذ سنة ونصف، وما زال بناء جيل الديمقراطيّة في طور التشكل وبسرعة تستحق الإشادة.

أرجو أن يؤمن السوريون بأن العالم كله لن يقدر على سلبهم حقوقهم طالما توفرت لديهم الإرادة الكافية، وبما أنهم يُذهلون العالم كل يوم بتقديم تضحيات أسطورية، فأتمنى أن يعززوا ثقتهم بالله ثم بقوّتهم الذاتية، وأن يوحّدوا صفهم وينشروا ثقافة التعاون والشورى ليختصروا الطريق نحو النصر وبناء دولة العدالة.

لاجئو سوريا..
مخاطر التسلل وشقاء الانتظار

الجزيرة نت- ٧ سبتمبر ٢٠١٢

عند معبر باب السلامة الحدودي بين سوريا وتركيا، يجد السوريون أنفسهم أمام ثلاثة خيارات للانتقال إلى الجانب التركي، فإما استخدام جوازاتهم عبر معبر يسيطر عليه الجيش السوري الحر ويرفع علم الاستقلال بجانب العلم التركي، أو الانتظار إلى أجل غير مسمى إن لم تكن لديهم جوازات، أو التسلل عبر طرق جانبية وعرة، وقد اخترتُ تجربة الخيار الأخير من تركيا ذهابا وإيابا لاكتشاف الخيارين الآخرين.

أرشدني أحد السوريين للطريق مقابل مئة دولار، وكانت النصائح تتضمن عدم التصوير والسير بين حقول التين والزيتون في مسار محدد تجنبا للألغام، ثم تخطي الأسلاك الشائكة، والجري في وضع منخفض أو الزحف، غير أنه نسي تحذيري من لسعات الدبابير الحارقة، حتى نالت مني أثناء انشغالي بالنجاة مما هو أخطر.

وعلى الجانب السوري، كان الجيش السوري الحر يسيطر كليا على المعبر إداريا وعسكريا، ويضع ختم "الجمهورية العربية السورية" على جوازات العابرين من الطرفين، ويتلقى رسوم الجمارك من شاحنات نقل البضائع.

لكن ضريبة هذه المكاسب السياسية والعسكرية كانت باهظة على الصعيد الإنساني، إذ ما زال نحو ستة آلاف نازح سوري يفترشون أرصفة المعبر بانتظار فتحه من الجانب التركي، بعد أن دُمّرت معظم قراهم في ريف حلب بسبب قصف النظام المتواصل حتى اليوم.

نضال ونزوح

على أحد الأرصفة، يستقبلنا الحاج أبو أحمد القادم من بلدة تل رفعت التي يقول إن ٩٠٪ من أهلها قد نزحوا، ويستعرض تاريخه النضالي منذ ستينات القرن الماضي.

ويؤكد أن البلاد كانت في ظل حكم الرئيس الراحل **حافظ الأسد** وابنه **بشار** تنحدر إلى الأسوأ كل يوم، وأنه لم يتصور يوما أن يختتم مسيرته بالنضال ضد حكام بلده "الذين أعلنوا الحرب على الشعب".

ويتدخل ابنه الشاب -الذي كان عاملا في أحد المصانع- ليسرد تفاصيل اعتقاله وتعذيبه قبل النزوح، وعندما سألته عن سبب نحوله الشديد، قال إن الطعام متوفر بما يكفي لكنه قد يقضي ثلاثة أيام من دون أن يشتهي الأكل.

ورغم اعتيادهم على وجود الكاميرات الصحفية كل يوم، فلا يفوّت النازحون فرصة وجودنا للتجمهر وسرد قصص تدمير قراهم في ريف حلب، ثم اضطرارهم للنزوح منذ أواخر رمضان الفائت، وتورطهم في الانتظار ريثما تعلن السلطات التركية توفير أماكن كافية لإيوائهم.

وتوسلت إليّ سيدة عجوز لتدبير خيمة تؤوي عائلتها المكونة من ثمانية أشخاص، حيث لم تجد مكانا في الظل، واكتشفتُ لاحقا أن المشكلة لا تتطلب سوى توفير خمسين دولارا فقط في الشهر الواحد لاستئجار شقة في قرية مجاورة لا تتعرض للكثير من القصف.

معاناة وأمل

وفي فرصة تجمهر أخرى، أكد الكثيرون عدم قدرتهم على الاستحمام منذ وصولهم، وعرضوا لي حالات الالتهاب لدى الأطفال، ثم سرد لي أحدهم قصة ابنته المصابة بالسرطان الرئوي وعجزه عن الدخول إلى تركيا للتأكد فقط من حاجتها لمتابعة علاجها الكيميائي، وخصوصا بعد إنهاك رئتيها من الغبار.

أما أم محمد فحدثتني عن معاناتها وهي تذبّ الذباب عن توأميها المولودين أمس الأول، وقالت إن السلطات التركية سمحت لها بالدخول ليلة الولادة إلى مستشفى كيليس الحكومي، ثم أعادتها بعد يومين إلى الرصيف الحدودي، وهي تعدّ نفسها الأكثر حظا لحصولها مع طفليها على غرفة صغيرة كانت مخصصة للحرس على الرصيف نفسه.

وبالرغم من افتقارهم إلى الحمامات والكهرباء والماء النظيف، فإن الجمعيات الخيرية تتولى كل يوم توفير ما يكفيهم من الغذاء، كما يبذل الجيش الحر جهودا لافتة لحراستهم وحل مشاكلهم وتدبير شؤونهم، وقد أجاب الكثيرون على سؤالي عن مطلبهم الأول بقولهم: "إسقاط النظام"، وليس الطعام ولا الراحة.

وقبل أن أودّعهم، كان لا بد من قبول الدعوة لحفلة شاي صغيرة، والاستماع إلى هتافات الأطفال الثورية، ثم الاستجابة لطلباتهم المتواصلة في التقاط الصور لهم وهم يرفعون أصابعهم الصغيرة لتشكل إشارة النصر.

وفي طريق العودة، رافقتني ابتسامات النازحين الطيبين أثناء تكرار تجربة التسلل عبر الحدود إلى تركيا، ولم تشغلني عنهم سوى صحبة إحدى الأمهات التي كانت تبذل جهدًا لإخفاء دموعها عن طفلتها الصغيرة. فمنْ يدري هل هي دموع الألم والشكوى من مشقة الطريق، أم دموع الخوف من مصير مجهول؟



حوار خاص مع عبد القادر صالح قائد لواء التوحيد في الجيش السوري الحُرّ(١)



الجزيرة نت- ٩ سبتمبر ٢٠١٢



عبد القادر صالح (أقصى اليمين) مع رفاقه (بعدسة المؤلف)

---

(١) جاء هذا الحوار بعد ساعات من لقائي الأول بعبد القادر صالح، إذ لم أكن قد سمعتُ به من قبل، وكان حينئذ عائدًا من إسطنبول للتحدث إلى الصحفيين عن مطالب الثوار، فرافقته إلى مشفى مدينة كيليس بجنوب تركيا لزيارة الجرحى من عناصر الفصائل المعارضة، الذين كانت تركيا تسمح لهم بالدخول من أجل العلاج، ثم أجريتُ الحوار مع عبد القادر عند المعبر الحدودي "باب الهوى"، وتمّ بثه مصوّرا في اليوم التالي على شاشة "الجزيرة مباشر".

ذاع صيت عبد القادر لاحقًا وأصبح من أشهر وجوه المعارضة المسلّحة، ومن أكثر القيادات شعبية بين الناشطين، والتقيتُ به مرتين لاحقا في حلب وجنوب تركيا.

وبينما كنتُ أستعد لشدّ الرحال إلى حلب مرة أخرى، حيث كنت أخطط للقائه مجددًا، جاء خبر استشهاده في ١٨ نوفمبر ٢٠١٣، وأذكر أني تلقّيت هذا النبأ أثناء حضوري مؤتمرًا قانونيًا لمناقشة مستقبل سوريا بعد إسقاط النظام، في أحد فنادق الدوحة، فأصابتني نوبة بكاء شديد، وكان رحيله صادمًا للكثير من الناشطين.

عبد القادر صالح، شاب في الثالثة والثلاثين من عمره، كان يمارس التجارة في بلدته مارع بريف حلب قبل أن يجد نفسه قائدًا لكتيبة مارع التي تمكنت من انتزاع البلدة من سلطة النظام السوري، ليصبح فيما بعد قائد لواء التوحيد الذي وحّد معظم كتائب وألوية حلب وريفها تحت مظلة الجيش السوري الحرّ.

وفي مؤتمر صحفي عقده مؤخرًا بإسطنبول، قال صالح إن قواته سيطرت على نحو ٧٠٪ من مدينة حلب، وهي تخوض اليوم أشد المعارك ضد قوات النظام، وطالب المجتمع الدولي بالمساعدة في "إنقاذ الشعب من المجازر."

وللوقوف على جملة من المسائل، على غرار طبيعة الصراع في سوريا والاتهامات الموجهة للواء التوحيد بارتكاب عمليات إعدام للشبيحة ومستقبل الحرب ضد النظام السوري، كان هذا الحوار الذي أجريناه معه خلال زيارته لمشفى كيليس، على هامش حضورة لتركيا للمشاركة بمؤتمر في إسطنبول :

من هو عبد القادر صالح؟ كيف كان قبل الثورة وكيف أصبح الآن؟

- أنا رجل بسيط، وهذا واقع لا تواضع، كنت قبل الثورة أعمل في التجارة ولدي دخل جيد، لكني كنت أرى أن راحة الناس في سوريا لا تتوفر سوى لمن يملك المال، وأن القهر والظلم يشمل الجميع، فلم نتمتع يوما بحرية التعبير والرأي أو حتى ممارسة شعائر الدين بارتياح.

وعندما قامت الثورة على يد أطفال في درعا تجرؤوا على كتابة شعارات ثورية على الجدران، لم تكن الرؤية واضحة لدى كثير من الناس، فعلماء الدين أنفسهم لم

يكونوا متفقين بشأن الثورة. وفي شهر رمضان من العام الماضي بدأتُ أدعو الله ليرشدني إن كان الاستمرار في الثورة لصالح البلاد بالرغم من نزيف الدماء.

ومع استمرار القمع، شاركتُ مع زملائي في تنظيم المظاهرات والفعاليات السلمية، إذ كنا نتوقع أن الأمر لا يتطلب أكثر من تشجيع الناس على التظاهر بأعداد كبيرة، وأن العالم سيقف معنا ويدعمنا لتحقيق الديمقراطية، لكننا فوجئنا بوحشية النظام الذي لم يجد وسيلة للقمع سوى الرصاص الحي، حتى رفعنا في بعض المظاهرات لافتات تطالب برمينا بالرصاص المطاطي أسوة بالجيش الإسرائيلي في قمعه للفلسطينيين، وتطوّر بنا الحال إلى رفع السلاح للدفاع عن أنفسنا.

يقال إن المجتمع السوري لم يكن يتمتع بثقافة سياسية عميقة، فلم تكن هناك مؤسسات للمجتمع المدني ولا نشاط للمعارضة، فكيف تفسر نضج الثورة السورية خلال أشهر؟

- هذا صحيح، فالنظام اعتاد على منع أي رأي مخالف لرؤيته من الظهور، لكن السوريين حافظوا طويلا على ثقافة التعايش بين الطوائف التي حاول النظام انتزاعها بالتحريض، كما أن الشعب يتمتع بوعي كاف قبل أن يحكمه النظام، وهذا هو الأساس في كل ثورة.

هل تسمي ما يعيشه السوريون الآن حربا أهلية؟

- لا بالطبع، الثورة بدأت سلمية وستبقى سلمية، فنحن نقاتل النظام فقط ومعركتنا ليست ضد طوائف العلويين أو الشيعة. وقرارنا بحمل السلاح كان ردَّ فعل لحماية أنفسنا من القتل مع إصرار النظام على تصعيد العنف.

بعد دخول الثورة مرحلة العنف المسلح، هل توافقون على ما يقال عن تشتت قيادات المعارضة المسلحة مع تعدد الكتائب التي تعمل تحت مظلة الجيش الحرّ أو خارجها؟

- النظام يملك جيشًا مسلحًا بقوة منذ البداية، أما نحن فبدأنا بمحاولة إسقاطه بوسائل سلمية، وعندما اضطررنا لمقاتلته كان علينا أن نبدأ من الصفر، ومن الطبيعي أن نرتكب الأخطاء. يجب الاعتراف بأن النظام يفتك بنا بعنف، وفي المقابل فإن أحد الثوار عندما يرتكب خطأ فإننا نشتكي إلى قائده، فيقول لنا عاقبوه ولا تترددوا.

هل تعني أن هناك تنسيقا عالي المستوى بين قادة الكتائب؟

- نعم بالطبع، فهناك تنسيق واحترام بين الجميع، وعلى سبيل المثال لدينا غرفتا عمليات في حلب، تجتمع فيهما قيادات الكتائب التي تعمل تحت مسمى لواء التوحيد، الشامل لمعظم ألوية وكتائب المنطقة لتوحيد الرؤية والقرار.

يتهم البعض الجيش الحر بالمسؤولية عن العنف الذي يتعرض له المدنيون، فكلما أُعلن عن تحرير منطقة سارع النظام إلى قصفها وتدميرها.

- الجيش يقصف كل المناطق التي تتمرد حتى لو لم نعلن تحريرها، وبما أننا في معركة تحرير لتأسيس دولة عدل فلا بد من دفع الضريبة.

وهل لديكم نية حاليا لتغيير هذه السياسة؟

- هذه خطط عسكرية لا يمكننا البوح بها.

في معركة "الفرقان لتحرير حلب" التي أعلنها لواء التوحيد، لماذا حلب تحديدًا؟ ولماذا الآن؟

- نحن ثوار الريف الحلبي عملنا على تحرير مناطقنا بالكامل في معارك عنيفة وطويلة، وبعد نجاحنا في المهمة بدأنا بتوحيد كتائبنا تحت راية لواء التوحيد، ورأينا أن تحرير حلب سيكون مهمًا للغاية في إسقاط النظام، لأنها العاصمة الاقتصادية التي يعوّل عليها النظام كثيرا، كما أنها الأقرب إلى طرق الإمداد من قرانا ومدننا المحررة، وقد شارك في المعركة أيضا الكثير من الثوار القادمين من إدلب القريبة ومناطق أخرى استكملت تحريرها، وخطتنا الآن تقتضي تحرير المدن والمناطق بالتسلسل وصولا إلى دمشق لإسقاط النظام كله.

هل يعني هذا أنكم تسعون للسيطرة على البلاد بالتدريج وليس إسقاط رأس النظام؟

- نحن نعمل على عدة جهات، فإذا استطعنا إسقاط رأس النظام مباشرة فكان بها، وإلا فسنتابع معاركنا لتحرير المناطق واحدة تلو الأخرى، إلى أن نحاصره في منطقة ضيقة للقضاء عليه.

هناك الكثير من الانتقادات للجيش الحر بشأن صور وشهادات عن إعدامات ميدانية بحق الأسرى من "الشبيحة"، خصوصا إعدام مجموعة من آل برّي في حلب، فما تعليقكم؟

- نحن لدينا محاكم شرعية وقانونية للنظر في أمر الأسرى، وكان حكم إعدام

هؤلاء الشبيحة الذين ثبت تورطهم في القتل صحيحا وعادلا، لكن الخطأ جاء في طريقة التنفيذ، والمشكلة هي أن العالم يسلط الضوء على خطأ واحد صدر منا بينما يتساهل مع ما فعله جيش النظام في حمص وداريا والحولة وغيرها من مجازر تتكرر كل يوم، فلماذا لم نسمع كل هذا النقد بحق مجزرة ذهب ضحيتها ٣٦ شهيدا و٤٠ جريحا عندما رمت طائرة برميلا متفجرا على الأهالي المتجمعين أمام مخبز في قاضي عسكر بحلب؟

يقال إن النظام يستعد لمقاضاتكم أمام المحاكم الدولية بشأن هذه الأفعال التي تعترفون بأنها أخطاء وقعت بالفعل، فهل أنتم مستعدون للدفاع عن أنفسكم؟

- نحن مستعدون لأي محكمة، فلدينا توثيق لمحاكمنا ولإجراءات التحقيق لدينا، وقد سبق أن أعلنّا الاستعداد لفتح أبواب سجوننا لمن يريد زيارتها.

وهل اتخذتم إجراءات لمنع تكرار هذه الأفعال؟

- نحن نحاول منع تكرار الأخطاء قدر المستطاع، لكننا لا نملك سلطة على كل من يقاتل باسم الجيش الحر، فالأخطاء الفردية لا يتحمل مسؤوليتها إلا صاحبها، والأخطاء أمر طبيعي الحدوث بداهةً.

يرى البعض أن الثورة السورية تأخذ منحى إسلاميًا، بغض النظر عن تنوع أطياف التيار الإسلامي بين التشدد والاعتدال، فما رأيكم؟

- لا تنس أن أكثر من ٨٠٪ من الشعب السوري مسلم، وأن مظاهراتنا خرجت في البداية من المساجد، فمن الطبيعي أن يكون طابع الثورة إسلاميًا، وهذا لا يعني أي

إقصاء للآخرين، فنحن نفتح أبوابنا لكل من يريد أن يشارك معنا من المواطنين مهما كان انتماؤه ودينه، ولا يُعقل أن نطرد أحدًا يريد مساعدتنا وهو يسعى معنا لإسقاط النظام الذي يضطهد كل فئات الشعب.

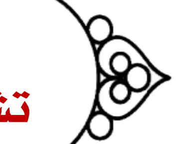
عقدتم قبل أيام مؤتمرا صحفيا في إسطنبول، وقد استقبله الإعلام التركي والعربي باهتمام ملحوظ، كيف تقيمون المؤتمر؟ وما مطالبكم؟

– انطباعي في العموم جيد، فقد حاولنا إيصال صوتنا للعالم الذي ما زال يطالبنا بتوضيح الصورة رغم كل هذا القتل اليومي الذي يتعرض له الشعب السوري. نحن نرى أن هناك مؤامرة عالمية على الشعب السوري، فكل يوم نسمع تصريحات تطالب الأسد بالتنحي من دون أي تحرك فعلي، ونحن نتساءل ما الذي يمنعهم من دعمنا وتسليحنا أو حمايتنا؟

العالم ينظر إلينا أيضا على أننا جيش حر يقاتل جيش النظام، لكننا لسنا جيشا بل كتائب من الثوار الذين يغنمون السلاح من النظام ليقاتلوه به، ويبدو أن العالم يريد أن يطول أمد الحرب حتى تنهار البنية التحتية للبلاد، وسيسجّل التاريخ هذه المؤامرة بحق شعبنا.

وهل تجدون دعما كافيا من الدول العربية، سواء الحكومات أو الشعوب؟

– الدعم ليس كافيا، فبالرغم من أننا نشعر بتعاطف الشعوب معنا، لكن الدعم الرسمي ما زال ضعيفا.



ثوار شمال حلب يبدؤون تشكيل "دولتهم" المدنيّة

الجزيرة نت- ١٠ سبتمبر ٢٠١٢

صورة للمعبر الحدودي من الجانب السوري (بعدسة المؤلف)

على بعد ٥٠ كيلومترا من ساحة المعركة الدائرة في مدينة حلب، تبدو الصورة مختلفة تمامًا عند معبر باب السلامة على الحدود السورية التركية، إذ تغيب كلّ مظاهر السلطة التي قبض بها النظام السوري على المنطقة منذ عقود.

فمنذ اللحظة الأولى لوصولنا إلى المعبر، رأينا علم الاستقلال السوري[1] يرفرف في مقابل العلم التركي، كما بدا واضحًا توزيع المهام العسكرية والأمنية والمدنية بين المعارضة السورية والجانب التركي، وكأنّ المعارضة تعمل على إثبات قدرتها على القيام بأعباء الحكومة، في حال نجاحها في إسقاط النظام.

وما إن تخطّينا الحاجز التركي حتى استوقفنا رجال الجيش الحرّ المسلحون، ثم وضع شاب في مقتبل العمر الأختام على جوازاتنا وأدخل البيانات على الحاسوب، ليستقبلنا الناطق باسم "لواء عاصفة الشمال" -التابع للجيش الحرّ- محمد نور ويستعرض معنا المكاتب التي غنِمها الثوار من قوات النظام، ووظّفوها في إدارة نظامهم الناشئ.

سيطرة وتنظيم

يقول نور إن القصة بدأت في مطلع يوليو/ تموز الماضي، عندما قرر اللواء التابع للجيش الحر محاصرة المجمّع الأمني الكبير في بلدة إعزاز بريف حلب، إضافة إلى عدد من الكتائب العسكرية.

ويضيف أن الحصار استمر ستة عشر يومًا، لينتهي بانشقاق عدد كبير من الجنود وانسحاب البقية، وبعد أسبوع تراجعت كل كتائب الجيش النظامي إلى مطار منّغ العسكري المحصّن، وأعلن الثوار سيطرتهم على بلدة إعزاز ومعبر باب السلامة وكامل الجزء الشمالي من محافظة حلب.

---

(١) هو العلَم الذي تبنّته الحكومة السورية بعد جلاء الاحتلال الفرنسي في عشرينات القرن العشرين، والذي رفعته المعارضة منذ بداية الثورة في مقابل العلَم الذي يعتمده النظام منذ سيطرة حزب البعث على السلطة، ويتميز الأول بشريط أخضر بدلا من الأحمر.

ويشير نور إلى أن أوّل ما قام به الثوار هو إعادة تشغيل المخابز التي تعطلت بسبب القصف، ثم أعطوا الأمان لموظفي مديريات الماء والكهرباء -الذين كانوا متعاطفين مع النظام- ليعودوا إلى وظائفهم، وبدؤوا بتشكيل خمس كتائب لإدارة شؤون المنطقة، ثلاث منها عسكرية، وأخرى مكونة من رجال الشرطة وحرس الحدود المنشقين، إلى جانب كتيبة طبية وأخرى إغاثية.

وخلال جولتنا في المعبر، استوقفنا مشهد عدد من الشباب العاملين في تنظيف الشوارع، وآخرون يقومون بطلاء الأرصفة، في حين يتعاون فريق آخر مع منظمات إغاثية تركية لملء أوعية ضخمة من الطعام وتوزيعها على اللاجئين.

عسكري ومدني

ومن جهته، لا يرى قائد لواء عاصفة الشمال النقيب أحمد غزالة أي تداخل في المهام العسكرية والأمنية، إذ قال في حديثنا معه إن ظروف المعركة تستدعي تكامل الجانبين قياسا إلى حالة الطوارئ، مؤكدا أن الجناح العسكري في اللواء يخضع للسياسي.

وردًا على ما يقال عن سيطرة جنود المنطقة وحدهم على المعبر الحدودي من بين تشكيلات أخرى في الجيش الحر، أكد غزالة أن لواء عاصفة الشمال ليس مقتصرا على جنود منطقة إعزاز بل يشمل كل المنشقين والمتطوعين من الشمال الحلبي، مشيرا إلى أن زملاءه لم يترددوا في تنصيبه قائدا على الرغم من كونه منشقا من محافظة درعا الجنوبية.

وأضاف أن ما يجنيه اللواء من رسوم جمركية وضرائب على الخروج يتم تحويلها بالكامل لأعمال الإغاثة، مؤكدا أنها لم تُفرض إلا بعد نزوح نحو ستة آلاف لاجئ إلى المعبر وإقامتهم فيه بانتظار سماح السلطات التركية بإيوائهم في ملاجئها المكتظة.

أما عن مشكلات التهريب، فقال إن اللواء شكّل دوريات خاصة لملاحقة المهربين الذين يستغلون ارتفاع أسعار المواشي في تركيا لبيعها هناك بضعف سعرها في سوريا، في حين يعاني السوريون من قلة الموارد.

وأكد لنا أن اللواء يضم لجانا شرعية وقضائية، وأنها تقيم محاكمات مستوفية للشروط القانونية في حق المدانين بأحكام جنائية قبل سجنهم.

وقبل اختتام حوارنا مع النقيب غزالة -وهو ابن عم رئيس الأمن السياسي في النظام السوري رستم غزالة- تساءلنا عن إمكانية نجاح الثوار في الإمساك بزمام الأمور مدنيا وعسكريا في حال إسقاط النظام، فقال إن الأخطاء أمر وارد في طور البناء وخصوصا مع تزايد الأعباء، مضيفا "نرجو ألا تصدّقوا كل ما يقال عنا من شائعات، فنحن جزء من الشعب السوري ولسنا ممثّلين عنه من الخارج".

❋ ❋ ❋ ❋



من إعزاز إلى حلب.. مسيرة النزوح والدمار

الجزيرة نت- ١٢ سبتمبر ٢٠١٢

ما إن تجاوزنا معبر باب السلامة الحدودي، حتى بدا أننا على مشارف عالم مختلف، إذ تبدلت صورة المعالم السياحية والمزارع الخصبة في لواء الإسكندرون بجنوب تركيا، لتتحول إلى مخيمات لجوء وطرق وعرة وبساتين جافة في شمال محافظة حلب، ولنفاجأ ببقايا أول دبابة مدمرة على بعد كيلومترين من الحدود، وكأنها مقدّمة لآثار المعركة الحامية التي خسر فيها جيش النظام السوري بلدة إعزاز وكامل الشريط الحدودي.

وعند مدخل البلدة، ما تزال "مقبرة الدبابات" تستقطب صحفيي ومصوري العالم، إذ تقبع الدبابات المدمرة أمام ركام المسجد الكبير، الذي أراد الأهالي أن يجعلوا منه رمزا لبلدتهم، قبل أن يصبح رمزا لحرب طاحنة تعصف بالبلاد.

قرى متهالكة

يشير مرشدنا إلى ثكنة عسكرية متفحمة، كُتبت على جدرانها شعارات "الأسد أو نحرق البلد"، بينما تحمل جدران مجاورة شعارات الجيش السوري الحر الذي حوّل مواقع قوات النظام إلى ركام. ويقول إن الطريق الرئيسي لم يجرؤ أحد على

عبوره قرابة العام، بسبب عشرات القناصين الذين كانوا يتوزعون على مآذن المساجد لقتل كل من يعبره.

وبينما نستمع إلى أنشودة بصوت مرشدنا عن "مجزرة إعزاز"، يقودنا بسيارته إلى موقع رمزي آخر، حيث سقطت أربع قنابل -حسب ناشطين- لتُحوّل عشرات المنازل إلى مقابر لأصحابها، في حين يحاول بعض الأهالي ترميم جدران المنازل المحيطة التي لم تدمر بالكامل.

وتبدو البلدة شبه خالية من السكان، حيث ما تزال قذائف المدفعية والطائرات تسقط بين حين وآخر لوجودها بالقرب من مطار منغ العسكري، وهو الموقع الوحيد في شمال حلب الذين لم يسقط بعد بأيدي الثوار، بينما تزدحم قرى أخرى على جانبي الطريق المؤدي إلى حلب بآلاف اللاجئين الذين فروا من نيران المعارك في المدينة.

وأينما التفّت بنا السيارة في الطرق الرئيسية أو الجانبية الوعرة، تقع أعيننا على الشعارات الثورية التي تملأ الجدران في كل قرية، وخصوصا على جدران المؤسسات الحكومية وواجهات المحلات المقفلة.

جبهة حلب

ومع وصولنا إلى مدينة حلب، تتبدى مظاهر السيطرة الكاملة للجيش الحر على مناطق واسعة، فالحواجز العسكرية تنتشر عند مداخل معظم الأحياء الشمالية والشرقية، بينما تلوح مظاهر الدمار في كل الأحياء التي خرجت عن سيطرة النظام.

ويتوجّه بنا السائق إلى حي الحيدرية، حيث ما زال الأهالي يعملون بجدّ على إخراج أربعة مفقودين من تحت أنقاض أحد المباني بأيديهم المجردة.

يقول أحدهم إن طائرة مقاتلة أسقطت قنبلة على الحي مساء أمس، فاخترقت الطابق الأخير لبناء من ستة طوابق، ثم استقرّت في بناء متواضع مكوّن من طابقين لتنفجر بعد دقائق، مضيفا وهو ينفخ دخان سيجارته "انتشلنا زوجة عمي وطفلتها، وما نزال نبحث عن البقية".

وبينما يصرخ بنا الرجال المفجوعون مطالبين بتدخل العالم عبر وسائل الإعلام، تصل جرافة تحمل شعار "لواء التوحيد" لتسريع انتشال الضحايا، بينما يدوّي أزيز طائرة أخرى، ويشير الجميع إليها وهي تهوي بسرعة فائقة لترمي حمولتها قبل أن تعاود الصعود.

وعلى الفور يصرخ أحد الشباب "لا تتجمهروا.. تفرقوا سريعا"، وبعد دقائق يتصاعد الدخان في حي الصاخور المجاور.

وعلى بعد أمتار قليلة، نرى عشرات الأهالي يصطفّون أمام مخبز صغير، وهو المتجر الوحيد الذي يفتح أبوابه في الحي منذ نحو شهرين كما يقول البعض.

ويحدّثنا شاب اسمه محمد طاهر عن إدراك الجميع لخطورة التجمع أمام المخابز التي باتت هدفا لطائرات النظام، لكن حاجة الناس لإطعام أطفالهم قد تدفعهم لهذه التضحية كل صباح.

* * * *



قصف عشوائي على مدار الساعة.. أهالي حلب يتوقعون الموت في أي لحظة

الجزيرة نت- ١٤ سبتمبر ٢٠١٢

الطائرات المقاتلة تجوب الأجواء طوال النهار، والمروحيات تحلق على ارتفاع منخفض قادمة من مطار حلب العسكري. ومع غروب الشمس، يحين موعد هطول القذائف من مدرسة المدفعية في شمال المدينة، أما أعمدة الدخان الأسود فهي شيء يُتوقع رؤيته في أي لحظة.

هذا هو حال مدينة حلب، إحدى أقدم المدن المأهولة في العالم، وثاني المدن السورية أهمية، والتي يؤكد الجيش الحر أنه سيطر على ٧٠٪ من أراضيها، وهي المساحة التي يصرّ النظام على قصفها باستمرار، ليستيقظ الأهالي صباح كل يوم على أنباء المباني التي دمرت وعدد الذين قتلوا تحت ركامها.

قصف عشوائي

توجهنا صباح الخميس إلى حي طريق الباب الذي ينتشر فيه عناصر الجيش الحر، حيث سقطت قذيفة قبل يوم على مبنى سكني لتدمر طابقيه العُلويين، بينما لا يزال السكان يسعون لالتقاط أي مؤشر على الحياة من تحت الأنقاض.

طلبَ منا البعض أن نتوجه إلى زقاق مجاور لتوثيق مأساة أخرى، فوجدنا

أنفسنا أمام مبنى تمت تسويته بالأرض. وكالعادة، ما إن يرى السكان كاميرا الصحافة حتى ينفجروا غضبا.

يبدأ أحدهم بتمزيق ثيابه من الغضب، ويصرخ آخر ليحمّل العالم كله مسؤولية مقتل الأطفال والنساء تحت أنقاض منازلهم، ويتساءل شيخ مسن "أليس هذا ما تريده أميركا وإسرائيل لشعبنا؟".

يحاول بعض الجيران تهدئتهم، ويتشاجر الطرفان في جدال ساخن حول دور الإعلام في نقل ما يحدث، بينما يصر البعض على أن العالم يعرف الحقيقة لكنه لا يكترث.

تزداد سخونة الأجواء مع ارتفاع دوي الطائرات التي تحلق فوق المكان، ليصرخ بعض الشباب كل حين بضرورة التفرق كي لا يغري تجمُّعُنا قائد الطائرة بإلقاء قنابله وقتل أكبر عدد ممكن من البشر.

تحت الأنقاض

نتوجه إلى حي الصاخور لاستطلاع مبنى تم قصفه قبل أربعة أيام، ويكشف لنا أحد الأهالي غطاءً عن أرضية الدور الأرضي فيطلّ من تحته وجهٌ منتفخ بين الركام، وقد أصبح الآن مادةً للتصوير، وما هي إلا دقائق حتى وصل فريق من الجيش الحر لانتشال الجثة.

يحدثنا أبو محمد عن سقوط صاروخ من زاوية جانبية ليصيب الدور الأرضي من المبنى الفخم، حيث انفجر الدور كله وانهارت أرضيته على القبو، بينما لا يزال المبنى قائما.

ويضيف أن الصاروخ استهدف الموقع حيث كان يقيم فيه عناصر من الجيش الحر، ويقول "انتشلنا أربعين جثة في اليوم الأول، وما زال هناك أربعة مفقودين على الأقل".

ولدى سؤالنا عن تسبب وجود الجيش الحر في المنطقة بمقتل المدنيين، يقول شاب آخر إن قوات النظام لا تستهدف هؤلاء المنشقين فحسب، فالقصف بات عشوائيا في كل الأيام وعلى مدار الساعة.

وقد يؤكد هذا الرأي ما رأيناه في حي مساكن هنانو المجاور، حيث أسقطَت قذيفةٌ مبنى كاملا من أربعة أدوار، وأحالته إلى ركام، ولم يكن فيه أيّ مقاتل من الثوار.

وبعد خمسة أيام من الحفر بين الحديد وكتل الإسمنت، أوقف السكان عمليات البحث عن أربعة مفقودين، نصفهم من الأطفال، لعدم توفر المعدات الكافية، بينما ينتظر جميع من تبقى في هذه المدينة مصيرا مرعبا كهذا في أي لحظة.

* * * *

الجمعة في حلب..
مظاهرات وقصف وقتال

الجزيرة نت- ١٥ سبتمبر ٢٠١٢



مظاهرة خرجت بعد صلاة الجمعة في مسجد بحلب (بعدسة المؤلف)

تكاد شوارع "حلب المحررة" -كما يسميها الثوار- تخلو من سكانها، بينما تزدحم سماؤها بالغارات الجوية لمقاتلات جيش النظام، في حين تمتلئ الأحياء الأخرى التي تحيط بها الحواجز العسكرية بالنازحين.

قصدنا أحد الجوامع الكبرى التي كانت سابقا تغص بالمصلّين، فلم نجد سوى عشرات من الأهالي الذين فضّلوا البقاء في أحيائهم تحت خطر الموت المتوقع بأي لحظة، ووقف بينهم شيخ شاب ليخطب ممتشقا بندقيته، بينما كان عناصر الجيش السوري الحرّ يحرسون مدخل الجامع الذي تحلق فوقه الطائرات، ويوزع ناشط آخر منشورات تدعو لمقاطعة الداعمين لنظام بشار الأسد.

وفي الخطبة، دعا الشيخ مستمعيه للجهاد والصبر، مؤكدًا أن السوريين يتعرضون لمؤامرة تستهدف دماءهم ومقدساتهم، وما إن اختتم صلاته حتى صدح أحد المصلين بالتكبير، وانطلق الجميع في مظاهرة تجوب الشوارع المحيطة.

واللافت أن أهالي حلب ليسوا معزولين عما يحدث في العالم بالرغم من معاناتهم، إذ رفع بعضهم لافتات للدفاع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بالتزامن مع مظاهرات مماثلة تجوب شوارع الدول الإسلامية في هذه الأيام احتجاجًا على فيلم أميركي مسيء لرسول الإسلام.

وبينما كنا نحاول التقاط بعض الصور، كانت طائرة حربية تحلق فوق رؤوسنا على ارتفاع منخفض، ثم أطلقت نيرانها على موقع مجاور، فتفرق المتظاهرون في حالة ذعر، وسرعان ما عاودوا التجمع والهتاف أكثر من مرة.

قصف ودمار

تجولنا في "سوق بعِيدين" الذي كان يمتلئ عادة بالمتسوقين بعد صلاة الجمعة، فوجدناه خاويا على عروشه، إلا من بعض المغامرين الذين بسطوا بضاعتهم من الخضراوات والفواكه التي بلغت أسعارها أرقاما قياسية.

واستوقفنا الدمار في أحد الأحياء، حيث طالبَنا مَن بقي مِن الأهالي بعدم الإفصاح عن المكان في تقريرنا الصحفي، خشية التعرض للمزيد من القصف، إذ سقطت بالأمس قذيفتان على مدرسة ابتدائية فهدمت أجزاء منها وتركت حفرتين في ساحتها.

وعلى مسافة قريبة، شرح لنا رجل مسنّ قصة سقوط برميل متفجر مع ثلاث قذائف جوية على سبعة منازل شعبية لتحيلها إلى أنقاض، وبالرغم من عدم إصابة أهلها بأذى بسبب نزوحهم فإن تسعين شخصا -وفق قوله- أصبحوا بلا مأوى.

وخلال تجولنا، كان الأهالي يتنافسون على دعوتنا لزيارة أزقّتهم المجاورة، فلا يكاد أحدها يخلو من سقوط قذيفة أو صاروخ أو برميل متفجر، ثم يودعوننا في كل مرة بعبارة "الله يحميكم."

قتال مستمر

وفي موقع آخر، حيث يسيطر الجيش الحر على أحد المباني الأمنيّة التابعة سابقا للنظام، أكد لنا الثوار سقوط برميلين متفجرين بالقرب منه، ليتركا حفرا ضخمة في الطريق، كما عدّد لنا أحدهم عدد البراميل والقذائف التي أصابت محيط المبنى ليصل إلى أحد عشر خلال أسبوعين.

وقال أحد الأهالي، ويدعى أبو محمد، إن طائرات النظام لا تصيب الأهداف العسكرية للجيش الحر، بل تدمر المنازل في الأحياء التي تحتضنهم لإجبار الأهالي على طردهم، بينما أخبرنا آخرون أن الأسلحة القديمة التي بحوزة جيش النظام تفتقد للدقة الكافية لإصابة الهدف.

وبينما تدور معارك حامية عند إحدى نقاط التماس وسط المدينة، استطلعنا أحد المطاعم الكبرى التي خصّصها صاحبها لإطعام مقاتلي الجيش الحر، وبعد اشتراطه عدم الإشارة إلى المكان، قال لنا إنه يتولى يوميا إطعام خمسة آلاف مقاتل.

وخلال الحوار، تقدم أحد العناصر المسلحين ليخبر صاحب المطعم بأنه أخطأ في تعداد الوجبات أثناء تحميلها السيارة قبل نقلها لجبهات القتال، فردّ عليه مسرعا "ستتسامح معكم"، وتابع حديثه قائلا إن ارتفاع أسعار اللحوم أجبرهم على الاكتفاء ببعض الخضراوات.

❉ ❉ ❉ ❉



تدمير المنازل.. إستراتيجية النظام السوري لمعاقبة شعبه

الجزيرة نت- ١٦ سبتمبر ٢٠١٢

"كنا لا نصدق ما يفعله الصهاينة عندما يعاقِبون أبطال المقاومة بهدم منازلهم، والآن أصبحنا نرى الأمر بأعيننا وعلى أيدي أبناء وطننا"، هكذا يقول ناشط سوري أصرّ على إخفاء اسمه الحقيقي وهو يرصد حالات عدة لعمليات هدم المنازل على يد قوات النظام، سواء بالصواريخ أو بالجرافات، أو بالحرق والسلب.

ويقول الناشط أبو تحسين إن دبابات النظام دمرت منزله، ومنازل ناشطين آخرين في دير الزور، منذ أول اقتحام للمدينة في مطلع رمضان من العام الماضي، وأكد أن "المدينة الآن باتت كلها مدمرة، حيث لم تعد قوات النظام تميز في القصف بين معارض أو مؤيِّد."

ويتحدث أبو تحسين عن صعوبة امتلاك العقارات في سوريا قائلا إن شراء منزل صغير وتأثيثه هو حلم يراود كل شاب سوري، وإن انهيار هذا الحلم أمام أعين السكان قد يعني لدى بعضهم ضياع جهد العمر كله.

معاقبة الثوار

وفي مدينة إعزاز الملاصقة للحدود التركية، أصبحت المجزرة التي هُدم فيها ٣٤ منزلا قبل أشهر أحد معالم الثورة السورية، ففي عملية عسكرية واحدة تحول

أحد الأحياء الشعبية إلى ساحة مكشوفة تتراكم فيها الأنقاض فوق جثث أكثر من ٤٠ شخصا.

وفور وصولنا الموقع، تجمع حولنا عدد من سكان الحي ليحكي كل منهم عن فقده عددًا من أقاربه مع منزله، ومنهم الشاب محمد الحمادي الذي كان جالسا في فناء بيته للطبخ على الحطب مع عمه، وما إن سمع صوت اختراق طائرة مقاتلة لجدار الصوت حتى سارع للاختباء في ممر خلفي، ليرى بعينه المنزل ينهار على عمه ويقتله.

ويتحدث شباب الحي عن جهود الإنقاذ التي بذلوها بوسائلهم البسيطة، بينما ما تزال رائحة التفسخ موجودة في المكان، مع تأكيدهم وجود أربعة مفقودين لعدم قدرتهم على إزالة الأنقاض الكبيرة.

أما عن سبب هذا التفجير، فيقول أحدهم إن النظام يريد معاقبة سكان البلدة الذين طردوا عناصر جيشه بالكامل، وتمكنوا من السيطرة على معبر باب السلامة الحدودي المجاور، كما أن معظم مقاتلي الجيش السوري الحر في البلدة يشاركون الآن في المعارك بحلب.

قصف عشوائي

أما مدينة حلب، التي تشهد حملة عسكرية عنيفة منذ ٥٥ يوما، فلا ينقطع القصف عن أحيائها التي ينتشر فيها الجيش الحر طوال اليوم، إذ تلقي الطائرات والمروحيات قنابلها عشوائيا على المنازل المتهالكة في أحياء الصاخور والحيدرية

والكلّاسة والشعّار وغيرها منذ الصباح، بينما تتابع مدافع مدرسة المشاة (شمال حلب) مهمة القصف بعد غروب الشمس.

أما نقاط الاشتباك مع الجيش الحر فتحوَّلت المباني فيها إلى أنقاض، ومنها حي صلاح الدين الذي قصفت الدبابات معظم مبانيه لإجبار الجيش الحر على التراجع، وهي الإستراتيجية التي سبق للنظام أن طبقها منذ فبراير/ شباط في حيي بابا عمرو وجورة الشياح بحمص.

وزرنا صباح السبت أحد أحياء حلب القديمة، واستمعنا إلى قصة شاب نزح من بلدة حرستا في ريف دمشق هربا من القصف، وما إن استقر في منزله الجديد حتى قصفت طائرة مقاتلة مدرسة بالقرب من منزله لتنهار أجزاء منه.

والأمر ذاته يتكرر في معظم الأزقة القديمة، فحيثما توجهتْ أعين زائري هذه الأحياء ستقع على أنقاض منازل منهارة بالكامل.

وبالرغم من اختلاف أجوبة الأهالي عن عدد الضحايا والمصابين، يتفق الجميع على جملة واحدة تفيد بأنهم ليسوا إرهابيين -ردًا على رواية النظام- وألا علاقة لهم أيضًا بالجيش الحر.

وبهذا الصدد، يقول لنا أحد مقاتلي الجيش الحر، ويدعى أبو أحمد، إن النظام يتعمد تدمير المنازل عشوائيا في الأحياء التي انسحبت منها قواته، وذلك لمعاقبة أهلها والانتقام منهم أولا، ولتحميل الجيش الحر مسؤولية الدمار الذي يحلّ بهذه الأحياء، ومن ثمّ انتزاع الحاضنة الشعبية التي يعتمد عليها الثوار.

حلب.. القصف والنزوح يرسمان معالم العام الدراسي الجديد

الجزيرة نت- ١٧ سبتمبر ٢٠١٢

السادس عشر من سبتمبر/ أيلول هو يوم مشهود من كل عام في سوريا، حيث تُفتح أمام ملايين الطلاب أبواب المدارس والجامعات والمعاهد في مختلف المستويات والتخصصات، لكنه يبدو مختلفا هذا العام في معظم القرى والمدن السورية، وهو أكثر دراميّة في مدينة حلب، العاصمة الاقتصادية للبلاد.

اتصلنا هاتفيا بصاحب مكتبة في وسط المدينة لنلتقي به في مكتبته التي أغلقها منذ أشهر، وأثناء اللقاء حدثنا "أبو إسلام" عن ذكريات العام الماضي، حيث كان يكسب نحو ألف دولار يوميا خلال الأسابيع الأولى من العام الدراسي، وهو موسم بيع الحقائب وأدوات القرطاسية وأزياء الطلبة، لكن البيع متوقف تماما هذا العام.

وكي تكتمل الصورة، انضم إلى اللقاء أحد المتطوعين لدى الجيش السوري الحرّ، إذ كان "أبو محمود" تاجرا في أسواق الجملة للمكتبات بحلب، قبل أن يحمل السلاح وينضمّ للثورة.

وقال أبو محمود إنه كان لا يجد وقتًا للنوم في مثل هذه الأيام من كل عام، لتزايد الطلب على مستلزمات المدارس، بينما يمتلئ وقته الآن بقيادة العمليات العسكرية على خطوط الجبهة في الأحياء المشتعلة بوسط المدينة.

قصف ونزوح

وخلال جولتنا في الأحياء التي تتعرض يوميا للقصف بشرق حلب وشمالها، لم نجد مدرسة واحدة إلا طالتها الغارات الجوية، بل أخبرنا العديد من سكان المنازل المحيطة بالمدارس أن الكثير من الأهالي هجروا بيوتهم لعلمهم المسبق بأن المدارس باتت أهدافا مفضّلة لطائرات النظام.

أما الأحياء التي تسيطر عليها قوات النظام وتحيطها بحواجز عسكرية فتمتلئ معظم مدارسها بالنازحين من الأحياء الأخرى والقرى المحيطة، لذا لم تفتح نحو ٧٠٪ من مدارس حلب أبوابها لطلابها في يومها الدراسي الأول.

وفي جامعة حلب يبدو الأمر أكثر سوءًا، فالسكن الجامعي تحوّل أيضًا إلى ملاجئ تؤوي نحو ٨٥ ألف نازح، وفقًا لإفادة ناشط جامعيّ اشترط عدم ذكر اسمه.

وبالرغم من هذه الصعوبات، قال مدرس -طلب إخفاء اسمه- إن وزارة التربية اشترطت على المدرسين التوجه إلى أقرب مدرسة لمكان سكنهم أو نزوحهم وإثبات وجودهم لمدة أربع ساعات يوميا، وإلا فإنهم سيُحرمون من رواتبهم.

وأضاف في حديثه معنا أن الكثير من المدرسين نزحوا إلى خارج المدينة بعدما تحولت المدارس إلى ملاجئ، كما أن جميع المدارس في الأحياء المضطربة لم تفتح أبوابها، ما يعني استحالة حصول المدرسين على رواتبهم مع أنهم في أمسّ الحاجة إليها.

أجل غير مسمى

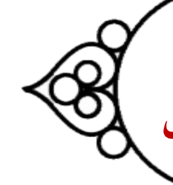
وكان تلفزيون النظام الرسمي أعلن تأجيل امتحانات الدورة الثالثة لطلاب الجامعات منذ شهرين، لكن جامعة حلب اضطرت لتأجيلها ثلاث مرات، لتبقى في نهاية المطاف أسيرة التأجيل غير المسمى.

وقالت طالبة دكتوراه في جامعة حلب -طلبت عدم ذكر اسمها- إن العام الدراسي السابق لم ينته بعد ليبدأ العام الجديد، حيث لم يتقدم الطلاب إلى الامتحانات الأخيرة للعام الماضي ليحصلوا على نتائجها.

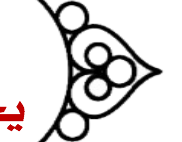
وتضيف أن المعاهد لم تؤجل امتحاناتها بل طالبت طلابها بالتقدم إليها أمس، لكن الطلاب المقيمين خارج المدينة ما زالوا عاجزين عن الوصول إلى معاهدهم لانعدام الأمن في الطرق وامتلاء السكن الجامعي بالسكان الفارين من شبح الموت.

وفي هذا السياق، ما زال طلاب الدراسات العليا عاجزين عن متابعة أبحاثهم منذ أكثر من شهرين بسبب تزايد العنف في مدينة حلب التي باتت مسرحا لقذائف الدبابات والطائرات الحربية.

❊ ❊ ❊ ❊



ناشطو الثورة الإعلاميون في حلب يحرقون المراحل من الهواية للاحتراف



الجزيرة نت- ١٨ سبتمبر ٢٠١٢

الناشط "أبو فراس الحلبي" في أحد مقرات الجيش الحرّ (بعدسة المؤلف)

مع تطور الحراك الثوري داخل سوريا، وتداخل العمل العسكري مع الاحتجاج السلمي، أصبح العمل الإعلامي أحد أكثر الأسلحة أهمية وخطورة في

صراع الثوار والناشطين ضد النظام، ولعل جبهة المواجهة في حلب هي الأكثر حيوية في الساحة الإعلامية نتيجة تصاعد وتيرة القتال وسرعة تطور الأحداث فيها.

وخلال جولتنا في الأحياء التي تسيطر عليها المعارضة من مدينة حلب، التقينا بالعديد من الناشطين الذين اقتحموا المجال الإعلامي من أخطر أبوابه، لا سيما أن العديد منهم لم يكن قد امتهن مجال الصحافة من قبل.

وفي لقاء أجريناه داخل أحد مقرات الجيش السوري الحرّ، قال الصحفي رأفت الرفاعي إن النظام أدرك منذ البداية أن حربه مع الثوار حرب إعلاميّة بالدرجة الأولى، لذا عمِد النظام إلى تشديد الخناق على كل الصحفيين والناشطين المتعاونين مع الإعلام بدرجة أكبر من مواجهته لعناصر الجيش الحر الذين يحملون السلاح.

وكان الرفاعي قد اعتقل في بداية الثورة من قبل جهاز المخابرات الجوية، وتم التحقيق معه لأكثر من شهر، نتيجة تعاونه مع وسائل إعلام خارجية تقدم أخبارًا غير متوافقة مع رؤية النظام، وهو يعمل الآن على تطوير مهارات الشباب الناشطين في مجال التصوير ونقل الأخبار عن مجريات الأحداث في حلب.

وأضاف الرفاعي في حديثه معنا أن حلب كانت تحفل بالكثير من الكفاءات الإعلامية قبل اندلاع الثورة العام الماضي، لكن معظم الإعلاميين اضطروا للهجرة، وما يزال آخرون يعملون تحت أسماء مستعارة أو من مواقع لا تصل إليها يد النظام.

وأشار إلى أن طبيعة الحراك الثوري تستلزم انخراط الشباب في التغطية ومراسلة الوسائل الإعلامية الدولية، مما أدى إلى نشوء ظاهرة الناشطين الإعلاميين.

شبكة من المراسلين

وفي أحد المواقع المحصنة بمدينة حلب، حضرنا اجتماعًا عقده ناشطون في العقد الثالث من أعمارهم، لتأسيس شبكة "حلب نيوز"، بحضور نحو ثلاثين مراسلا قدِموا من معظم أحياء المدينة.

وبعد تقديم عدد من الدروس الإعلامية، وُزّعت استمارات التسجيل بين الأعضاء، ثم بدأ بعضهم برواية تجاربهم وقصص مقتل زملائهم وإصابة آخرين، قبل أن ينتهي اللقاء بتوزيع معدّات للتصوير والاتصال بهدف تغطية الأخبار ميدانيًا.

وبعد الاجتماع، سألنا المراسل الميداني عبد الرزاق الفردوسي عن جُرح ظاهر في ساقه، فحدّثنا عن إصابته برصاصة متفجّرة أثناء تغطيته لأحد الاشتباكات، وقال إنه تمكن من تشكيل فريق مع أصدقائه لتغطية أهم الأحداث في منطقته، حيث يغطي أحدهم أحداث القصف ويتخصّص آخر بالمظاهرات، بينما يفضّل هو التوجه إلى جبهات المعارك.

ومع أنه لم يتلقّ تدريبا على إجراءات السلامة ولا يملك معدات الحماية الشخصية، أكد الفردوسي أنه يقف على الخطوط الأولى للاشتباكات، مضيفا "من أكثر المواقف التي تؤلمني أن أضحّي بحياتي كل يوم ثم لا أجد من وسائل الإعلام اهتماما كافيا بما أنقله إليها."

وفي المساء، راقبنا آلية عمل الشبكة داخل المقر، حيث تولّى خمسة محرّرين مهمة تلقي الأخبار العاجلة من المراسلين بعد إعادة انتشارهم، وسارعوا لإرسالها عبر الإنترنت إلى الفضائيات ووكالات الأنباء الدولية.

وأثناء مغادرتنا، كان مدير الشبكة يجري اتصالًا بجهاز لاسلكي مع أحد المراسلين، ويطلب منه التحقق من عدد جرحى تفجير حدث في حي الفردوس قبل نشره.

متحدثون إعلاميون

في موقع آخر قمنا بزيارته، رأينا عددا من الناشطين يديرون مكتبًا إعلاميًا تابعًا للواء التوحيد، وهو الجناح الأكبر للجيش الحر في حلب، حيث يتولى تغطية اشتباكات المقاتلين وتوثيقها بالصور والفيديو.

وإلى جانب التغطية، يقوم "أبو فراس الحلبي" بمهمة المتحدّث باسم المجلس الثوري في مداخلات إعلامية يومية على الفضائيات، وقال لنا -في لقاء على هامش عمله- إن نشاطه بدأ بتنظيم المظاهرات ونشر صورها على الإنترنت، ثم تطوّر إلى درجة تسلّمه عروضًا من الفضائيات للعمل مراسلا لها في حلب.

وحدّثنا خرّيج كلية علم الاجتماع عن عمله طويلا تحت أسماء مستعارة، إلى أن تمكنت المخابرات من كشف هويته الحقيقية في أحد مقاهي الإنترنت، لكن نجاحه في الهروب والتخفي ثم تصعيد العنف من قبل النظام أدى إلى اقتناعه بضرورة الظهور العلني على الشاشات، وخصوصًا في ظل الحظر الذي يفرضه النظام على وسائل الإعلام التي لا توافق رؤيته.

انقضت لقاءاتنا السريعة في غرف الأخبار الخفيّة التي يديرها الناشطون، ووجدنا أنفسنا مضطرين للاعتذار عن الوقت الذي اقتطعناه من ساعات عملهم المزدحمة.

وقبل المغادرة، تلقينا الكثير من الثناء على الاهتمام بجهودهم، وودّعنا أبو فراس بابتسامة تتحدى أزيز الطائرة التي كانت تحوم فوق رؤوسنا قائلا "لو أصابتنا قذيفة واحدة، فسيضيع للأسف كل هذا الأرشيف من الصور الذي خاطرْنا بحياتنا لتسجيله"، ولكن يبدو أن الناشطين يعوّلون على آلاف المواد التي رفعوها على الشبكة العالمية، والتي قد تبقى لتحدّث الأجيال المقبلة عما عانوه من أهوال في سبيل قضيّتهم.

❋ ❋ ❋ ❋




المجلس الوطني السوري يعلن هيكلته الجديدة

الجزيرة نت- ٦ نوفمبر ٢٠١٢



جانب من اجتماعات المجلس الوطني (بعدسة المؤلف)

تابع المجلس الوطني السوري اليوم الثلاثاء جلساته التشاورية في العاصمة القطرية الدوحة، بحضور أعضاء مكتبه التنفيذي وهيئته العامة، مع عدد كبير من أعضائه الذين تم إقرار زيادة عددهم بنسبة الثلث.

وتدور في الأروقة تكهنات بشأن "هيئة المبادرة الوطنية السورية"، التي من المتوقع أن يطلقها معارضون سوريون بعد يومين.

وكان المجلس قد بدأ جلساته التشاورية أول أمس الأحد، ليبدأ اليوم أول اللقاءات المفتوحة بهدف الإعلان عن الهيكلة الجديدة للمجلس، التي استغرق إعدادها نحو شهرين، تم خلالهما التشاور مع التكتلات الثورية داخل سوريا ومعظم الكيانات السياسية في الداخل والمهجر.

وأعلن المجلس اليوم عن رفع نسبة تمثيل الحراك الثوري بين أعضائه إلى ٣٣٪، مع التأكيد على تخصيص ١٥ من المقاعد للمرأة، كما بلغت زيادة نسبة تمثيل الكيانات السياسية الجديدة ٤٥٪، وارتفع عدد الأعضاء الإجمالي من ٢٨٠ إلى ٤٠٠ عضو.

ثقة الشعب

وقال رئيس المجلس الوطني عبد الباسط سيدا إنه من الضروري الحفاظ على المجلس بوصفه المكون الرئيس في الفعل السوري المعارض، ولكونه قد "حصل على ثقة الشعب" مما ساعده على اكتساب التمثيل الدولي للسوريين، وأضاف أن أي عملية تستهدف المجلس بوعي أو بغيره ستؤدي لإطالة عمر النظام.

وتأتي هذه التصريحات في سياق المشاورات الجارية حاليًا بين قيادة المجلس الوطني والمعارض البارز رياض سيف -وهو عضو بالمجلس- الذي يدعو إلى تشكيل هيئة المبادرة الوطنية السورية لتكون حاضنة أكثر اتساعا للثورة، بحيث تناط بها مهمة تشكيل حكومة انتقالية.

وبالرغم من حضور سيف للاجتماعات، التي سيتواصل عقدها في الدوحة حتى غد الأربعاء، فمن المتوقع أن يؤجل الإعلان عن المبادرة إلى يوم الخميس، ريثما ينتخب المجلس الوطني رئيسا جديدا ويعلن عن أعضاء المكتب التنفيذي والأمانة العامة، وما زالت التكهنات تتردد بشأن موقع المجلس الوطني من المبادرة بين الاندماج والتنافس.

وفي سياق متصل، قال سيدا إن المعارضة مستعدة للتعاون مع كل من لم تتلطخ أيديهم بالدماء ولم يشاركوا في عمليات فساد كبرى من رموز نظام بشار الأسد، مضيفا "أما الزمرة المسؤولة عن القتل والدمار فيجب أن تحاكَم وترحل."

إنجازات ونقد

من جهة أخرى، استعرض المتحدثون في المؤتمر عددا من إنجازات المجلس الوطني، حيث سبق له الإعداد لدورات وورش عمل بشأن إدارة المرحلة الانتقالية، كما عمل على توثيق انتهاكات النظام بهدف ملاحقة المسؤولين عنها في المحاكم الدولية، وكان له دور في تنظيم مؤتمرين لإعادة إعمار سوريا في الإمارات العربية المتحدة وألمانيا، فضلا عن أنشطته الإغاثية والإنسانية.

وفي سياق ذي صلة، تحدث معنا ممثل مجلس قوى الأمن الداخلي العميد المنشق عوض أحمد العلي عن الجهود المبذولة حاليا بدعم من المجلس الوطني لتأهيل وتمويل أجهزة الشرطة والأمن في المناطق الخارجة عن سلطة النظام.

وقال العلي –وهو رئيس فرع الأمن الجنائي في دمشق سابقا– إن المشروع

الحالي يتضمن تأهيل ٥٠ ضابطا وألف عنصر من الشرطة للقيام بدورهم في الأحياء "المحررة" بحلب وريفها، ثم سيمتد المشروع ليشمل كافة المناطق السورية.

ومن جهة أخرى، قال الناطق باسم محامي حلب الأحرار مثنى ناصر الذي قدم من حلب بعد ترشيحه من قبل الحراك الثوري للانضمام إلى المجلس ضمن عملية التوسيع القائمة في الهيكلة الجديدة، إن تمثيل الثوار في المجلس ما زال أقل من المأمول.

وأضاف أن هناك الكثير من الأعضاء الذين تم ضمهم إلى المجلس دون أن يحظوا بأي تمثيل شعبي في سوريا، مشيرا إلى دور الموازنات السياسية في دعم ترشح البعض لشغل مقاعد في المجلس وزيادة تمثيل بعض الأحزاب والكيانات السياسية فيه.

❋ ❋ ❋ ❋



الجزيرة نت- ٧ نوفمبر ٢٠١٢

افتتح المجلس الوطني السوري الأربعاء صناديق الاقتراع لانتخاب رئيسه الجديد مع أعضاء المكتب التنفيذي والأمانة العامة، وذلك في اليوم الأخير للجلسات التشاورية التي يعقدها المجلس في العاصمة القطرية الدوحة، في حين أعلن المجلس عن تبني مبادرة جديدة لتأسيس حكومة انتقالية للبلاد.

وكان المجلس قد أعلن الثلاثاء عن هيكلته الجديدة التي تتضمن زيادة عدد أعضائه بنسبة الثلث، إلى جانب تشكيل الهيئة العامة التي يناط بها انتخاب الأمانة العامة، وقد بدأ منذ صباح الأربعاء انتخاب ٤٠ عضوا ضمن عدة قوائم لتشكيل الأمانة العامة.

ويتواصل تلقي أصوات المقترعين عبر شبكة الإنترنت من قبل الأعضاء المقيمين داخل سوريا مساء اليوم، حيث يتوقع إعلان النتائج في وقت متأخر من الليل، ليتولى الأعضاء الأربعون فيما بعد مهمة انتخاب ١٢ عضوا لتشكيل المكتب التنفيذي الذي سينتخب بدوره رئيسا للمجلس الوطني.

حكومة انتقالية

وبالتزامن مع سير عملية الانتخاب، وبعد جلسات تشاورية استمرت منذ الأحد الماضي، أعلن المجلس الوطني عن إقرار مبادرة جديدة لتشكيل حكومة انتقالية، حيث وافقت الهيئة العامة للمجلس بالأغلبية على المبادرة ببنودها الثماني المتضمنة عقد مؤتمر وطني داخل الأراضي السورية.

وجاء في بيان وزعه المجلس -وتلقينا نسخة منه- أن الحكومة الانتقالية المصغرة المتوقع تشكيلها ستتكون من وزارات محددة كالشؤون الخارجية والدفاع والمهجرين واللاجئين وحقوق الإنسان والصحة والإعلام.

وأوضح البيان أن المؤتمر الوطني المخول تشكيلها سيضم ٣٠٠ عضو ينتسبون لكل من المجلس الوطني والمجالس المحلية في المناطق المحررة، وبعضهم من التكنوقراط المنشقين وقوى المعارضة السياسية المستقلة والجيش السوري الحر.

وقال رئيس المركز السوري للدراسات السياسية والإستراتيجية أسامة قاضي إن المبادرة جاءت نتيجة لسلسلة مشاورات بدأها المركز بطرحه للمبادرة خلال مؤتمر المرحلة الانتقالية في إسطنبول قبل أسبوع، ثم عُرض المقترح لاحقا على الكتلة الوطنية داخل المجلس الوطني التي قررت طرحه على الهيئة العامة بالمجلس، ليتم إقراره بالأغلبية في اجتماع الدوحة.

ومن جهته، قال رئيس المجلس الوطني السوري عبد الباسط سيدا إن هناك أكثر من مبادرة مقدمة من المجلس ومن جهات معارضة أخرى، وإن المجلس ما زال يعمل على دراستها والتشاور بشأنها.

وأضاف سيدا في حديث أجريناه معه أن هناك سقفا لا يمكن تجاوزه في جميع هذه المبادرات، ومنه عدم الحوار مع نظام بشار الأسد والحفاظ على المجلس الوطني بصفته "الركن الأهم في المعارضة السورية"، وأن تكون هناك ضمانات للحكومة المؤقتة لتمكينها من الاستمرار وأداء المهام مما يستلزم توفير تمويل مالي ودعم دفاعي لحماية المناطق الخارجة عن سلطة النظام، فضلا عن الاعتراف الدولي بهذه الحكومة.

شروط النجاح

وفي السياق نفسه قال عضو مكتب العلاقات الخارجية في المجلس الوطني عبد الرحمن الحاج إن المجلس طرح هذه المبادرة منطلقا من رؤيته لتوحيد المعارضة، سعيا لإسقاط النظام في ظل البرود العالمي تجاه الأزمة.

أما مدير مكتب العلاقات الدولية بالمجلس رضوان زيادة فأخبرنا في حديث خاص أن المجلس الوطني أدرك أن أي حكومة انتقالية تحظى بقبول شعبي يجب أن تنبثق من مؤتمر وطني يعقد في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام داخل سوريا.

وأضاف زيادة -الذي كان أحد مقدمي المبادرة- أن الحكومة الانتقالية لن تحقق المأمول منها ما لم تحظَ باعتراف دولي، كما أن المؤتمر الوطني المؤسس لها يجب أن يضمَّ إلى جانب المجلس الوطني كل أطياف المعارضة بما فيها الجيش الحر.

ويُذكر أن إعلان المبادرة لعقد مؤتمر تنبثق منه حكومة انتقالية قد جاء بعد أربعة أيام من المشاورات في الدوحة، كما كشف لنا أعضاء بالمجلس أنها "خطوة

استباقية" لتكون بديلا للمشروع الذي طرحه المعارض البارز رياض سيف -وهو عضو بالمجلس- بشأن تشكيل "هيئة المبادرة الوطنية السورية" لتكون حاضنة أوسع للثورة، بحيث تناط بها مهمة تشكيل حكومة انتقالية.

ومن المتوقع أن يؤجَّل الإعلان عن مبادرة سيف إلى الخميس، حيث لم تحظ هذه المبادرة بقبول كاف كما يقول العديد من أعضاء المجلس، كما يُتوقع أن يُكشف صباح الخميس عن تشكيلة الأمانة العامة والمكتب التنفيذي مع الرئيس الجديد للمجلس الوطني.

❊ ❊ ❊ ❊

نقاشات ساخنة في الدوحة.. المجلس الوطني السوري يدرس مبادرتين لحكومة انتقالية سورية

الجزيرة نت- ٨ نوفمبر ٢٠١٢

يواصل سفراء ودبلوماسيون عرب وغربيون مشاوراتهم مساء اليوم الخميس مع عدد من ممثلي المعارضة السورية، في ختام جلسات التشاور التي يعقدها المجلس الوطني السوري في دوحة قطر منذ الأحد الماضي، ومن المتوقع أن يصدر الليلة بيان ختامي بشأن التفاوض حول مبادرتين تم طرحهما لتشكيل حكومة انتقالية.

وكان المجلس الوطني قد أعلن أمس الأربعاء عن مبادرة تدعو إلى عقد مؤتمر وطني داخل الأراضي السورية لتشكيل حكومة انتقالية مصغرة، وتتكون من عدة وزارات يناط بها إدارة المرحلة الانتقالية في البلاد، لكن العضو بالمجلس الوطني رياض سيف قدّم بدوره مبادرة موازية لتشكيل كيان جديد للمعارضة يكون أكثر اتساعا من المجلس الوطني، لتنبثق عنه الحكومة الانتقالية.

وردا على سؤال طرحناه بشأن ما إذا كانت مبادرة المجلس خطوة استباقية على مبادرة سيف، قال رئيس المجلس الوطني عبد الباسط سيدا إنها ليست كذلك، وإن "الزميل رياض سيف صديق عزيز لا نشك بوطنيته أبدا" مبديا ثقته بأن التشاور سيؤدي إلى موقف مشترك.

ومن جهته، قال عضو المجلس الوطني محمد بشير حداد إن المبادرة التي قدمها المجلس "شبه ناضجة بنائيا" وإنها قابلة للنجاح لتمتعها بالمرونة، لكنها تحتاج إلى تعامل موضوعي من قبل المجتمع الدولي مع المجلس الوطني بعد التطور الذي أحدثه في ضم العديد من الكيانات السياسية وزيادة تمثيل الحراك الثوري.

وأضاف في حديثه معنا أن المجتمع الدولي إذا أراد بالفعل إنهاء مأساة الشعب السوري فعليه القبول بهذه المبادرة لأنها الأقدر على الإنجاز، ولأن القوى المشاركة في الهيئة العامة للمجلس -التي أقرت المبادرة- هي قوى فاعلة على الأرض داخل سوريا مما يجعل المبادرة قادرة على الحياة.

من جانبه تحدث المعارض السوري رياض سيف صاحب مبادرة الهيئة الوطنية السورية قائلا إن المجلس الوطني وبقية أطياف المعارضة المشاركة في اللقاء التشاوري بالدوحة وافقت مبدئيا على مبادرته التي تنص على إحداث كيان سياسي جديد يكون المجلس الوطني السوري طرفا فيه.

وأضاف أن المجلس الوطني وبقية مكونات المعارضة طالبت بإدخال تعديلات على مبادرته لجهة توسيع تركيبتها.

الحراك الثوري

من ناحية أخرى، قال الممثل للحراك الثوري المستقل في حماة أبو بكر ياسين إنه كان يأمل أن يتم تقديم هذه المبادرات "منذ أكثر من عام وقبل أن يقتل عشرات

الآلاف من المدنيين"، وأضاف في إشارة لموقف المجتمع الدولي من الأزمة السورية أن "من لا يقف مع الضحية فهو يدعم القاتل".

وتابع عضو المجلس الوطني "نحن كحراك ثوري في الداخل لا نريد أن يزايد أحد على دماء الشهداء"، وأوضح أنه غير متفائل بمبادرة المجلس لأن هناك مبادرات أخرى سبق أن فشلت، وأن العالم لو أراد حل الأزمة لسارع إلى تبني أي جهة من جهات المعارضة ودعمها لمواجهة النظام.

وعن موقفه بشأن مبادرة سيف، قال إن المبادرات لن تنجح ما لم تكن ضمن إطار المجلس الوطني الذي اكتسب الشرعية وحظي بقبول دولي لتمثيل الشعب السوري.

وفي سياق متصل، قال العضو بالمجلس الوطني رضوان زيادة إن مبادرة المجلس ستتولى مهمة تشكيل حكومة مصغرة مكونة من وزارات مهمة، بحيث تناط بهما مسؤولية إدارة الإعمار وتسليح الجيش الحر، كما سيتم تشكيل لجنة تحضيرية لإطلاق المؤتمر الوطني -المخوَّل بتشكيل الحكومة بأسرع وقت- لأن الأزمة لا تحتمل أي تأخير.

وردا على سؤالنا بشأن ما إذا كانت مبادرة المجلس الوطني بديلا عن مبادرة سيف قال "هي بديل بالتأكيد"، مضيفا أن مبادرة المجلس لا تزال تحتاج للكثير من العمل على المستوى الدولي لتسويقها والحصول على دعم كاف لها، أما المبادرة الأخرى فلن تحصل على الدعم الداخلي المطلوب لإنجاحها.

وحول إمكانية عقد المؤتمر الوطني داخل الأراضي السورية، قال إن هذا ممكن مبدئيا في الأماكن التي خرجت عن سيطرة النظام، مشيرا إلى أن حماية أعضاء المؤتمر من خطر القصف هي مسؤولية المجتمع الدولي، "فإذا لم يتمكن من حماية أصحاب هذه المبادرة فكيف سينجح في الاعتراف بها؟".

توافق على الرفض

أما عضو مكتب العلاقات الخارجية بالمجلس الوطني عبد الرحمن الحاج فقال إن المجلس الوطني عقد جلسة خاصة لمناقشة مبادرة سيف أمس الأول، مشيرا إلى وجود "شبه توافق على رفضها".

وأضاف أن مبادرة سيف "ولدت ميتة"، وأن الحل الوحيد لإنجاحها يقوم على أن تحاول تطوير نفسها بناء على مبادرة المجلس وأن تحاول على الأقل قبول العناصر الجوهرية التي جاءت فيها.

وفي سياق آخر، قال عضو المجلس الوطني عن جماعة الإخوان المسلمين عمر مشوح إن هناك الكثير من الشائعات التي بدأت بالتداول بسبب تصريح سيف بأن المجلس إذا فشل في تبني مبادرته فستقفز بعض الكتل فوق المجلس للسير بمبادراتها الخاصة، حيث اتهم البعضُ جماعةَ الإخوان بالتحضير لإجراء مماثل.

وأشار مشوح إلى بيان أصدرته جماعة الإخوان الأسبوع الماضي أعلنت فيه موافقتها على مبادرة لتشكيل حكومة انتقالية طالما التزمت بعدد من الضوابط، وعلى رأسها الالتزام ببقاء المجلس الوطني ركيزة أساسية في أي مبادرة.

ومن المتوقع أن يُعلن الليلة عن بيان ختامي بشأن موقف المعارضة السورية من المبادرتين، وذلك بحضور ممثلين عن دول مجموعة العمل لأجل سوريا والأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي والمجلس الوطني السوري وتكتلات معارضة أخرى[1].

* * * *

(١) كنتُ قد انتُدبت من قِبل موقع "الجزيرة نت" لتغطية اجتماعات المجلس الوطني في أحد فنادق الدوحة، بدءًا من يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر ٢٠١٢، مع أن المشاورات المغلقة كانت قد بدأت يوم الأحد. وكان من المفترض صدور بيان ختامي مساء الخميس، ولكن هذا لم يحدث. ومع أني كنت أقضي معظم ساعات تلك الأيام في صالات الفندق، وأجري اللقاءات الصحفية والهامشية مع أعضاء المجلس الوطني، إلا أن الغموض ظل مهيمنًا على الموقف من مبادرة رياض سيف، وهكذا انقضى يوم الخميس من دون صدور أي إعلان، ثم تجدَّدت النقاشات يوم السبت، وقضيتُ اليوم كله في عقد اللقاءات وتقصي الأخبار، وغادرتُ الفندق في وقت متأخر من الليل من دون نتيجة، وخلال نحو ساعة فوجئتُ كما فوجئ الجميع بظهور خبر عاجل على شاشة الجزيرة، وهو إعلان تأسيس "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية" ليكون هيئة موحدة للمعارضة تنبثق منها لاحقا حكومة مؤقتة، ثم كانت المفاجأة الأكبر بانتخاب الشيخ معاذ الخطيب رئيسا له. وكانت هذه التطورات غير المتوقعة مبشّرة للغاية، فالشيخ معاذ كان من الشخصيات القليلة التي يتحقق بها التوافق بين الإسلاميين والعلمانيين، كما أعلنت الجامعة العربية مساء الإثنين اعترافها بالائتلاف "باعتباره الممثل الشرعي للمعارضة السورية"، فانتعشت آمال السوريين بانفراجة قريبة، وبوقوف المجتمع الدولي مع الشعب الثائر لإسقاط النظام، ثم كان ما كان.



هل اقتربت معركة الحسم في دمشق؟

الجزيرة نت- ٥ ديسمبر ٢٠١٢

مع دخول الثورة السورية شهرها الحادي والعشرين، يتغير المشهد بسرعة، إذ تتزايد الانشقاقات العسكرية والمدنية، وتنمو قدرات الجيش الحرّ الذي أصبح يتغلغل في مفاصل قوة النظام بدمشق.

ومع تكثيف اتصالات المعارضة خارجيًّا لتشكيل حكومة انتقالية وتصعيد عزلة النظام، تحذّر الدول الغربية مجددًا الرئيس بشار الأسد من مغبة استخدام السلاح الكيميائي ضد شعبه، بينما تتساقط طائرات جيش النظام الواحدة تلو الأخرى بالأسلحة النوعيّة التي باتت في قبضة الثوار.

وقد حذّر الرئيس الأميركي باراك أوباما نظام الأسد أمس الاثنين من اللجوء إلى استخدام أسلحة كيميائية ضد شعبه، قائلا "إذا ارتكبتم الخطأ الجسيم باستخدام هذه الأسلحة، فستكون هناك عواقب، وستُحاسبون عليها"، مجدِّدا بذلك تحذيرًا أطلقه في أغسطس/ آب بقوله إن استخدام هذه الأسلحة هو "خط أحمر بالنسبة لنا" قد يترتب عليه تدخل أميركي مباشر.

ويرى البعض أن قيام جيش النظام بنقل أسلحته الكيميائية -وفقا لصحيفة نيويورك تايمز أمس الاثنين- قد يعني أن النظام يستعد لضربته الأخيرة مع شعوره بقرب نهايته، فقد صرّح العميد المنشق عن النظام مناف طلاس لصحيفة صنداي

تايمز قبل يومين بأن الأسد استخدم سلاح الجو والدبابات ضد شعبه، لذا فإنه قد يستخدم السلاح الكيميائي "عند اقتراب النهاية".

لكن المحلل السياسي عبد الرحمن جليلاتي رجح -في لقاء أجريناه معه- أن النظام غير قادر أصلا على استخدام هذا السلاح "وإلا كان استخدمه منذ بداية اقتراب المعركة من دمشق قبل أسابيع".

وأشار المعارض السوري إلى أن الخبراء العسكريين الذين يعملون في وحدات الأسلحة الجرثومية والكيميائية لا ينتمي معظمهم "للطائفة العلوية"، وأن النظام لن يتمكن من إقناع جنوده من الطوائف الأخرى باستخدام هذه الأسلحة في إبادة جماعية، خشية وقوع تمرد كبير في الجيش.

معركة دمشق

من جهة أخرى، اشتدت حدة المعارك في ريف دمشق بالآونة الأخيرة، حيث يسيطر الثوار على مناطق واسعة في الغوطة الشرقية، بما فيها المواقع العسكرية التي استحوذوا على ما فيها من صواريخ مضادة للطائرات.

وقال جليلاتي إن الجيش الحر يقف الآن على بعد ثلاثة كيلومترات من معسكرات نجها المخصصة للتموين، وإذا سيطر الثوار عليها فسيفقد النظام مصادر إمداد قواته بالوقود في نصف البلاد الجنوبي.

وتحدث جليلاتي عن وصول قذائف الثوار إلى جميع المطارات المدنية والعسكرية في البلاد، مما يعني أن "الرئيس نفسه لم يعد قادرًا على الهرب من دمشق"، مشيرًا إلى أن "مخابرات الثورة أصبحت أكثر قدرة على رصد تحركاته".

من ناحيته، قال الكاتب السياسي السوري ياسر سعد الدين إن النظام بات يفقد بسرعة منافذه على العالم الخارجي بسقوط الكثير من المعابر الحدودية بيد الثوار، ومع اقتراب الجيش الحر من مطار دمشق الدولي فقد يخسر النظام قريبا طريق الإمداد الوحيد المتبقي عن طريق الطائرات الإيرانية.

وفي لقاء خاص، تحدث سعد الدين عن دلالات نشر صواريخ حلف شمال الأطلسي على الحدود التركية السورية، وأنها قد تكون مقدمة لفرض حظر جوي على الجزء الشمالي من سوريا.

دلالات سياسية

على صعيد آخر، أثار قرار الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة تقليص العمل وتعليق العمليات في سوريا بسبب "تنامي الخطر" شكوكًا بقرب انهيار النظام، وخصوصًا بعد طرح المبعوث الدولي الأخضر الإبراهيمي إدخال قوات لحفظ السلام في سوريا مع إعلان ائتلاف المعارضة السورية بأنه قد يقبل بذلك.

وقال سعد الدين إن هذه التصريحات قد تدل على وجود دفع سياسي في اتجاه إنقاذ البلاد من الانهيار الوشيك.

ورأى المعارض السوري أن الغرب لا يريد انهيارا سريعا لعدم وجود بديل يمكنه التواصل معه، بل يفضّل حكومة انتقالية بتنسيق روسي، لتقليل فرص سيطرة القوى التي لا تتفق مع الغرب على السلطة.

انشقاق مقدسي

وكانت الخارجية البريطانية قد رحبت اليوم بما تردد عن "انشقاق" المتحدث باسم وزارة الخارجية السورية جهاد مقدسي، وذلك بعد يوم من إعلان ناشطين سوريين عن مغادرته إلى جهة مجهولة، وهو ما وصفته وسائل إعلام مقربة من النظام بالإعفاء من المنصب.

وقال جليلاتي إن أهمية هذا الخبر تنبع من خلفية مقدسي المنتمي للطائفة المسيحية الكاثوليكية "التي لم تنضم بعد بقوة إلى الثورة كبقية الطوائف المسيحية"، مما قد يشجع طائفته على المزيد من الجرأة في معارضة النظام.

وأضاف جليلاتي أن لديه اتصالات ببعض الأطراف في داخل سوريا تؤكد الانهيار السريع للنظام، و"أننا سنشهد الكثير من حالات الانشقاق بين صفوف المسؤولين الحكوميين في الأيام القليلة القادمة".

وقد يحمل انشقاق مقدسي دلالات أعمق من انشقاق شخصيات أخرى، إذ عُيّن في منصبه بعد انطلاق الثورة بهدف الدفاع عن رؤية النظام في الإعلام الخارجي، وقد يعني الانشقاق إدراكه من موقعه انهيار النظام الوشيك، وهي قراءة قد تتوافق مع تصريح الأمين العام للجامعة العربية نبيل العربي الأخير بأن نظام الأسد يمكن أن يسقط "في أي وقت"، معتبراً أنه يواجه معارضة تكسب مزيدا من الأرض كل يوم، وأن "المعارك تدور الآن في دمشق."

* * * *



حوار خاص.. مراقب الإخوان في سوريا: ليس لدينا تنظيم مسلح وقرارنا مستقل عن المرشد في مصر

الجزيرة نت- ١٠ أبريل ٢٠١٣

يتناقل الكثير من وسائل الإعلام العربية والغربية أخبارا تتحدث عن دور جماعة الإخوان المسلمين في الثورة السورية، وهي تدور غالبا حول وجود كتائب مقاتلة تتبع للجماعة، وتزايد نفوذ الجماعة في التشكيلات السياسية المعارضة، كما يشير البعض بأصابع الاتهام للإخوان في سوريا بشأن تبعيتهم للتنظيم العالمي للإخوان الذي يتخذ من مصر مقرًا، وبما ينعكس سلبا على مجريات الثورة.

وللتعرف على موقف الجماعة من هذه الاتهامات، ومن مجمل مواقفها في هذه المرحلة، أجرينا حوارا هاتفيا مع المراقب العام للإخوان في سوريا محمد رياض الشقفة، وفيما يلي نص الحوار الذي أجراه أحمد دعدوش.

يدور الكثير من الحديث في وسائل الإعلام عن مساهمة جماعة الإخوان المسلمين في المعارضة المسلحة داخل سوريا لإسقاط النظام، كما تحدثت صحف غربية العام الماضي عن وجود تنظيم مسلح يحمل اسم "الرجال المسلّحون للإخوان المسلمين" فكيف تعلقون على ذلك؟

- هذه أول مرة أسمع فيها بوجود تنظيم يحمل اسم "الرجال المسلحون للإخوان المسلمين"، فنحن مع الثورة منذ انطلاقتها السلمية، وساهمنا قدر

استطاعتنا بإمداد الثوار بأجهزة اتصال وتصوير لنقل أنشطتهم إلى الإعلام، كما ساهم شبابنا مع الثوار عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وكنا حريصين على استمرار الثورة في سلميّتها بالرغم من عدوانية النظام وإجرامه.

غير أنه طفح الكيل بالشعب السوري، واضطر الثوار إلى حمل السلاح للدفاع عن النفس، وعندما صار التحول إلى العسكرة أمرًا واقعًا، وبدأ الثوار بتنظيم صفوفهم وتشكيل الكتائب، تواصل معنا بعض قادة الكتائب من أصحاب الفكر الوسطي المعتدل وأعلنوا ولاءهم لجماعتنا وثقتهم بها.

ومن جهتنا كنا نؤكد لهم أننا مع وحدة الكتائب على الأرض، وأننا لن نشكّل كتائب خاصة بنا، ومازال هذا قرارنا، وقد نصحْنا هذه الكتائب والألوية ذات الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل القريب من فكرنا بأن تشكل تجمعًا خاصًا بها، فأنشؤوا تشكيلا جديدا تم الإعلان عنه في إسطنبول تحت اسم "هيئة دروع الثورة"، وهي مستقلة وليست جناحًا مسلحًا لجماعة الإخوان.

ولكن سبق للقيادي بالجماعة ملهم الدروبي أن تحدث بتصريح صحفي في أغسطس/ آب ٢٠١٢ عن تشكيل الإخوان كتائب مسلحة داخل سوريا للقيام بمهمة الدفاع عن النفس وحماية المظلومين، مع أن تصريحات قيادات إخوانية عدة نفت ذلك، فما هو التعليق الرسمي بهذا الشأن؟

- كما ذكرتُ سابقًا، نحن لم نشكل كتائب مسلحة في الداخل، والالتباس الذي حصل لدى الأخ ملهم هو بسبب تلك الكتائب التي تشكلت في الداخل وأرادت أن تعطي ولاءها للإخوان، وكثيرون الآن في الداخل يعتقدون أن للإخوان

كتائب مسلحة، وذلك يرجع إلى أن كثيرًا من منتسبيها يتبنّون الفكر الإسلامي المعتدل الذي يتفق مع فكر الجماعة.

هل تساهم جماعة الإخوان في دعم الجانب الإغاثي للمتضررين في سوريا والملاجئ بدول الجوار؟ وما هو تعليقكم على أنباء ترددت من الداخل مؤخرا عن حصر التمويل الإغاثي المدعوم من الجماعة بالجهات التي تقدم لها الولاء؟

- نعم، تساهم الجماعة في الجانب الإغاثي للشعب السوري من دون تمييز، ونشارك في ذلك مع المجلس الوطني والائتلاف الوطني المعارض، أما الادعاء بأن الإخوان يشترطون الولاء لتقديم الدعم فهو ادعاء لا أساس له من الصحة، ونحن ليس لنا تنظيم في الداخل، ولا نطلب من أحد الولاء، ونحن نعمل في هذه المرحلة على دعم الثورة في الإطار الوطني العام.

وكل ما يشاع من ادعاءات واتهامات بهذا الخصوص إنما هو من فبركات خصوم الجماعة وأتباع الأجندات الخارجية التي تعمل على تشويه صورة الجماعة.

على الصعيد السياسي، يقال إن رئيس الائتلاف الوطني معاذ الخطيب كان يميل إلى تشكيل مكتب تنفيذي يقوم بمهام الوزارات عوضًا عن حكومة مصغرة، بينما دعمت جماعة الإخوان الرأي الآخر المؤيد لتأسيس الحكومة، ويقال أيضا إن الجماعة دفعت في اتجاه ترشيح غسان هيتو رئيسًا للحكومة بصفته مقربا من الجماعة، فما هو تعليقكم؟

- جرى حوار موسع في الهيئة العامة للائتلاف الوطني عما إذا كان من الأفضل تشكيل حكومة مؤقتة لإدارة المناطق المحررة كما ينص النظام الأساسي للائتلاف،

أم الاقتصار على تشكيل سلطة تنفيذية للائتلاف بدلا عن الحكومة المؤقتة، وكان توجّه الهيئة العامة إلى تشكيل حكومة مؤقتة بأكثرية كبيرة.

أما بشأن انتخاب رئيس هذه الحكومة المؤقتة، فلم يكن لدى الجماعة مرشح معيّن، كما لم يكن لديها تحفظ على أيّ من المرشحين.

وكان موقفنا هو دعم المرشح الذي يحقق أكبر نسبة من التوافق، ومن هنا كان دعمنا للسيد غسان هيتو الذي حصل على أكثرية كبيرة من الجولة الأولى، من دون أن تكون لنا معرفة سابقة به فضلا عن أن تربطنا به أية علاقة.

نحن نحرص دائما على التوافق في اتخاذ القرارات على مستوى الائتلاف الوطني أو المجلس الوطني، لكن عندما لا يتحقق التوافق الكامل أو الإجماع فلا بدّ من اتخاذ القرارات بالأكثرية المطلقة أو أكثرية الثلثين في بعض الأحوال، وفق ما ينص عليه النظام الأساسي.

يُلاحظ تصاعد حدة النقد ضد الإخوان في وسائل التواصل الاجتماعي بين الناشطين السوريين، وهناك من يتحدث عن تواطؤ التنظيم العالمي للإخوان المسلمين مع السلطات في إيران بشكل أو بآخر، مما يساهم في تسهيل مرور السلاح الإيراني إلى النظام السوري عبر قناة السويس، فهل قامت جماعة الإخوان في سوريا بالتحقق من صحة هذه الاتهامات عبر تواصلها مع الإخوان في مصر؟ وبماذا تفسرون تصاعد هذا النقد ضدكم بين الناشطين؟ وما هي خطتكم للرد عليه؟

- الهجمة على الإخوان موجّهة ومخطَّط لها، فهناك جهات تخشى من وصول الإخوان إلى السلطة في سوريا بعد سقوط بشار الأسد كما حصل في تونس ومصر،

فبدؤوا معركتهم لتشويه صورة الإخوان مبكّرين بنسج أكاذيب من خيالاتهم المريضة ظنًا منهم أن شعبنا سيصدقهم.

أما فيما يتعلق بالتنظيم العالمي، فليس لهذا التنظيم سلطة على تنظيمات الإخوان القُطرية، والعلاقة لا تتجاوز حدود التشاور وتبادل الآراء والخبرات، وكل تنظيم قُطري له كامل الاستقلال والحرية فيما تتخذه مؤسساته من قرارات وسياسات.

وبخصوص إخوان مصر، يجب التفريق بين الإخوان كتنظيم وبين الحكومة، فموقف التنظيم من إيران مشابه لموقفنا، حيث يرفضون العلاقة معها بسبب دعمها للنظام السوري، وقد رفض فضيلة المرشد استقبال أي مسؤول إيراني بمن فيهم السفير الإيراني لدى القاهرة بالرغم من إلحاحه على اللقاء.

أما الحكومة المصرية فلها علاقاتها الدولية التي تحكمها المصالح المتبادلة، ونحن نطالب كافة الدول بما فيها مصر باتخاذ مواقف حازمة تجاه إيران التي تشارك في ذبح الشعب السوري.

وأما بالنسبة للسفن الإيرانية التي تعبر قناة السويس، فليس من حق الحكومة المصرية اعتراضها، لأن القناة ممر دولي، ولا يمكن للحكومة المصرية اعتراض السفن التي تمرّ بها أو تفتيشها من دون قرار دولي من الأمم المتحدة، ولا يوجد حاليًا مثل هذا القرار.

❊ ❊ ❊ ❊



كيف يرى الثوار الضربة المحتملة على سوريا؟

الجزيرة نت- ٣١ أغسطس ٢٠١٣

على خلفية مجزرة الغوطة بالسلاح الكيميائي، تتزايد التكهّنات بقرب توجيه ضربة عسكرية غربيّة لنظام بشار الأسد، وتتعدد محاولات سبر أبعاد هذه الضربة ونتائجها، وكذلك الحال لدى الثوار الذين يستبشر معظمهم بما ستحقّقه الضربة من إنهاك للنظام قد يعجّل إسقاطه، وسط مخاوف من احتمالات أخرى قد تؤدي لنتائج عكسية.

وفي إحدى هذه التحليلات، يرى مجلس قيادة الثورة في دمشق أن أي تحرّك عسكري غربي سيهدف بالدرجة الأولى لتحقيق مصالح الغرب، وعلى رأسها خلق مناخ سياسي مناسب لإحياء العمل السياسي الذي سيؤدي إلى انتقال للسلطة من خلال التفاوض، مع الحفاظ على ما تبقى من مؤسسات الدولة والجيش للحيلولة دون الوقوع في فوضى شاملة.

ويرصد المجلس في ورقة عمل -تلقينا نسخة منها- ثلاثة سيناريوهات للضربة المحتملة، إذ يحتمل السيناريو الأول توجيه ضربة لمواقع عسكرية مهمة تؤدي لزعزعة الجيش النظامي والشبيحة، وتزيد من تقدم الثوار في الشمال السوري، تمهيدًا لمعركة برّية حاسمة في دمشق، والتي تتطلب انتصار الثوار على عشرات الآلاف من

جنود الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة ومن سيبقى معهم من الأمن والشبيحة وحزب الله.

وفي السيناريو الثاني يتوقع المجلس استهداف رأس النظام مباشرة وتدميرَ كافة عناصر القوة في الجيش، تزامنًا مع صفقات تُعقد في الخفاء مع بعض عناصر النظام للقيام بانقلاب يُبرز قيادة جديدة أكثر مرونة على التفاوض، بهدف وضع حدّ للأزمة، مع حماية الطائفة العلَوية من عمليات الانتقام.

أما السيناريو الثالث، فيتوقع احتمالا "لا يتمنى أحد من الحلف الغربي رؤيته" وهو سقوط النظام بشكل سريع كما حدث في العراق عام ٢٠٠٣، مما يؤدي لنقل السلطة إلى الكتائب الكثيرة المتنازعة، وقد يعني ذلك تورط الغرب في تدخل عسكري طويل الأمد وعالي التكلفة لإعادة السيطرة.

حذر وتفاؤل

من جانبه، يرى المتحدث باسم الهيئة العامة للثورة السورية في حمص هادي العبد الله أن الشعب السوري يقرأ التاريخ جيدا ويعي كل المخططات الدولية.

ويضيف -في اتصال أجريناه معه- أن السوريين يطالبون المجتمع الدولي منذ أسابيع الثورة الأولى بمساعدتهم لنيل حريتهم، غير أنهم في الوقت نفسه لا يقبلون بأن يهدف التدخل إلى جعل سوريا أرضا لتصفية الحسابات الدولية أو لتقسيمها أو للنيل من أي جهة ثورية.

وردًا على سؤال بشأن توقعات الثوار في حمص للضربة المحتملة وما بعدها، قال العبد الله إن الثوار يتفقون على أن الضربة قد تكون هي الشعرة التي تسقط النظام

أو تسرع في انهياره، لكن القسم الأكبر منهم يخشون تكرار ما حصل في ليبيا والعراق من استهداف لهم بحجة أنه وقع عن طريق الخطأ، حسب قوله.

وتتشابه هذه الرؤية لدى العديد من الثوار في الساحل السوري، إذ يقول الناشط الإعلامي في اللاذقية مؤيد بيطار إن الثوار يؤيدون الضربة بالتأكيد، وخاصة إذا تم خلالها استهداف المطارات العسكرية التي تنطلق منها طائرات النظام لقصف المواقع السكنية، غير أنهم يخشون تعرض "كتائب الثوار الإسلامية" للقصف في الوقت نفسه.

كما يحذر الناشط -في رسالة أرسلها لنا- من أن تؤدي الضربة إلى تشجيع النظام على الانتقام من الثوار، انطلاقا من المثل الذي يقول إن الضربة التي لا تقصم الظهر تقويه.

استنفار عام

ويضيف بيطار أن كتائب الثوار في الساحل -الذي اشتعلت فيه قبل أسابيع معارك حامية ضد القرى العلوية- ما زالت في وضع تأهب واستنفار عام، منذ اضطرارها إلى التراجع عن بعض المناطق التي سيطرت عليها، وأنها تترقب بحذر شديد نتائج الضربة المحتملة مع قيامها بحملة توزيع للأقنعة الواقية من الغاز السام.

ومع تأكيد العديد من الناشطين -الذين تواصلنا معهم- على استعداد الكتائب الثورية للقيام بعمليات نوعية تنتهز الضربة الغربية المتوقعة، فإن عين الثوار ما زالت تنظر للنتائج المتوقعة على المدى البعيد.

إذ يُعرب مجلس قيادة الثورة في دمشق عن خشيته من أن تفتح الضربة المحتملة الباب للتدخل المستمر لتحقيق مصالح القوى الغربية كما يحدث في اليمن وأفغانستان، وذلك باستهداف "الكيانات المُعادية" للغرب على الأراضي السورية، سواء كانت تتبع النظام أو ضده.

لكن المجلس يرى أيضا أن التدخل العسكري المباشر سيضع في آخر المطاف نهايةً لما أسماه الحقبة الأسدية، سواء عبر حل سياسي، أو انقلاب عسكري، أو على يد الثوار، ولا يستبعد أن يستغرق تحقيق هذا الهدف وقتا طويلا.

ولتجنب الوقوع في الفوضى، ينصح مجلس قيادة الثورة في دمشق بتشكيل آلية تنسيق عاجلة تجمع كافة القوى الثورية في كل المحافظات مع الترفع عن الخلافات البينيّة، بهدف تشكيل نواة لقوى عسكرية وإدارية تُحكم السيطرة على المناطق لمنع الفوضى إعلاميا وإداريا، كما يدعو المجلس الناشطين لتكثيف جهودهم الإغاثية والطبية خلال فترة الضربة المرتقبة.

❋ ❋ ❋ ❋

الشبّيحة.. من عصابات التهريب إلى مليشيات القمع

الجزيرة نت- ٦ سبتمبر ٢٠١٣



صورة متداولة على مواقع التواصل لعناصر من مليشيات الشبيحة

يتردد مصطلح الشبّيحة في وسائل الإعلام العربية والدولية منذ اندلاع الثورة السورية في مارس/ آذار ٢٠١١، وبالرغم من الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح من حيث الأصل والدلالة، فقد دخل معاجم التداول الإعلامي والشعبي في المنطقة، كما تطوّر في وظيفته من الدلالة على العصابات التي تمارس نشاطها خارج القانون وتحت نظر السلطات أو بتشجيع منها إلى "فِرق الموت" التي تقمع المعارضين والثوار بوسائل العنف.

ويتداول السوريون بلهجتهم الدارجة كلمة الشبيحة منذ عقود، للدلالة على عصابات تنتمي في الغالب للطائفة العلَوية، وترتبط بشخصيات نافذة في أجهزة الأمن والدولة.

ويقال إن أصل التسمية يعود إلى ظهور أفراد تلك العصابات كالشَّبح لضحاياه، كما يقول آخرون إنه مشتق من "الشبْح" وهو أحد أساليب التعذيب القائم على تعليق السجين من يديه إلى السقف وضربه، بينما تعيد أقاويل أخرى أصله إلى نوع من سيارات مرسيدس كانت تلقب شعبيًّا بالشبح، حيث درجت هذه العصابات على تصيّد رجال الأعمال الذين يملكون تلك السيارات الفارهة، ومصادرتها أو سرقتها منهم.

النشأة والتاريخ

قد يصعب على الباحث تعقّب أصل هذه العصابات بسبب السرية والقمع المفروض حولها، وربما يعيد سلوكُ أفرادها وخلفيتها الطائفية الذهنَ إلى جماعات الحشاشين التي نشطت في أواخر القرن الحادي عشر، والتي شكلت في أوج نفوذها هاجسا للكثير من القادة العسكريين والسياسيين في العالم الإسلامي.

ويرى البعض أن بداية ظهور عصابات الشبيحة في منتصف السبعينات تزامن مع تضييق فرص الاستيراد في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد، بسبب سياسته الاشتراكية، مما شجع على توسع حركة تهريب البضائع عبر الحدود مع تركيا ولبنان والموانئ البحرية، فكان بعض أفراد عائلة الأسد وعوائل متنفّذة أخرى الداعمين الأساسيين لهذه العصابات التي تعمل من دون محاسبة أو رقابة، كما يقال إن نشاطها اتسع ليشمل تهريب المخدرات والعمل في أنشطة محظورة أخرى.

وفي منتصف التسعينات، تناقل السوريون أنباء عن حملة شنها باسل الأسد، الابن الأكبر للرئيس الراحل، ضد الشبيحة لتقليص نفوذهم قبل خروجه عن السيطرة. وتدور التأويلات حول سعي باسل بموافقة والده إلى الحد من نفوذ بعض الأجنحة في العائلة والأقارب خشية تطلعهم للسلطة، فضلا عن الرغبة في امتصاص الغضب الشعبي المتزايد تجاه تلك العصابات التي تحتمي باسم الأسد والمقربين منه.

قمع الثورة

ومع اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١، تولى أفراد هذه العصابات، وفقا لروايات ناشطين، مهمة قمع المظاهرات ومساندة قوات الأمن والجيش في حملات الاعتقال والتعذيب وإقامة الحواجز الأمنية للتفتيش.

لكن امتداد أمد الثورة واتساع نطاقها في كل المحافظات دفع بالنظام إلى تشكيل "لجان شعبية" بتسليح عناصر مدنيين في الأحياء الموالية له، وذلك بهدف حماية تلك الأحياء من الثوار وفقا للرواية المعلنة، لكن الناشطين يتحدثون عن ممارسات تماثل سلوك الشبيحة على يد هؤلاء العناصر الذين يتلقون تدريبهم وسلاحهم من تشكيلات نظامية.

وتقول وكالة مسار برس في تقرير لها إن الجرائم الكثيرة التي ارتكبها الشبيحة دفعت النظام إلى إدراجهم في مؤسسة تحظى بالشرعية تحت مسمى اللجان الشعبية، وأن التسمية تم تعديلها لاحقا إلى "جيش الدفاع الوطني".

وتضيف الوكالة أن عدد المنتسبين إلى هذه الجماعات يصل إلى عشرات الآلاف، وأنهم يتلقون تدريبا على الأسلحة الخفيفة لمدة ١٥ يوما على أيدي ضباط

متقاعدين، ثم يُخيّرون بين العودة إلى مناطقهم وحمايتها أو الالتحاق بدورة متقدمة على أسلحة ثقيلة.

ويشترط في المنتسب لجيش الدفاع الوطني أن يكون قد أدى الخدمة العسكرية الإلزامية، وأن يتراوح عمره بين عشرين وأربعين عاما، وألا يكون موظفا في القطاع الحكومي، كما ينبغي أن يكون من أبناء المنطقة التي سيعمل فيها لكونه أكثر معرفة بجغرافيا المنطقة وسكانها.

مهام مساندة

وتبرز أهمية هذه العناصر في قتال الشوارع والمداهمات داخل المدن والقرى، بينما تبقى قوات الجيش محصَّنة في ثكناتها وحواجزها، كما يشير الناشطون بأصابع الاتهام للشبيحة في مجازر بانياس والبيضا والتريمسة والحولة، التي ذهب ضحيتها المئات من الأطفال والمدنيين ذبحًا بالسكاكين، ويؤكدون أن مرتكبي هذه المجازر قدِموا من القرى العلوية المجاورة لهذه المناطق.

أما في المناطق الشرقية التي تخلو من السكان العلويين، فتتشكّل كتائب الدفاع الوطني مما يسميهم الناشطون بالمرتزقة، الذين يتبعون لرئيس فرع أمن الدولة (المخابرات)، كما هو الحال في محافظة دير الزور، وفقا لوكالة مسار، ويفتقر هؤلاء المسلحون للحماسة التي تغذيها بطبيعة الحال الدوافع الطائفية.

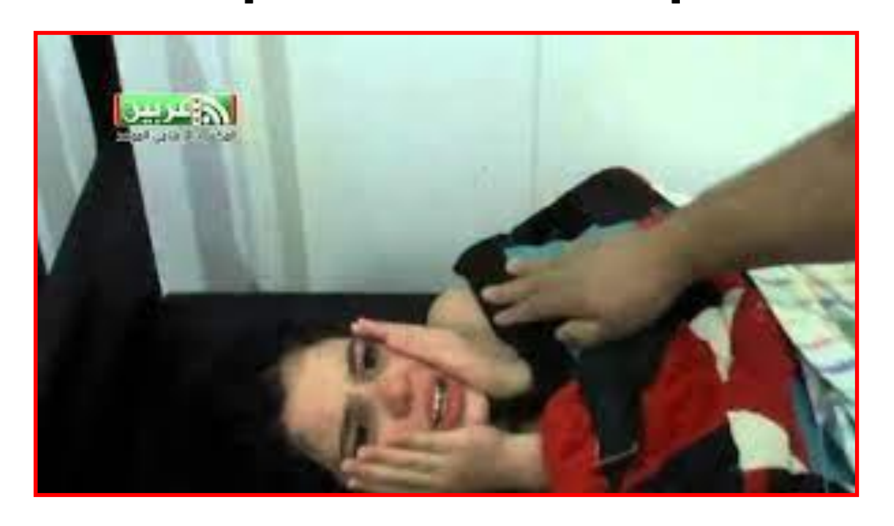
ويؤكد ناشطون أن عناصر الدفاع الوطني يعمَدون إلى إثارة النزاعات العِرقية في منطقة الحسكة، من خلال الهجوم المتكرر على القوات الكردية المسيطرة هناك بهدف اتهام الثوار بها.

وفي هذا السياق يقول مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة أوكلاهوما جوشوا لانديس إن الذهنية السائدة داخل النظام تقول بوجوب عدم الوثوق من حيث المبدأ إلا بأبناء الطائفة العلوية، التي تسيطر على البلاد منذ أكثر من أربعين سنة، إلا أن هؤلاء "الجنود الاحتياطيين" يأتون من كل الطوائف لتنفيذ مهام معينة.



"هل أنا حيّة؟"..
سؤال يستدعي فيضا من الأسئلة

الجزيرة نت- ١٧ سبتمبر ٢٠١٣



صورة الطفلة يمنى في الشريط المتداول

يمنى، طفلة سوريّة من غوطة دمشق، كانت نائمة في منزلها ليلة المجزرة في ٢١ أغسطس/ آب، وعندما فتحتْ عينيها وجدت نفسها وسط عشرات القتلى والجرحى في مستشفى ميداني، وهي تتلقى العلاج من استنشاق غاز السارين السّام، فكان أول ما نطق به لسانها قبل أن يصحو عقلها: "أنا عايشة"، ضاربة بسؤالها ضمير الإنسانية الذي لا يكفّ عن طرح الكثير من الأسئلة.

يقول الطبيب كرم الذي أشرف على علاج يمنى، إنها لم تكن واعية لما يجري، بل لم تستعدْ وعيها إلا بعد يوم كامل من الصدمة.

وكان الطبيب الشاب قد ظهر إلى جانب الطفلة في تسجيل تناقلته شاشات العالم وهو يهدّئ من روعها، فيزداد صراخها الهستيري متسائلة عما إذا كانت "عايشة" أم في الجنة؟

ولعل أول الأسئلة التي تستفز وعي المشاهد لهذه الدراما "اللاواعية" هو: ما الذي ألقى في روع طفلة صغيرة جدليّة الحياة والموت، حيث لا يفصل بينهما إلا خيط رفيع؟ وكأن يمنى باتت ليلتها تلك وهي تترقب لحظة الوداع في منطقة تعاني الحصار والقصف بلا انقطاع منذ شهور، لتصحو على أمل بالجنة.

يستبعد الطبيب أن تتذكر يمنى تلك الحادثة التي لم تشهدها بعقلها الواعي، لكن وعي العالم كان شاهدا بالفعل، وما زال يتفرج حتى اللحظة على مشاهد قتل لا تقل فظاعة في مناطق عدة من سوريا، فما الذي يدفع المجتمع الدولي للانزعاج من السلاح الكيميائي فقط، بينما لا تستفزه مشاهد الجثث المدماة تحت الركام؟

القتل النظيف

يقول مدوِّن سوري ساخر إنه يفضل الموت اختناقا بالغاز على القتل بقذائف الطائرات والصواريخ، فالسلاح الكيميائي يقدم مشهدا استثنائيا للموت أمام الكاميرا ببطء، حيث لا يتطلب الأمر إلا قليلا من الارتجاف والزبَد قبل أن يسلم الروح بسلام كما يغمض النائم عينيه، بينما تعتذر الكثير من وسائل الإعلام عن عرض مشاهد يغرق فيها الضحايا ببرْكة من الدم، خشية إزعاج المشاهدين.

لكن أطفالا آخرين يَلقون حتفهم في الغوطة بطرق أخرى، فالحصار الذي يمنع دخول الطعام والماء والدواء والوقود منذ شهور كفيل بالقضاء على الحياة بطرق أكثر بطئا، جوعا أو مرضا، وقد فقدت بلدة المعضمية قبل أيام طفلين أنهكهما الهزال حتى فارقا الحياة، والعالم ما زال يتفرج.

مع ذلك كله، يتحدى من بقي في المعضمية ظروفَهم ويُصرون على متابعة حياتهم بما توفر لديهم من مقوماتها، إذ تتحدث إحدى الناشطات من داخل البلدة المحاصرة عن أنشطة اجتماعية تقدمها مجموعة تطلق على نفسها اسم "رؤية"، تتنوع بين الإغاثة والتعليم ورعاية ذوي الضحايا، بل تقيم حفلات ترفيهية للأطفال كي تعيد إليهم براءة الطفولة المسلوبة.

حسابات السياسة

وفي اتصال أجريناه عبر الإنترنت، تتساءل الناشطة أيضا كيف أمكن للنظام فرض حصار أكثر قسوة من المفروض على قطاع غزة، حسب قولها. إذ ما زالت آلاف العائلات تصر على البقاء في أرضها بينما يتجدد القصف المدفعي والصاروخي والجوي يوميا ليحصد أرواح من نجا من الجوع والمرض والغازات الخانقة.

قد لا يجاب على هذه الأسئلة في أروقة السياسة المشغولة بحساباتها، ولعل هذه الحسابات هي التي دفعت بالأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون للخروج عن صمته الأربعاء الماضي، عندما ذكّر قادة العالم بأنهم تعهدوا يومًا ما بالتحرك لمنع تكرار جرائم الإبادة في رواندا والبوسنة خلال التسعينات، مضيفا "ولكن كما نرى من حولنا، فإن الفظائع ما تزال تُرتكب".



مع انتهاء العام.. أحزان بالجملة في سوريا وثورة تراوح مكانها

الجزيرة نت- ٣٠ ديسمبر ٢٠١٣

استهل بشار الأسد هذا العام بخطابه الخامس والأخير خلال الثورة، فجاء خاليًا من أي وعود كان يمكن أن تمنح المعارضين أملًا في تنحّيه قبل تفاقم الأزمة، لكن رئيس الوزراء الروسي دميتري مدفيدف لخّص كل شيء آنذاك بقوله إنه يجب الحيلولة دون وصول طائفة السنّة إلى السلطة في سوريا لأنهم سيبدؤون بقتل العلَويين.

ومع أن مدفيدف أشار إلى أن فرص احتفاظ الأسد بالسلطة تتضاءل يوميا، عاد للتصريح قبل نهاية هذا العام بشهرين بأن فكرة رحيل الأسد غير واقعية ما لم يحصل الأخير على ضمانات.

وبين تصريحي مدفيدف، تذبذبت المواقف السياسية إزاء الأزمة السورية طوال هذا العام على نحو يصعب العثور على مثيل له في التاريخ السياسي الحديث، وهي ما تزال تدور حول النقاط الأساسية الأولى للحوار السياسي الذي لم تبدأ دورته الأولى بعد.

وفي ٢٧ يناير/ كانون الثاني من هذا العام، استضافت باريس اجتماع "أصدقاء الشعب السوري"، الذين اتفقوا على دعم الائتلاف الوطني المعارض، واعتباره

"بديلا" قادرا على تخليص البلاد من نظام الأسد، وتجنبيها مخاطر الانزلاق إلى فوضى قد تستفيد منها "جماعات متطرفة".

وقبل أن تكتمل فرحة الثوار بفوزهم بهذا الاعتراف الدولي، سارع جناح آخر من المعارضة لإثبات وجوده في الوقت نفسه، وعقد مؤتمرًا له في جنيف بمشاركة هيئة التنسيق الوطنية.

وبعد أيام، حاول رئيس الائتلاف معاذ الخطيب تقديم مبادرة شخصية بالإعلان عن استعداده للتفاوض مع النظام، بشرط إطلاق سراح ١٦٠ ألف معتقل، وتمديد جوازات سفر السوريين بالخارج لمدة عامين.

ثم التقى الخطيب كلا من وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف، وجو بايدن نائب الرئيس الأميركي، ووزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي، لكن الائتلاف أعاد بعد أيام صياغة المبادرة للتفاوض بشرط ألا يشمل أيُّ حلٍّ سياسي بقاءَ الأسد وأركان نظامه، وهو عرض لم يجد فيه النظام سوى مناورة.

حكومة متعثرة

وعلى الصعيد الميداني، ضاعف النظام حملاته العسكرية في القصير بمحافظة حمص، ولم يتورع عن استخدام الصواريخ البالستية ضد شعبه، بالرغم من التنديدات الدولية، من دون أن يُحرز الحوارُ السياسي أي تقدم.

وفي أواخر مارس/ آذار، أي بعد سنتين على اندلاع الثورة، قدّم الخطيب استقالته من قيادة الائتلاف، في إشارة غير مباشرة إلى التعنّت الدولي إزاء أزمة بلاده،

ثم دعتْه قطر لرئاسة الوفد السوري في القمة العربية المنعقدة بالدوحة، فلبّى الدعوة وسط ترحيب عربي واسع على مواقع التواصل الاجتماعي.

تُرجِم جلوس الخطيب على مقعد سوريا بين زعماء العرب على أنه اعتراف عربي رسمي بالائتلاف، واعتباره "ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب السوري"، ثم تجسّد هذا الاعتراف العلني بافتتاح الخطيب أول سفارة سوريّة لا تخضع للنظام، وذلك في العاصمة القطرية الدوحة.

وشهد الشهر نفسه الإعلان عن انتخاب غسان هيتو رئيسًا للحكومة المؤقتة التابعة للثورة السورية، وأوكلت إليه مهمة تعيين عدة وزراء لإدارة هذه الحكومة بالمناطق الخارجة عن سيطرة النظام، بدعم من مجموعة "أصدقاء الشعب السوري"، لكن جهوده لم يُكتب لها النجاح.

لم يكن الغرب مشغولًا كما يبدو بهموم هيتو وبمعاناة ملايين المشردين، مقارنة بمخاوف المجتمع الدولي من ازدياد نفوذ "جهات متطرفة" في الساحة السورية.

ورأى محللون أن هذه المخاوف قد تؤدي إلى تدخل غربي لإنهاء الأزمة والإطاحة بالنظام، وخصوصًا بعد حثّ عضوَي مجلس الشيوخ الأميركي لينزي غراهام وجون ماكين إدارة أوباما على تغيير توجهاتها بشأن سوريا.

وتفاءل الناشطون أيضًا بحدوث هذا التدخل بعد تعنّت نظام الأسد إزاء السماح بفريق أممي للدخول والتحقيق في اتهاماتٍ باستخدامه السلاح الكيميائي، لكن شهر أبريل/ نيسان انقضى من دون أن يزيد أوباما على قوله إن هناك أسئلة مازالت قائمة بشأن المسؤول عن استخدام هذا السلاح في سوريا.

المليشيات الطائفية

في الشهر التالي، أطلق النظام يد المليشيات الطائفية في قرية البيضا قرب بانياس لارتكاب عدة مجازر على مدى أسبوع، وسط صمت دولي، وعاد المحللون لتقصّي بصيص الضوء في نهاية النفق المظلم، لا سيما مع اتفاق أوباما ورئيس وزراء بريطانيا ديفد كاميرون على موقف موحّد بشأن تأسيس مرحلة انتقالية بدون الأسد.

تبلور الاتفاق باجتماع وزراء خارجية خمس دول عربية مع تركيا، وجدّد المجتمعون التمسك باتفاق "جنيف-١" أساسًا للحل، والذي ينص على استبعاد الأسد، ثم جاء تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة على اعتبار الائتلاف المعارض محاوِرًا فعليًا لعملية الانتقال السياسي، الأمر الذي شجّع السوريين على ترقب الحل.

توالت التصريحات طوال مايو/ أيار بشأن دعم دولي لتشكيل حكومة انتقالية، ولإيجاد حل سياسي وفقًا لتوصيات "جنيف-١"، وشهدت عَمّان والقاهرة وإسطنبول عدّة لقاءات للمعارضة، من دون أن تسفر عن اتفاق بشأن استمرار رئاسة هيتو للحكومة أو توسيع الائتلاف، أو حتى التوصل إلى موقف واضح من "جنيف-٢".

مع ذلك، شهد هذا الشهر خطوة أحيت بعض الأمل لدى الثوار، عندما وافق وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي على رفع الحظر عن إرسال أسلحة إلى المعارضة السورية.

وفي يونيو/ حزيران، كانت القوى الغربية مشغولة بتبادل التصريحات عن التحقيق المتعثّر بشأن استخدام السلاح الكيميائي من قبل النظام ضد المدنيين،

وباحتمالات عقد مؤتمر "جنيف-٢"، في حين كان حزب الله اللبناني يتوغل في حمص، ويطوّق القصير، ويرتكب فيها مع قوات النظام "مجازر" وفق ناشطين، مما سمح للنظام بإعادة رسم حدود المناطق التي ما زال يتمسك بها بكل قوة، ليشكّل شريطا يمتد من محافظة السويداء جنوبا إلى شمال اللاذقية، مرورًا بدمشق وحمص وحماة والساحل.

وبعد أسبوعين من إعلان الرئيس المصري محمد مرسي دعمه للثوار في سوريا في منتصف يونيو/ حزيران، أطاح به الجيش المصري في انقلاب عسكري، ووضع بذلك حدًا للأصوات التي تعالت هناك لدعم الثورة بمنطلقات دينية تتصدى للحشد الطائفي الشيعي الإقليمي في سوريا.

وفي السادس من أغسطس/ آب، تم تعيين أحمد الجربا رئيسا للائتلاف المعارض، خلفا للمستقيل معاذ الخطيب.

وفي منتصف سبتمبر/ أيلول، اتفق الائتلاف على تعيين أحمد طعمة رئيسا للحكومة الانتقالية خلفا لهيتو، الذي لم يتمكن من تشكيل حكومته، ولم يعلن طعمة عن حكومته المصغرة إلا في نوفمبر/ تشرين الثاني.

طبول الحرب

في صباح الأربعاء ٢١ أغسطس/ آب، تناقلت وسائل الإعلام العالمية صورًا وتسجيلات لأكبر المجازر التي شهدتها الثورة السورية، حيث قضى نحو ١٥٠٠ شخص، معظمهم من النساء والأطفال، جرّاء قصف بصواريخ تحمل رؤوسا كيميائية، وفقًا لتأكيدات الأهالي والناشطين.

ووضعت هذه المجزرة أوباما أمام تحدٍ كبير للموازنة بين الوفاء بوعوده بضرورة ردع النظام في حال خرقه "للخط الأحمر"، وبين إقناع الشعب الأميركي باتخاذ قرار الرد.

في الشهر التالي، قال أوباما في خطاب وجّهه لشعبه إن توجيه "ضربة محدودة" بالزمان والمكان ستهدف لشلّ قدرات النظام السوري على استخدام السلاح الكيميائي مرة أخرى، مركّزًا حديثه على أمن الولايات المتحدة والعالم. لكن هذا التركيز -الذي تجاهل مأساة ملايين السوريين- لم يلقَ الكثير من الترحيب في الولايات المتحدة وأوروبا وفقًا لاستطلاعات الرأي.

احتلّت تطورات الموقف الأميركي صدارة نشرات الأخبار والصحف حول العالم عدة أيام، ورأى محللون في تردد أوباما إحراجًا كبيرًا للولايات المتحدة، ولكن من دون اتخاذ قرار للتحرك.

وفي التاسع من سبتمبر/ أيلول، قدم لافروف فرصة لإخراج أوباما من المأزق عندما عرض على وزير خارجية النظام السوري وليد المعلم اقتراحا بوضع الأسلحة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية، فأعلن النظام موافقته على الفور، وبدا أن الحل الذي سيُخرج الجميع من الحرج هو تدمير هذه الترسانة وانضمام سوريا إلى منظمة حظر الأسلحة الكيميائية.

ومع بلوغ نهاية هذا العام، تتوجه الأنظار إلى جنيف مجددًا، التي تتأهب لعقد مؤتمرها في ٢٢ يناير/ كانون الثاني المقبل بعد تأجيله مرات عدة، ومن أبرز تحدياته سحبُ أهم الكتائب المقاتلة ثقتها من الائتلاف، والخلاف بشأن مشاركة إيران في الحل، ومواقف الدول الإقليمية المتضاربة من مصير الأزمة السورية بتعقيداتها المختلفة.

عام آخر ينقضي في سوريا من دون حسم

الجزيرة نت- ١ يناير ٢٠١٤

مع بداية العام المنصرم ٢٠١٣، كانت آمال المعارضين والثوار كبيرة بأن يكون هو عام الحسم، ومع أفول شمس هذا العام الحافل بروائح الدم والبارود وغاز السارين، يبدو المشهد السوري أكثر تعقيدًا من قدرة أي محلِّل على استشراف مستقبله وتلمّس آفاقه.

فقد انتهى عام ٢٠١٢ مع إعلان الائتلاف الوطني المعارض إمكانية موافقته على نشر قوة دولية لحفظ السلام إذا تنحى الرئيس بشار الأسد، لكن الشهر الأول من عام ٢٠١٣ شهد غارة إسرائيلية على مركز للبحث العلمي يتبع جيش النظام قرب دمشق، وهي غارة استثمرها النظام إعلاميا للضرب مجددا على وتر المؤامرة الدولية التي تستهدفه.

في الوقت نفسه، كان الثوار يؤكدون أنهم سيطروا على قرابة نصف مساحة البلاد، وكانوا قد أعلنوا للتو عن معركة "تحرير" حماة، لكن هذه المعركة لم تحقِّق هدفها بسبب قصف النظام المتواصل على أحياء سكنية في مناطق عدة من المحافظة.

لم تنجح أيضًا معركة "الملحمة الكبرى" في نقل الصراع إلى قلب دمشق، وما تزال البقية الباقية من الثوار تكافح للحفاظ على مواقعها في الأحياء الفقيرة

والمحاصَرة على أطراف العاصمة، مثل جوبر وبرزة ومخيم اليرموك والقابون، بعد أن أحالها النظام إلى خراب.

شهد فبراير/ شباط أيضًا المزيد من التصعيد الطائفي، مع تزايد تدخل اللبنانيين الشيعة في القتال حول بلدة القصير غرب حمص، وتعالت نداءات الثوار طلبًا لتدخّل دولي يتصدّى لتوغّل حزب الله اللبناني، الذي سرعان ما سيطر على ثماني قرى حدودية.

وفي الشهر نفسه، شهدت دمشق مجددًا انفجارًا ضخمًا قرب مقرّ حزب البعث، أسفر عن مقتل نحو خمسين شخصًا وسط تبادل للاتهامات بين النظام والمعارضة، في وقت أكدت فيه هيومن رايتس ووتش أن النظام كان يستخدم بالفعل الصواريخ البالستية ضد مناطق مدنية بالكامل، مما أدى إلى مقتل ١٤١ شخصًا -معظمهم من الأطفال- خلال أسبوع واحد فقط.

تصعيد ومذابح

وفي الثامن من أبريل/ نيسان، أخذ الصراع على الأرض السوريّة بعدا أكثر تعقيدا مع إعلان زعيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" أبو بكر البغدادي عن تبعيّة تنظيم جبهة النصرة لتنظيمه، وفي اليوم التالي رفض زعيم النصرة أبو محمد الجولاني هذا القرار، وأعلن البيعة لأمير تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، لتبدأ بذلك سلسلة من الاضطرابات التي زادت من تورط الثورة السورية في الصراعات الإقليمية.

ومن جهة أخرى، عادت عجلة المذابح الجماعية للدوران في مايو/ أيار، فشهدت قرية البيضا قرب بانياس الساحلية مذبحة طائفية ذهب ضحيتها نحو ١٥٠ مدنيًّا، معظمهم من النساء والأطفال.

وبالرغم من التنديد الدولي وفظاعة التقارير والصور التي نشرها الناشطون، فقد أعاد النظام تملّصه من المسؤولية، بينما ضاعف الثوار نداءاتهم لتدخّل دولي يتصدّى لما أسموه خطة تهجير طائفي وتأسيس دولة علَوية في الساحل السوري، حيث تواصلت المذابح في المنطقة لأكثر من يوم.

وفي أوائل يونيو/ حزيران، احتفل النظام وحزب الله في مظاهر كرنفاليّة بسقوط بلدة القصير في حمص، القريبة من الحدود اللبنانيّة، مما دفع "المجلس العسكري الثوري" في حلب للتهديد بنقل المعركة إلى داخل لبنان. في حين تقدمت فصائل المعارضة في محافظة الرقة واستكملت سيطرتها على مطار منّغ العسكري المحاذي للحدود مع تركيا، والذي كان مسؤولا عن الكثير من أعمال القصف والغارات ضد القرى الشمالية.

ومع تواصل حالة الصمت الدولي إزاء المجازر المتواصلة في سوريا، استيقظ العالم فجر ٢١ أغسطس/ آب على مجزرة جديدة في ريف دمشق، ذهب ضحيتها نحو ١٥٠٠ شخص، معظمهم من النساء والأطفال، وذلك نتيجة قصف بصواريخ تحمل غاز السارين السامّ.

ونظرًا لضخامة عدد الضحايا وللصدمة التي أحدثتها صور جثث الأطفال، تسببت المجزرة بردود فعل دولية عنيفة، وأتبعها الرئيس الأميركي باراك أوباما

بتهديد شديد اللهجة جراء تخطي نظام الأسد للخط الأحمر الذي سبق لأوباما أن حدّده ممثلا بالسلاح الكيميائي، وحبَس العالمُ أنفاسه بانتظار ضربة عسكرية محتملة، إلا أن النظام تمكّن مجدّدا من تفاديها عبر صفقة للتخلّص من سلاحه الكيميائي، وكسب المزيد من الوقت لحسم معركته مع الثوار.

تشابك القوى

لم يعلِّق الثوار الكثير من الآمال على الفقاعة الإعلامية التي أحدثتها مداولات السياسيين حول العالم بشأن الضربة التي لم تقع، وتابعوا معاركهم في شتى المحافظات ضد قوات النظام والكتائب المتحالفة معه، مثل مليشيات "الجيش الوطني" التي شُكلت لتنظيم عناصر الشبيحة، ولوائَي "أبو الفضل العباس" و"ذو الفقار" العراقيَّين الشيعيَّين، إضافة إلى الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني.

وتمكَّن الثوار في شهر سبتمبر/ أيلول من السيطرة على عشرات القرى جنوب حلب، وأحرزوا بعض التقدم في درعا والرقة وحماة، بينما اضطروا إلى الانسحاب من بلدة معلولا المسيحيّة التاريخيّة في ريف دمشق "حقنا للدماء."

وانتقد الائتلاف الوطني السوري -في بيان أصدره بشهر أكتوبر/ تشرين الأول- العراقَ لتدخله "المباشر وغير المسبوق" في سوريا، وقال إن حكومة بغداد "التي يهيمن عليها الشيعة" قدّمت تسهيلات "لمليشيات طائفية بدخول سوريا والقتال إلى جانب الأسد"، وذلك على هامش هجمات شنتها قوات عراقية في ريف دمشق بالتنسيق مع مليشيات كرديّة، وفقا لناشطين.

ومن جهة أخرى، سيطر تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" على بلدة إعزاز المشرفة على معبر باب السلامة الحدودي شمال سوريا، بعد اصطدامه بلواء عاصفة الشمال التابع للجيش الحر في منتصف سبتمبر/ أيلول.

وبدأت بذلك مرحلة جديدة من الصراع بين فصائل المعارضة مع تصاعد الأصوات في أوساط المعارضة لعزل تنظيم "الدولة الإسلامية" واعتباره طرفًا ثالثًا، وخصوصًا مع اتهامه من قبل بعض الثوار بالتعرض للاختراق من قبل مخابرات النظام، لكن هذا كله لم يمنع التنظيم من مواصلة توسّعه في مناطق بشمال حلب وإدلب واقترابه من المعابر الحدودية، وهو حريص على استعراض مظاهر قوته أينما حلّ.

وفي خطوة اعتبرها البعض رد فعل تجاه تصاعد "قوى القاعدة"، أعلن ٤٣ تشكيلًا عسكريًا في أواخر سبتمبر/ أيلول عن انضوائهم تحت "جيش الإسلام" بقيادة زهران علوش، ثم أُعلن بعد أقل من شهرين عن اندماج جيش الإسلام مع عدد من كبار الفصائل في تكتل واحد يسمى "الجبهة الإسلامية"، وهو يهدف في ميثاقه لإسقاط النظام و"بناء دولة إسلامية راشدة."

وأعلنت الجبهة الإسلامية لاحقًا انسحابها من هيئة أركان الجيش الحر، مما يعني إفراغ الجيش الحر من معظم قوته، في الوقت الذي تستعدّ فيه المعارضة للذهاب إلى جنيف للتفاوض على حل سياسي للأزمة.

وفي الثامن من ديسمبر/ كانون الأول، أعلنت عشرات الفصائل الأخرى انضمامها إلى تكتل جديد حمل اسم "جبهة ثوار سوريا"، هدفه "إعلاء كلمة لا إله

الا الله وإسقاط النظام وحماية الأنفس والبلاد والحفاظ على سوريا موحدة أرضًا وشعبًا."

ومع بلوغ عام ٢٠١٣ نهايته، يبدو المشهد أكثر تعقيدًا مما كان في بدايته، فثمة اتهامات متبادلة بين فصائل عدة بالتقصير في مساندة بعضها، كما يتبادل النظام والثوار الكرّ والفرّ في ريف دمشق وحلب وحمص مع احتفاظ كل منهما بمناطق نفوذه، بينما يقترب عدد القتلى على يد النظام من ١٠٣ آلاف، ويزيد عدد المباني التي دمرها على ٩٠٠ ألف، ويدنو عدد النازحين في الداخل من ٤,٦ ملايين فضلا عن أكثر من نصف هذا العدد في الخارج.

* * * *

البراميل المتفجرة..
تقتل أكثر بتكلفة أقل

الجزيرة نت- ٤ يناير ٢٠١٤



صورة بثتها الجزيرة نقلا عن ناشطين يبدو فيها برميل لم ينفجر وهو يحمل شعارا طائفيا

تشير إحصاءات حقوقيين سوريين إلى مقتل أكثر من ٢٧٠٠ شخص منذ بدء الثورة جرّاء إسقاط طائرات النظام للبراميل المتفجرة عشوائيا، حيث قُتل أكثر من ستمئة منهم في حلب وحدها خلال أقل من أسبوعين.

ومع شيوع استخدام هذا السلاح البدائيّ، يتساءل الناشطون والحقوقيون عن سبب اهتمام العالم بالسلاح الكيميائي إلى درجة التهديد بالتدخل العسكري، بينما لا تكاد هذه البراميل تثير اهتمام أحد في المجتمع الدولي، حتى لو بلغ عدد ضحاياها أضعاف أي سلاح آخر.

تتكون هذه البراميل من قوالب معدنية أو إسمنتية مزوّدة بمروحة دفع في الخلف وبصاعق ميكانيكي في المقدمة، وهي تحمل ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ كلغ من مادة "تي أن تي" المتفجرة، مضافة إليها مواد نفطية تساعد في اندلاع الحرائق، وقصاصات معدنية مثل المسامير وقطع الخردة المستخدمة في السيارات لتكون بمثابة شظايا تحدث أضرارا مادية في البشر والمباني.

ويرى ناشطون أن النظام بدأ باللجوء إلى هذا السلاح البدائي الرخيص بعد أن قاربت ذخيرته من القنابل التقليدية على النفاد، بينما يفسر آخرون هذه الإستراتيجية بتعمد إحداث الدمار على أوسع نطاق عملا بمبدأ "الأرض المحروقة"، فهو سلاح لا يتطلب أي توجيه، ويكفي إلقاؤه من المروحيات على المناطق السكنية المكتظة ليتسبب بدمار كبير داخل دائرة قطرها ٢٥٠ مترا.

استهداف المدنيين

ووفقا للشبكة السورية لحقوق الإنسان، تسبب أكثر من ١٦٧٣ برميلا متفجرا ألقاه سلاح جو النظام على مختلف المحافظات السورية بمقتل ما لا يقل عن ٢٧٤٨ شخصا، بينهم قرابة نحو ٢٨٤ طفلا، مؤكدة أن ٩٧٪ من هؤلاء الضحايا مدنيون. كما تسببت البراميل المتفجرة في دمار وتضرر نحو ٥٤٠٠ مبنى.

وفي الأسبوعين الأخيرين من العام المنصرم، شن النظام حملة عنيفة على محافظة حلب باستخدام هذا السلاح العشوائي، ما أودى بحياة ٦٣١ شخصا بينهم ١٦٣ طفلا و٧٥ امرأة.

ورصدت الشبكة شهادات عدد من الأهالي في حلب، أكدوا فيها اندلاع الغارة الجوية صباح يوم ١٥ من ديسمبر/ كانون الأول دون سابق إنذار، وأنها استهدفت مناطق سكنية بالكامل، مشيرين إلى أن نصف هذه المواقع كان مزدحما.

وقال شاهد عيان إن القصف أدى صباح ذاك اليوم إلى تدمير سبع حافلات كانت موجودة في دوار الحيدرية حيث تتجمع الحافلات لنقل المدنيين إلى الريف الشمالي من حلب، كما بث ناشطون صورا لجثث محترقة جراء القصف المباغت.

وتضاعفت وتيرة الرعب في اليوم التالي بتوسع الهجوم في ١٢ نقطة بحلب، كان أبرزها استهداف مدرسة طيبة في حي الإنذارات حيث قتل ١٢ مدنيا بينهم أربعة أطفال وامرأة. أما اليوم الذي يليه فشهد سقوط برميل متفجر على مبنى مؤلف من سبعة طوابق، وقد روى شاهد عيان ما رآه من إصابات بصفوف المدنيين من سكان المبنى ومن طلاب معهد مجاور وزبائن لمخبز في الحي.

واتسعت قائمة الأهداف على مدى الأسبوعين التاليين، لتشمل وفق روايات شهود مدارس ومحطات نقل ومؤسسات مدنية، كما شمل القصف بلدات عدة بالمحافظة ومنها الباب وتادف وعويجة وعندان وبيانون.

قتل عشوائي

من جهته، قال مؤسس الشبكة السورية لحقوق الإنسان فضل عبد الغني إن أي

قائد يعطي أوامر باستخدام مثل هذه الأنواع من الأسلحة هو "مجرم حرب ومجرم بحق الإنسانية"، فهي أسلحة شديدة العشوائية ولا تصيب أهدافا عسكرية محددة، ما يعني أن الهدف من استخدامها لا يمكن أن يكون سوى "القتل والإرهاب."

وأضاف -في حديثه معنا- أن إصرار النظام السوري على استخدام هذا السلاح منذ عام ٢٠١٢ وحتى الآن يؤكد أنه أمر يتعلق بسياسة الدولة، ورأى أن مبدأ مسؤولية القيادة في القانون الدولي الإنساني "يعتبر كل من ارتكب تلك الجرائم مجرما تجب على المجتمع الدولي محاكمته."

وردا على سؤال بشأن عدم اعتبار هذا السلاح مشابها للقنابل العنقودية من الناحية القانونية، قال عبد الغني إن القنابل العنقودية كانت تستخدم بكثرة من قبل جيوش العالم، مما دفع الحقوقيين حول العالم لبذل جهود مكثفة انتهت بتحريم استخدامها دوليا، مضيفا أن البراميل المتفجرة لم يسلَّط الضوء عليها كثيرا لندرة استخدامها في الحروب النظامية.

وذهب الناشط الحقوقي إلى أن "الصمت الدولي المطبق" على استخدام هذه الأسلحة يشكّل انهيارا لمبادئ رئيسية في القانون الدولي الإنساني، ناضل الحقوقيون سنوات حول العالم من أجل إقرارها والدفاع عنها، "والآن بدأت تنهار أمام أعيننا"، حسب تعبيره.

* * * *

الخطيب: جنيف-٢ لتمرير تفاهمات دولية وأدعو للمشاركة

الجزيرة نت- ١٠ يناير ٢٠١٤



رئيس الائتلاف السوري (يمين) مع المؤلف خلال اللقاء الذي تم في أحد فنادق الدوحة

منذ انتخابه رئيسا للائتلاف السوري المعارض وإلى ما بعد استقالته، ظل الشيخ والمهندس والمعتقَل السابق أحمد معاذ الخطيب يثير الجدل بخطاباته ومبادراته التي تغرّد خارج السرب.

وما بين صورة الناشط المتمرد على بروتوكولات الدبلوماسية، وبين الداعية الديني الغريب عن دهاليز السياسة، تتفاوت آراء المعلقين في تجربة الخطيب التي ما زالت تدور في مدار مساعي إنهاء الأزمة السورية، بالرغم من تخلي الخطيب عن منصبه.

في هذا الحوار، رأى ضيفنا أن مؤتمر جنيف-٢ صُنع لتمرير تفاهمات دولية حول سوريا، وعبّر عن تأييده مشاركة المعارضة فيه، وفيما يلي نص الحوار:

لنبدأ من ١١ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٢، فبعد المداولات الساخنة بالدوحة بين قيادات المجلس الوطني ومعارضين مستقلين، وبعد ما تسرب عن الجدل بشأن أطروحة رياض سيف لتشكيل تكتل جديد يمرر تسويات سياسية وتفاؤل قيادات المجلس بفشله، فوجئنا بالإعلان عن تشكيل الائتلاف الوطني وانتخابكم رئيسا له. فما هو هدف تأسيسه ولماذا تم انتخابكم؟

- كان السيد رياض سيف يبحث عن صيغة لتجميع قوى المعارضة ضمن "مجلس حكماء" يضم نحو ١٥ شخصا، وكان يبحث عن أشخاص من التيار الديني، ووُضع اسمي عرَضيا ضمن قائمة المرشحين، ثم دُعيت للاجتماع ممثلا لدمشق، فقبلت استجابةً لضغوط ناشطين على أن يختاروا بديلا فيما بعد، ثم طُرح اسمي للرئاسة فرفضت بالبداية، لكن ضغوطا من كل الأطراف السورية دفعتني للقبول، وذكرتُ على الملأ أني سأعطي نفسي فرصة أربعة أشهر ثم أتخذ قرارًا نهائيًا بشأن الاستمرار.

شهد الائتلاف حراكا سياسيا مكثفا لم نعهده من المجلس الوطني، فكانت لكم لقاءات كثيرة مع صنّاع القرار في العالم مقرونة بوعود طموحة. هل جاء هذا النشاط نتيجة لنوايا دولية سابقة على تأسيس الائتلاف أم نتيجة لنشاطك الشخصي؟ أم لعوامل أخرى؟

- العوامل كلها اجتمعت آنذاك، فالعالم كان متشوقًا للتعرف على الائتلاف، وقمعُ السوريين جلب آنذاك تعاطف كثيرٍ من القوى المدنية والسياسية، وأنا مقتنع برفض التقوقع وبمحاولة التأثير في القوى الدولية مهما كانت الصعوبة، لكن طريقة الأداء المتواضعة لاحقا أدت إلى خسارة كثير من ذاك التعاطف.

في فبراير/ شباط ٢٠١٣ قدمتَ مبادرتك المشهورة للحوار مع النظام، مشفوعة بشرط الإفراج عن ١٦٠ ألف سجين وإصدار جوازات سفر للاجئين، ما أثار موجة نقد كبيرة ضدك من داخل المعارضة، فقيل إنك اعترفت بشرعية النظام وقدّمت له فرصة لتصعيد العنف، ما تعليقك؟

- لا يمكن القول إني منحته فرصة لتصعيد العنف لأن النظام لديه إستراتيجية مسبقة للقمع وتمتد لسنوات قادمة، وأعتقد أنه يتمتع برؤية لأفق بعيد في مقابل معارضة لا ترغب بامتلاكها.

وفيما يتعلق بالاعتراف بشرعية النظام، فأنا لا أتعامل مع مثل هذه المصطلحات الفاترة التي لا تؤدي لنتيجة، فالنظام موجود ونحن مضطرون للتعامل مع هذا الواقع خروجًا من المأساة، وماذا عن تعامل النبي الهادي مع كفار قريش في الحديبية؟ هل يستطيع أحد الزعم بأنه اعتراف بشرعية المشركين؟

أما الشعار الذي يرفعه بعض الزملاء وهو "أنا لا أصافح اليد الملطخة بالدماء" فأراه مقولة غوغائية يرددها من يعيش في أوهام التاريخ، فهناك من المعارضين من يشارك بسفك دماء السوريين سواء قصدَ ذلك أم لا، وترديد هذه المقولات عبر الإعلام يزيد في تجييش الرأي العام بعيدًا عن الحلول الواقعية.

إذا سلّمنا بذلك، فإن منتقدي المبادرة قالوا إنك لم تستشر أحدا فيها، وإن مبادرة بهذا الحجم قُدمت شخصيا من قبلك بعد أداء صلاة الاستخارة ثم نشرتها على صفحتك الشخصية في موقع فيسبوك. كيف ترد؟

- لن أقول إن الفكرة خطرت لي نتيجة تفكير طويل بل ثمرة لفكر إستراتيجي أؤمن به قديمًا، فعندما نواجه مشكلة نعلم أنها ستنتهي إلى نتيجة حتمية فلنحاول أن نذهب إليها مبكرا. ولا أنكر أن المبادرة طُرحت بطريقة تخلو من الأعراف الدبلوماسية، لكنها لقيت قبولًا دوليًا على أعلى المستويات، وحرّكت المياه الراكدة في طرفي الموالاة والمعارضة.

أما التعريض بالاستخارة فأتى في سياق يشبه الحملة، فوجود قيادي إسلامي أزعج الكثيرين، وعليّ أن أوضح أن الائتلاف عقيم سياسيًا ويهدر وقتًا مديدًا من غير طائل لمناقشة قضايا صغيرة، وأعضاء الائتلاف يعرفون أني طالبت كثيرًا بتغيير طريقة الأداء، لكن إستراتيجيات العمل الآن تمنعني من ذكر التفاصيل.

وماذا عن المبادرة الثانية التي قدمتُها للهيئة العامة بعد المشاورة؟ لقد خنقتْها العقليات الحزبية قبل أن يتعالى عليها النظام، وربما كنا قد حقنّا دماء عشرات ألوف الأبرياء.

نعيش الآن أجواء ما قبل جنيف٢ الذي عُلقت عليه الآمال بعد فشل المحاولات السابقة، وهو مهدد أيضا بالفشل بعد إعلان الجبهة الإسلامية المقاتلة والمجلس الوطني رفضهما للمؤتمر، فهل تتوقع نجاحه؟

- جنيف-٢ لم يُصنع لينجح بل لتمرير تفاهمات دولية، ومع ذلك إذا سألتني عما إذا كنت أؤيد مقاطعته فسأقول لك لا.

علينا اقتناص كل فرصة وتحويلها لصالحنا، فالنظام كسب نقطة لصالحه بقرار البعض الانسحاب، والحكمة تقتضي أن نضغط على المجتمع الدولي ونجمع القوى المدنية والعسكرية لدعمنا، أما المقاطعة فهي أسهل الحلول للتخلي عن المسؤولية.

قلتَ سابقا إنك تنصح المعارضة المسلحة بالمطالبة بتمثيل واسع لها في جنيف-٢ لتشارك في القرار الذي قد يُتخذ في غيابها ويُفرض عليها. ألا ترى أنها قد تضع نفسها في فخ سياسي لا تقدر على التخلص منه بل تعطيه الشرعية بمجرد مشاركتها؟

- الذهاب إلى جنيف-٢ بدون كفاءة مناسبة هو مأزق كبير، والمطلوب هو الذهاب إلى المؤتمر بطاقم تفاوض قوي يملك رؤية واضحة ويتمتع بالتوافق، وعندها سنقلب الطاولة على النظام لأنه أضعف مما نظن.

أتساءل لماذا لا يسارع ممثلو القوى إلى المشاركة وإحراج الأطراف التي تتلاعب بالقرار السوري؟ وإذا كانوا يخشون من تعرضهم لفخ فأنا أعذرهم، ولكن

هـذا لا يلغـي المبـدأ الـذي يوجـب علينـا الاسـتفادة مـن أي فرصـة، فلـدينا كفـاءات تفاوضية محترفة.

النظام يحاول كسب الوقت، والمعارضة لا تقوم بدور سياسي يجعل القـرار في يد السوريين وحدهم، بل تتسول الدعم السياسي مـن بعـض أصـدقائها الافتراضـيين، والذين لـم تفهـم حتى الآن أن بعضهم من داعمي النظام.

أثـارت اسـتقالتك في مـارس/ آذار ٢٠١٣ جـدلًا لا يقـل عمـا أثارتـه المبـادرة، وذكرتَ في عدة مواضـع أن ثمـة ضـغوطًا ومؤامرات كانـت تحـدث خلـف الكـواليس ودفعتك للاستقالة، كما انتقدك كثيرون فيما اعتبروه تراجعا عنها أو حتـى اسـتخدامها كورقة للمزايدة، فكيف تعلق؟

- قد يكتب الله لي لاحقًا ذكر أسماء من كانوا يقولون إن الائـتلاف لا يجـوز لـه التحـول إلـى مؤسسـة، ويكفيـك دلـيلا علـى ذلـك واقعـه العجـائبي، وقـد أعلنـتُ في الجلسة الثانية للائتلاف أني لا أستطيع قيادته بـدون هيئـة سياسـية تنفيذيـة، ولكـن كـل الأطراف الحزبية حاربت الفكرة وأفشلت محاولة تشكيل الهيئة ست مرات، وبعد أن اعترضتُ بكلام قاسٍ وافقوا على تشكيل هيئة استشارية مؤقتة وغير فاعلة.

أضف إلى ذلك ما رأيتُـه منـذ اللقـاءات الأولـى مـن تلاعـب دولـي بالسـوريين، فأدركتُ أن هناك نية لخداع الناس باستثمار رئاستي للائـتلاف، وتمريـر تفاهمـات لـم أستطع إيقافها ولا يمكنني قبولها.

إذن هل نسمي استقالتك انسحابا؟

- لا تهمني المصطلحات وأعتبرها نوعًا من القيود الساذجة، وأنا لم أنسحب لأنعزل في جزيرة نائية، بل بقيت متابعا وفاعلا قدر المستطاع، وقمت بنشاطات على مستويات عالية لتفعيل الدعم السياسي، ولو كان العمل الفعّال ممكنا في قيادة الائتلاف ما استقلت، غير أني وجدت أن الإصلاح من الداخل غير ممكن.

يقال إنك تراجعت عن الاستقالة لاحقا ثم أعدت تقديمها، فما حقيقة ذلك؟

- استقلت مرة واحدة وكنت أنتظر موافقة الهيئة العامة، ثم ذكرتها أمام وزراء خارجية مجموعة أصدقاء سوريا احتجاجًا على المواقف الدولية المتخاذلة، فانتهزت بعض الأطراف الأمر لتزعم أني أتراجع، والحقيقة أني واصلت عملي حتى انتخاب رئيس جديد وفقا للقانون.

هل ترى أن حل الأزمة سيكون سياسيا أم عسكريا؟

- هناك تفاهمات دولية تعمل بمقولة "دع الخصمين الشريرين يتقاتلان حتى النهاية ثم ساعد الأضعف منهما" والهدف هو إخراج سوريا مدمَّرة، فلا النظام ولا الثوار قادرون على الحسم. أرى أن إيجاد أي مبادرة سورية تعتمد على التفاوض مع دعم الداخل لإخراج البلد من المأزق هو فريضة شرعية وسياسية ووطنية.

نُقل عنك أنك لا تمانع التوافق على استمرار النظام في الحكم ضمن حكومة توافقية بعد خلع الأسد وعائلته وترضية روسيا وإيران، بما يسمح على المدى البعيد بضعضعة النظام وإنهائه بدلًا من تدمير ما بقي من البلد. هل هذا صحيح؟

– ليس الأمر هكذا، وهذا النظام لا يجوز أن يستمر بحال. لكن الأمر لا يمكن أن يحصل بطفرة، لذا فإن تفاهمًا حتى مع النظام نفسه ضروري، وقد يعتبر البعض طرحي نوعًا من التبسيط المخل لكني لا أوافق على ذلك، فمصطلح النظام نفسه غير متفق عليه، والنظام رغم غروره يعيش مأزقا حقيقيا، فإيجاد مخرج للجميع هو أنسب الحلول، وتستطيع أن تقرأ في التجربة البولندية لتغيير النظام شاهدا على ذلك.

قيل إن مسؤولين غربيين هدّدوا قيادة الائتلاف بأنها إذا لم تتفق مع النظام فسيغلقون حدود البلد ويتركون السوريين ليتقاتلوا حتى الفناء، هل هذا صحيح؟

– نعم قيل شيء قريب من هذا، وأرادوا به الاستجابة لرؤيتهم وإلا فإنهم سيغرقون البلد بمزيد من الخراب، وهذا يمكن أن يحدث مع استمرار الصلف من كافة الأطراف، ويمكن أن يفشل في حال التكاتف.

وفق تلميحاتك وما طرحتَه الآن في الحوار، ووفقًا لما يقال بين مؤيدي الثورة على مواقع التواصل الاجتماعي، فإن الجسد السياسي للمعارضة لا يملك المؤهلات الكافية لتبني الحل السياسي، فما الذي يدفع الناس إذن للتفاؤل؟

– الشعب السوري صمد لنحو ثلاث سنوات أمام أكثر أنواع الآلات العسكرية توحشا، ودعك من الصمت الدولي المخجل. أؤمن بأن الشعب لن ينكسر طالما

أدرك ضرورة التوحد، وأن توحد ٤٠٪ فقط من الناشطين سيغير كثيرا في المعادلة الدولية، وأنا متفائل بعد أن رأيت القدرات الكامنة للسوريين، ولا ينبغي أن نسير في طريقٍ فشل فيه آخرون.

استقرأنا آراء ناشطين داخل سوريا مؤخرًا، واستنتجنا وجود تململ بسبب طول الأزمة وما طرأ من اقتتال بين الثوار، فضلا عن تردي الوضع الإنساني. هل تخشى انتقال الوضع من ثورة تطالب بالكرامة إلى حرب طائفية مفتوحة؟

– الشعب السوري ذو جَلَد فائق، ويكفي أن الفترة المظلمة لم تطفئ توقه إلى الحرية والكرامة، كما لم تنجح محاولات الدفع باتجاه أن يقاتل بعضه بعضًا، ولكن الانحدار في أي مزلق قد يؤدي لاستمرار الوضع عشر سنوات إضافية، أي فناء سوريا أرضًا وشعبًا، أو على الأقل إنهاكها بطريقة غير قابلة للعلاج.

هل تحمّل بعض قوى المعارضة مسؤولية استمرار الوضع لإصرارها على مواصلة القتال من دون اكتراث لرأي الشارع؟

– بالتأكيد، فكل عمل عسكري لا يقترن برؤية سياسية ثاقبة لن يؤدي إلى نتيجة، فما معنى زج الناس في الصراع دون أن يرافقه العمل على إيجاد مخرجات مناسبة؟ أرى أن هذا سيسبب تآكل الدعم الشعبي الذي لا تنجح الثورات بدونه.

ماذا تقول لكل من الجبهة الإسلامية، المجلس الوطني، الائتلاف الوطني؟

– أقول للإخوة في الجبهة إنه ينبغي أن تكون لديهم رؤية سياسية بعيدة النظر، ولا تقيّد نفسها بقيود غير ضرورية. وأقول للمجلس الوطني إن المواقف المتصلبة

قد تكون كالملح للطعام لكن لا يجوز أن تكون فلسفة حياة. أما الائتلاف فأرى أنه يخسر كل يوم أوراقًا إضافية، وأدعوه إلى تنظيف نفسه وخصوصًا من الرشوة والمحسوبيات.

أدعو الجميع للخروج من العقلية الانتقامية الثأرية، فمع اعترافنا بأن كثيرين خسروا أموالهم وأهلهم وبأن الخسارة لن يعوضها شيء، لكن المعاناة لن تضيع عند الله وسيذكرها الناس والتاريخ، وهناك فجر قادم إلى وطن نعيد بناءه لمستقبل أبنائنا الجديد.

* * * *

الناشطون الإعلاميون في سوريا يرتدون أحزمة ناسفة

الجزيرة نت- ١٥ يناير ٢٠١٤

لم تعد الصورة التقليدية للناشط الإعلامي الثوري كما عهدناها من قبل في المدن والقرى السورية المدمَّرة، ولم تعد كاميرات الفيديو هي سلاح الناشط الوحيد، فالاستهداف المتعمّد بات يدفعه لحمل السلاح، حتى وصل الحال ببعضهم إلى ارتداء أحزمة ناسفة للضغط على زناد الموت في حال تعرضهم للخطف والسقوط في قبضة النظام.

ففي يوم الاثنين الماضي، أعلنت الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون التابعة للنظام عن مكافأة مالية قيمتها خمسمئة ألف ليرة سورية (٣٥٠٠ دولار) ستخصص لكل من يقوم بتسليم أحد "الإرهابيين" من غير السوريين، وعن مكافأة تقدر بمئتي ألف ليرة سورية (١٤٠٠ دولار) لكل من يقوم بالتبليغ عن أماكن وجودهم أو يساعد على إلقاء القبض عليهم.

وتضمن الإعلان الذي بثه التلفزيون الرسمي أرقاما هاتفية قيل إنها خُصصت لتلقي البلاغات، مع وعد بالحفاظ على سرية هوية المتصل وسلامته، فضلا عن "تسوية وضعه" الأمني في حال كونه مطلوبا للجهات الأمنية.

لكن هذا الإعلان لم يكن خاصًا بالمقاتلين الأجانب فحسب، كما في صيغته الرسمية، بل يشمل ناشطين سوريين عبر إغراء زملائهم بالإبلاغ عنهم، كما يقولون.

حزام ناسف

الناشط الإعلامي هادي العبد الله حقق شهرة واسعة منذ انطلاق الثورة، وكان له حضور لافت خلال معظم المعارك التي دارت في حمص والقصير، وهو يضع على خصره اليوم حزاما ناسفا بعد توالي التهديدات بخطفه في الآونة الأخيرة.

وفي اتصال هاتفي أجريناه معه، قال العبد الله (٢٧ عاما) إنه كان يتلقى تهديدات كثيرة منذ بداية الثورة بالقتل والخطف، لكن التقارير التي أعدّها عن معارك القصير وتضمّنت صورا لجثث القتلى من كتائب النظام وحزب الله اللبناني رفعت اسمه على قائمة أهم المطلوبين.

وفي الشهر الماضي، نشر الناشط الحمصي تسجيلا على موقع يوتيوب أجرى فيه تحقيقا مطولا مع ثلاثة مقاتلين عراقيين تم اعتقالهم على يد الثوار، حيث كشف خلاله معلومات مهمة عن تورط عدد من مشايخ الشيعة العراقيين في "التحريض" على المشاركة في القتال داخل سوريا، الأمر الذي زاد من نبرة التهديدات ضد العبد الله.

وخلال مشاركته في تغطية المعارك الأخيرة على أطراف الغوطة بريف دمشق، قال العبد الله في الاتصال الهاتفي إن بعض الثوار جرّبوا الاتصال بالأرقام التي يعرضها التلفزيون الرسمي يوميا، رغبة باكتشاف ما وراءها، فأخبرهم عناصر الأمن

بأنهم يبحثون عن العبد الله تحديدا، وأنهم يعرضون مبلغ خمسة ملايين ليرة (٣٦ ألف دولار) مقابل تسليمه، وأضاف أن رقم المكافأة تم رفعه إلى الضعف بعد التفاوض، مع إمكانية رفعه إلى مبالغ أكبر.

وقال الناشط العبد الله إنه قرر ارتداء حزام ناسف في كل تنقلاته، مشيرا إلى أنه يفضّل الموت على الوقوع في قبضة النظام الذي يمارس أشد أنواع التعذيب على الناشطين لاستخلاص معلومات قد تودي بحياة كثير من زملائهم.

كاميرا وسلاح

في سياق متصل، يؤكد العبد الله أن عددا من مقاتلي المعارضة اضطروا في بعض المعارك إلى الرضوخ لإغراءات النظام وتسليم أسلحتهم استجابة لدعوات الهدنة، كما حدث في تلكلخ بريف حمص ومعضمية الشام بريف دمشق، وهو يلتمس لبعضهم العذر بعد انقطاع الدعم عنهم وإحكام الحصار والتجويع، مضيفا أن النظام اعتقل بعض هؤلاء بالرغم من وعوده بالعفو.

وقد أجبرت هذه التطورات بعض الناشطين على حمل السلاح لحماية أنفسهم، مثل أبو محمد شام الذي شارك بتغطيات إخبارية في معارك بابا عمرو والخالدية، وظل مقيما في الأحياء المحاصرة بحمص شهورا عديدة، قبل أن يُقتل في إحدى المعارك مؤخرا.

ومن جهته، يقول مسؤول لجنة الحريات برابطة الصحفيين السوريين حسين جلبي إنه تم توثيق مقتل ٢٢٦ إعلاميا منذ بدء الثورة، مشيرا إلى أنه لا توجد حتى

الآن أي جهة قادرة على الضغط على النظام للإفراج عن الصحفيين المعتقلين أو الكشف عن مصيرهم، فضلا عن منع استهدافهم.

ويضيف جلبي -في اتصال هاتفي- أن الشهور الأخيرة شهدت انتهاكات كبيرة ضد الإعلاميين بالمناطق الخاضعة للثوار، حيث أصبح الإعلامي هدفا لبعض الكتائب المسلحة قتلا وخطفا، بغض النظر عن الجهة التي يعمل معها.

* * * *



استعادة المبادرة في ظل المؤامرة

صحيفة العهد- ٢ فبراير ٢٠١٤

عندما اندلعت الثورة السورية على هيئة مظاهرات سلمية تنادي بشعارات التحرر والديمقراطية، ومع شيوع مظاهر التضحية وتوالي سقوط الشهداء وتصاعد الروح البطولية في العقل الجمعي، لم نكن نجرؤ -إلا نادرا- على استفزاز هذا "العقل" اللاعقلاني بدعوات التعقّل والتفكّر والتصويب، لا سيما مع تأخر النخب الدينية والثقافية عن اللحاق بركب الجموع النضالية، ما أفقد هذه الجموع الكثير من احترامها السابق لبعض مبادئ الدين والثقافة.

وكما هي عادة الثورات، صعدت إلى السطح نخبٌ جديدة للقيادة، قد لا يملك معظمها شيئا يذكر من المؤهلات العلمية والفكرية والعسكرية، غير أنها تتمتع بقدر وافر من صفات البطولة ومواهب التحفيز والتجييش.

وسرعان ما أشاعت هذه النخب في الأوساط الثائرة من الأساطير ما يُشبع نهم الجماهير للتعويض عن الكرامة المسلوبة، وما يُشبع أيضا نهم النخب لاحترام الجماهير. وهكذا آمن السوريون فجأة بأنهم أعظم شعوب الأرض، وأنهم ورثة حضارة تمتد لأكثر من عشرة آلاف سنة، وأن ما عاصروه من الاستبداد لم يكن سوى نكسة عابرة في تاريخهم المجيد وقد أوشكوا على رميها إلى مزبلة التاريخ.

لم يكن من المقبول الإشارة إلى أي خطأ يقع فيه الثوار طالما كان هناك طاغية يخرق كل قواعد الأخلاق، ولم يكن مسموحًا حتى التفكير بوجود لصوص وانتهازيين ومخطئين بين صفوف الثوار، فالطاغية وحاشيته وزبانيته أصلًا لم يكونوا في عُرف الثوار من السوريين، بل هم -حسب الخطاب الثوري- مجرّد عائلة نزحت من إيران واختطفت "الطائفة الكريمة"[١]، وسرعان ما سيصحو أتباعها وينتبهوا إلى كونهم جزءا من "الشعب العظيم" الذي لا يمكن أن يقتل بعضه بعضا!

حلم الانتصار السريع

آمنّا آنذاك بأن المظاهرات الغنائيّة والعصيان المدني والضغط الخارجي من الغرب "الديمقراطي المتحضّر" هي عوامل كافية لدفع بشار الأسد للتنحّي، كما فعل صاحباه في تونس والقاهرة خلال بضع أسابيع، بل اعتقد البعض أن تطبيق شريعة غاندي في اللاعنف، والخروج من صفوف المتظاهرين إلى الشبيحة -المنتمين إلى الشعب العظيم- بلافتات الحب، ثم وضع الزهور في بنادقهم، سيدفعهم إلى الانشقاق عن الطاغية بمشاهد رومنسية[٢].

وعندما اضطر الثوار أخيرًا للدفاع عن أنفسهم بالسلاح، اعتقدنا أن الغرب -الذي فاجأنا بعدم تحضّره- سيسارع إلى خلع الطاغية واسترضائنا، خشية نهوض قوّتنا على تخوم إسرائيل.

---

(١) مصطلح دبلوماسي كان يستخدمه مثقفو المعارضة في إشارة إلى الطائفة العلَوية التي تسيطر على الحكم.

(٢) هذا السلوك "اللاعنفي" حدث بالفعل في بلدة داريّا قرب دمشق، وكانت النتيجة اعتقال هؤلاء الناشطين الرومنسيين وقتلهم تحت التعذيب، رحمهم الله.

حِيكت الأساطير حول بطولات الجيش الحرّ الذي لا يُقهر، وحورِب إعلاميا كلّ من يجرؤ على ذكر تجاوزات مقاتليه.

كانت لدينا آمال كبيرة في الحصول على السلاح النوعي من الحلفاء العرب، وفقًا لما تسرب لنا عن مصادر موثوقة، واعتقدنا أن العرب لن يخذلونا -كما فعل الغرب- حفاظًا على مصالحهم وعروشهم على الأقل، وتوقّعنا أن نشهد زحفًا عسكريًا كبيرًا لقوات الجيش الحر على حلب ودمشق، بالتزامن مع عمليات اغتيال نوعية لقادة النظام حتى يتخلخل من الداخل.

لم يتحقق شيء من تلك الوعود والأحلام، وسادت شريعة الغاب في مناطق كثيرة، كما بذل المخْلصون أيضًا جهودًا مضنية لتصحيح المسار وقطع يد المتسلقين والعابثين.

لكن المشهد اليوم يشير إلى أن النظام تمكّن من رسم حدود دولته الطائفية من لواء إسكندرون إلى السويداء، وأن معامل الدفاع ومخازن السلاح الكبرى والمواقع الإستراتيجية ما زالت بعيدة عن يد الثوار، وأن النظام الخبير في ألاعيب المخابرات تمكّن من اختراق الجماعات المتطرّفة لاختراق صفوفنا وضربنا بأيدينا، وأن هناك كتائب معارضة تفضّل تخزين السلاح على استخدامه، وأن جيلنا الحاليّ يحتاج إلى عقود من التربية والتدريب حتى يفهم ويطبّق المبدأ القرآني: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾، وأن العرب والغرب معًا -بما لديهم من طائرات بدون طيار وعملاء- لن يسمحوا أبدًا بظهور دولة تطبّق الشريعة في سورية، وأنهم مستعدون لإنفاق ١٣ مليار دولار لإسقاط الرئيس المنتَخب ديمقراطيًا محمد مرسي بحكومته المدنيّة المعتدلة بدلًا من إنفاق عُشرها لإسقاط الأسد وتمكين ثوّارنا الذين يطالبون

جهارًا بدولة إسلامية لا مدنية، فلماذا يصرّ الكثير من صنّاع القرار الثوري على تحدي العالم؟!

حتى لا نعيد اختراع العجَلة

علمتُ مؤخرًا أن إحدى أكبر التشكيلات الثورية اختارت قائد جناحها السياسي بناء على معيار واحد هو "التشدد"، وليس الحنكة ولا الخبرة. وإذا كانت السياسة هي فنّ الممكن فمن المؤسف أن ينظر إليها الثوار من زاوية المستحيل، وألا يهتمّوا أصلا بقراءة التاريخ واستشارة الخبراء.

في المقابل، عندما فشلت محاولات نجم الدين أربكان في التخفيف من غلواء التشدد العلماني في تركيا، تعلّم حزب العدالة والتنمية أن حرق المراحل يعني حرق المشروع كله، فتدرَّج في تسلّق سلّم العلمانية والقومية واسترضاء الغرب وإسرائيل قبل أن يتغلغل في أجهزة المخابرات والإعلام والجيش ويحقق مصالحه.

علينا أن نتخلّى أولا عن العقلية التي ترى في "الجهل" فضيلة، فتخاذُل بعض المثقفين والمشايخ لا يعني إدانة العِلم نفسه، وعلى الناشطين والثوار أن يقرؤوا في التاريخ وعلوم السياسة وفنون التفاوض الدبلوماسي، قبل أن نحكم بأن الثورة لا يمكن حسمها إلا بالقوة.

لنتخلى أيضا عن خطاب تقديس "الشعب العظيم"، فهذا يخالف منهج الأنبياء، بل هو من الجاهليّة المقيتة، ولنكاشف أنفسنا بالأخطاء الكارثية التي أفشلتنا مرارًا، دون أن نتخلى عن رفع الروح المعنوية للناس.

ولندرك أخيرا أن التملص من المؤامرة العالمية لن ينجح إلا بمؤامرة مضادّة تملك الحدّ الأدنى من المقومات والدهاء، وتنظر إلى الصراع من منظور يتسع للعالم كله ويمتد لقرون قادمة، وتستند إلى مقاصد الشرع بالتدرّج عند الضرورة، وتدرك أن الإعلان عن دويلة إسلامية سنّية في أي موقع على الأرض سيدفع العرب والغرب لإفشالها قبل أن تنضج.

❋ ❋ ❋ ❋



التجويع سلاح بديل لعجز المدافع

الجزيرة نت- ١٢ مارس ٢٠١٤

بعد خروج مناطق واسعة من قبضة النظام في شتى المحافظات السورية، ونظرا لعجزه عن استعادة معظمها بالرغم من مواصلة القصف العنيف والعشوائي، لجأ النظام إلى استخدام سلاح التجويع ضد آلاف العائلات المحاصرة في مخيم اليرموك وحمص القديمة ومنطقة الحولة بريف حماة.

ويقول ناشطون إن الحصار تسبب في رفع أسعار الغذاء في المناطق المحاصرة إلى مستويات قياسية، حيث يصل سعر كيلو الأرز في بعض المناطق إلى عشرة دولارات أميركية، كما يزيد الحصار من صعوبات علاج المرضى والجرحى، ويتسبب نقص التغذية في حالات إعاقة جسدية وذهنية لدى الأطفال.

وينص القانون الدولي الإنساني -من حيث المبدأ- على أن جميع أطراف النزاع ملزمون بتسهيل وصول المساعدات الإنسانية للمدنيين المحتاجين.

وفي الأثناء، حذّرت عدة منظمات دولية خلال عام ٢٠١٣ من احتياج ما لا يقل عن ٢,٣ مليون شخص في سوريا لمساعدات غذائية عاجلة، لكن الاستجابة الدولية لهذه النداءات جاءت متأخرة للغاية.

ففي ٢٢ فبراير/ شباط ٢٠١٤، تبنى مجلس الأمن الدولي -ولأول مرة منذ بدء الأزمة السورية- قرارا بالإجماع يطالب بتقديم العون الإنساني والسماح بعمليات

العبور الإنساني عبر الحدود وخطوط إطلاق النار، كما طالب بوقف القصف الجوي والقضاء على "الإرهاب" وإخراج المقاتلين الأجانب الفوري من سوريا. وتضمن القرار آلية متابعة للتنفيذ، مهدِّدا باتخاذ خطوات لاحقة في حال عدم التقيد به.

لم يلتزم

وبالرغم من التهديد، لم يلتزم النظام السوري بالقرار، وما زال يرفض تسجيل وكالات المساعدات الدولية إلا في استثناءات نادرة، وطبّق إجراءات معقدة على المعابر الحدودية، وأصرّ على أن تدخل المساعدات من الأراضي التي يسيطر عليها.

وإلى جانب هذا التعنت، لعبت التجاذبات السياسية في مجلس الأمن دورًا إضافيًا في عدم تنفيذ ما جاء في القرار الدولي بخصوص إيصال المساعدات الإنسانية إلى محتاجيها.

وفي ١١ مارس/ آذار ٢٠١٤، أصدرت منظمة العفو الدولية تقريرا بعنوان "خنق الحياة في اليرموك: جرائم حرب ضد مدنيين محاصرين"، وقالت فيه إن نحو مئتي شخص فارقوا الحياة في الحيّ ذي الأغلبية الفلسطينية بدمشق، بينهم ١٢٨ شخصا قضوا جوعًا، وذلك منذ فرض النظام حصاره على الحي في يوليو/ تموز ٢٠١٣.

وأشارت المنظمة إلى أن حصار حي اليرموك هو الأكثر فتكا من بين حالات حصار أخرى مفروضة على مناطق آهلة بالمدنيين في أنحاء سوريا، وأن مجموع عدد المحاصرين الإجمالي يبلغ ٢٥٠ ألف شخص.

وجاء في التقرير أن النظام يرتكب جرائم حرب في استخدامه جوع المدنيين كسلاح، وفي مواصلة قصف المباني السكنية بمخيم اليرموك.

وكان هذا التقرير قد صدر بعد يوم من إصدار المنظمة الخيرية البريطانية "أنقذوا الأطفال" إعلانا يحذر من تعرض ملايين الأطفال في سوريا للخطر بسبب انهيار النظام الصحي في بلادهم، حيث ارتفعت حالات الإصابة بالحصبة في الأسبوع الأول من العام الحالي إلى ٨٤ حالة بين الأطفال دون سن الخامسة في المناطق الشمالية من سوريا وحدها، بعد أن كانت لا تتجاوز ٢٦ حالة حصبة في عموم سوريا عام ٢٠١٠.

وذكرت المنظمة أن الحصار يزيد من معاناة الناس صحيا في ظل استحالة العثور على أطباء متخصصين وأدوية ومعدات طبية، ما أدى إلى تعرض الجرحى في ظل القصف المستمر إلى حالات شلل وإصابات مزمنة قد تودي بحياتهم أو تصيبهم بإعاقة دائمة.

* * * *



جولة في ريف إدلب..
إصرار على المقاومة رغم الصعوبات

الجزيرة نت- ٢٩ يونيو ٢٠١٤

مع اشتداد حرارة الصيف، تزداد حدة التوتر في مناطق عدة من محافظة إدلب بشمال سوريا، حيث يستعد مقاتلو المعارضة لشن معارك جديدة وانتزاع آخر ما تبقى من مواقع النظام، بينما يعاني السكان من أوضاع معيشية في غاية السوء.

بدأنا الجولة قادمين من محافظة هاتاي التركية إلى معبر "باب الهوى"، حيث تصطف عشرات الشاحنات التركيّة المحمّلة بمواد البناء، والتي تستعد لإمداد مشاريع البناء واقتلاع الأحجار من الجبال بمتطلباتها، فالمعارك الحامية والقصف المتواصل لم يمنعا سكان المحافظة من متابعة حياتهم.

تجولنا بين عشرات القرى والبلدات، وكانت مظاهر الفقر واضحة للعيان في المحافظة التي يقول سكانها إن الرئيس الراحل حافظ الأسد، ومن بعده ابنه بشار الأسد، تعمّدا إهمالها، بالرغم من شهرتها "بالخصوبة والتاريخ العريق."

ويعود سبب الإهمال، كما يرى كثير من السكان، إلى حادثة في مطلع الثمانينيات، عندما استقبلت إحدى قرى إدلب حافظ الأسد بشعارات مناوئة أثناء زيارة له في بداية حكمه. وعندما اندلعت ثورة مسلّحة ضدّه في حماة وحلب، شاركت عدة قرى إدلبية في هذا الحراك.

حصار واشتباكات

أثناء تنقلنا في المحافظة، سلك قائد سيارتنا طرقًا ملتوية تجنّبا لنقاط الاشتباك، بينما كانت أجهزة اللاسلكي تتناقل أخبارًا ساخنة عن معارك بين قوات حزب الله اللبناني والثوار في محيط بلدة الفوعة ذات الأغلبية الشيعية التي يحاصرها الثوار.

وفي بلدة جرجناز، حدثنا الناشط في العمل الإغاثي حسين الدغيم عن وجود أكثر من ٥٠٠ عائلة نازحة من مناطق عدة، وهو عدد يضاف إلى نحو ٢٠ ألف نسمة هم سكان البلدة الأصليون.

وقال الدغيم إنهم يواجهون صعوبات في إعالة أسر الضحايا والمعتقلين وإطعام الصائمين في شهر رمضان.

وفي مخيم جرجناز، لاحظنا محاولة إحدى الجمعيات الخيرية التخفيف على النازحين من وطأة حر الظهيرة بتوزيع قوالب الثلج على الخيام.

ومع أن المخيم يحتوي على حمامات نظيفة، ويوفر لقاطنيه مياها مجانية ومأوى من العراء، يشتكي البعض من صعوبة الحصول على الطعام في ظل انعدام فرص العمل.

وتزداد حدة المشكلة في البلدة مع ظهور مشكلة الجفاف، حيث تراجع معدل الأمطار هذا العام من ٧٠٠ ملم إلى ١٠٠ ملم فقط، لكن الدغيم يبدي تفاؤله بتحسن الوضع بعد أن تعهدت جمعية قطر الخيرية بحفر بئر وتوزيع صهاريج للمياه.

وفي قرية مجاورة، لاحظنا اصطفاف عدة صهاريج أمام بئر بانتظار دورها في التزود من المياه، تمهيدا لنقلها إلى منازل جرجناز ومحيطها.

ويشتكي البعض من تضاعف أسعار المياه أربع مرات، مما حمّل السكان أعباء إضافية في منطقة يبلغ متوسط الأجر الشهري فيها مئة دولار.

أنفاق وخنادق

أصوات القصف المدوية قادتنا إلى نفق شقّه الثوار على مدى نحو عام، بهدف تفجير حاجز الصحابة في وادي الضيف الواقع على خط جبهة القتال، وذلك وسط شبكة معقدة من الخنادق والأنفاق التي تقول المعارضة إنها تعتزم استغلالها في معركة فاصلة.

وخلال جولة قمنا بها في الخندق، قال القيادي في لواء فجر الإسلام سعود أبو الحسن إن معسكر وادي الضيف يعيش اليوم أيامه الأخيرة، مؤكدًا أن معركة الاستيلاء عليه ستبدأ قريبًا بمشاركة واسعة من معظم الكتائب والألوية الناشطة في المنطقة.

وبعد غروب الشمس، حضرنا اجتماعًا عقده أبو الحسن مع نحو عشرين شابًا من عناصر كتيبته، حدّثهم خلاله عن "خذلان المجتمع الدولي للثوار"، وعن ضرورة الموازنة بين طبيعة الحياة العسكرية التي يعيشها الشباب في تلك المناطق وتأمين قوت عائلاتهم.

ولفت أبو الحسن إلى أن مقاتلي النظام غير مضّطرين لهذه الموازنة، إذ تتوفر لهم كل مقومات الدعم المادي واللوجستي، فضلا عن "التأييد السياسي من قوى كبرى."

وفي ختام الاجتماع، طلب القائد من عناصره تسجيل أسماء الراغبين في التطوع لمعركة "معسكر وادي الضيف" القادمة، مؤكدًا تفهّمه لصعوبة المهمة وخطورتها، خصوصا بالنسبة لمن يعمل لإعالة أسرته في ظل ظروف المعيشة القاسية.



القيادي في لواء فجر الإسلام سعود أبو الحسن داخل أحد الأنفاق (بعدسة المؤلف)

صعوبات جمّة

تابعنا جولتنا في اليوم التالي بين قرى إدلب المترامية على سفوح الجبال، ووجدنا استعدادات عسكرية لفصائل معارضة منتشرة في مناطق عدة، بالرغم من الهدوء النسبي.

وبينما يسود مشهد الدمار في مدن وقرى كثيرة، مثل معرّة النعمان وسرجة ومعرشمشة، تبدو بقايا الصروح الأثرية في بلدتي جرادة ورويحة وكأنها تواسي المباني الحديثة التي لم يبق منها سوى الهياكل والأنقاض، وكأنها تقف جميعًا شاهدة على بشاعة حرب يصرّ كل من تحدثوا إلينا على أن المجتمع الدولي لا يريد لها أن تنتهي قريبا.

وفي الليل، حططنا رحالنا في بلدة بزابور الصغيرة، واستقبلْنا الليلة الأولى من رمضان في مسجد البلدة الرئيس، حيث اصطف بعض المصلين لصلاة التراويح، وبدأت بعض المحلّات بالاستعداد لاستقبال الشهر الكريم.

وفي بيت معزول على حافة الجبل، التقينا بالعديد من السكان للاستماع إلى مشاكلهم التي لا تحصى، حيث تنتشر الأمراض في غيابٍ تام للرعاية الطبية، بينما كانت أصوات القصف تُقاطِعنا طوال الليل، إذ لم يكن يفصلنا عن مصدرها سوى جبل الأربعين.

ولعل أهم الأسباب التي حرمتْنا من النوم حتى موعد السحور، لم يكن القصف ولا انقطاع الكهرباء، ولا حتى حديث الأهالي عن السباع البرية التي تتجول في الظلام، بل الانتشار الكثيف للبعوض، لا سيما مع غياب الخدمات الحكومية، واضطرار السكان لتولّي مهامّ النظافة والتخلص من القمامة بإمكانياتهم البسيطة.

* * * *



الجزيرة نت- ٤ سبتمبر ٢٠١٤

منذ الساعة الأولى لبث الشريط الذي زعم تنظيم الدولة الإسلامية أنه يوثق ذبح الصحفي الأميركي جيمس فولي، بدأت طبول الحرب تُقرع في عواصم غربية، ومع أن شكوكا عديدة وملحّة تدور حول صحة الشريط، فإن قادة الدول الغربية ووسائل الإعلام اعتبرته صحيحا بطريقة مريبة، وكذلك الحال مع شريط ذبح الصحفي الثاني ستيفن سوتلوف، في حين يتناقل ناشطون حول العالم شكوكا كثيرة تكاد تجزم بأن الشريطين مزيفان.

وبالعودة إلى الشريط الأول، فلعل أول ما يلفت نظر المشاهد أن فولي كان

(١) هذا التقرير نُشر لبضع ساعات فقط على موقع "الجزيرة نت"، ثم أثار زوبعة من الانتقادات عندما نشر موقع قناة العربية الإنجليزي تقريرا بالإنجليزية يهاجم التقرير، فسارع عشرات الصحفيين الإسرائيليين والأمريكيين لشنّ حملة ضدي وضد شبكة الجزيرة، مما دفع مدير قناة الجزيرة آنذاك لاتخاذ قرار بحذفه على الفور.

العجيب أن النسخة العربية لموقع قناة العربية نشر تقريرًا مشابهًا لهذا التقرير، وتحدث عن حملة التشكيك على مواقع التواصل في أمريكا نفسها للطعن في صحة شريط الذبح المزعوم، لكن محرري النسخة الإنجليزية من الموقع لم يلاحظوا ما كتبه زملاؤهم في الموقع نفسه، وقرروا شن المعركة ضد موقع الجزيرة، ثم قاموا -كما يبدو- بمراسلة جهات صهيونية لتحريضهم على التنديد "بنظرية المؤامرة" التي تنشرها الجزيرة، وهذا من أغرب المواقف "القذرة" التي مررت بها في مسيرتي الصحفية!

يؤدي دور البطولة وليس الضحية فحسب، حيث يتلو بيانا مطولا وبأداء مسرحي منقطع النظير، ويبدو من تتبع حركة عينيه أنه كان يقرأ نصا من شاشة العرض الآلي التي يستخدمها مذيعو نشرات الأخبار، كما لم يستطع إقناع الكثيرين -وعلى رأسهم المتخصص في سياسات الشرق الأوسط بجامعة درهام كريستوفر ديفيدسون- بأنه كان خائفا أو مرتبكا، حتى لو كان لا يعلم أنه سيُذبح بالرغم من وجود السكين في يد الشخص المقنّع بجانبه، حيث لم يظهر على وجه فولي أي أثر للخوف عندما بدأ "القاتل" بالتنفيذ.

أما المقنّع نفسه الذي أدى دور القاتل فكان أكثر غموضا، إذ لا يحمل أيا من ملامح الشخصيات "الجهادية" المعتادة، بل كان أكثر شبها بممثلي هوليود من جهة أدائه الخطابي ولكنته البريطانية وإيماءاته ووقفته.

وقد وضع ناشطون غربيون على تويتر إشارات استفهام إزاء الجودة العالية للفيلم الذي تم تصويره بكاميرتين ومايكروفونات مثبتة على الأعناق، وتساءلوا عن سبب غياب صوت الرياح وأثر الشمس الحارقة والغبار، بالرغم من التصوير في الصحراء.

ومع تزايد هذه الأسئلة، بث ناشطو حركة "احتلوا وول ستريت" الأميركية صورة تظهر ممثلين يؤديان دور القاتل وفولي داخل استديو بخلفية خضراء، وهي تقنية تسمح للمخرج باستبدال الخلفية بصورة للصحراء خلال المونتاج، بينما لم تثبت بعد صحة الصورة.

قتل غير متقن

من أهم التساؤلات المتداولة أيضا أن السكين التي حركها "القاتل" على رقبة "الضحية" ست مرات لم تترك أثرا للدم، حيث فحص ناشطون غربيون اللقطة بالسرعة البطيئة وبتعديل درجات اللون والسطوع والتباين في أقصى الدرجات، ليثبتوا عدم خروج نقطة دم واحدة، في حين أراد صانعو الفيلم إقناعنا بأن عملية الذبح تمت بعد أن قطعوا اللقطة، ليعرضوا بعد ذلك رأس الضحية مفصولا عن الجسد في قفزة مونتاجية غير مبررة.

وبعد المقارنة بأفلام أخرى بثها التنظيم لأعمال ذبح حقيقية، نكتشف أن الدم كان ينفر من رقبة الضحية منذ الحركة الأولى، ولم يسبق للتنظيم أن اقتطع عملية الذبح -التي يصعب تزويرها- في أفلامه.

وفي اللقطة الأخيرة، يظهر جسد فولي ممددا والرأس موضوعا على الظهر، وثمة أسئلة أخرى هنا عن سبب صعود الدم إلى الأعلى ليلطخ الوجه، من دون أن يسقط شيء منه على الجسد والأرض ويد القاتل.

كما نشر ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي مؤشرات قالوا إنها تبثت أن الرأس المقطوع ليس سوى قناع مطاطي، مثل خلو الفم من الأسنان.

ومن العجيب أن تنطبق معظم الملاحظات السابقة على شريط الذبح المزعوم للصحفي الثاني ستيفن سوتلوف الثلاثاء الماضي، حيث لم يُظهر أيًّا من ملامح الخوف، سواء خلال قراءة البيان أو عندما شرح المُقنّع بالذبح، بل استنكر ناشطون

أن تكون ردة فعل رجل يُذبح هي رفع ساقه المنثنية في تعبير عن الألم قبل أن تُقطع اللقطة بالمونتاج.

أسئلة معلقة

علاوة على ما سبق، ما زالت هناك أسئلة معلقة، وأهمها: كيف وصل فولي المختطف منذ عام ٢٠١٢ إلى يد تنظيم الدولة؟ فقد نشر ناشطون مقارنات تفصيلية بين وجه الضحية ووجه فولي ليؤكدوا وجود اختلافات جوهرية بينهما، ولا سيما في بنية الجمجمة نفسها، فضلا عن الملامح وبعض الندوب في البشرة، كما أظهرت المقارنات اختلافا في الصوت والأداء.

واكتشف ناشطون أميركيون في السيرة المهنية للصحفي فولي أنه عمل سابقا في وكالة تابعة للخارجية الأميركية، وتساءلوا عما إذا كانت له علاقة بجهات استخبارية؟ ما يعني أنه قد يكون متواطئا في "فبركة" الشريط، وقالوا إن والديه تحدثا للصحفيين بعد "قتله" بملامح باردة لا تنبئ بالحزن والصدمة.

ويقدم لنا التاريخ نماذج كثيرة لحروب تم افتعالها بعد إقناع الشعوب بخدع مماثلة، إذ بررت إدارة الرئيس السابق جورج بوش الابن غزوها للعراق عام ٢٠٠٣ بإشاعات عن تورط بغداد في تطوير أسلحة دمار شامل وفي التحالف مع تنظيم القاعدة، كما سارع الرئيس باراك أوباما لإدانة "ذبح" فولي ومن بعده سوتلوف مباشرة، وطالب بتشكيل تحالف دولي لمجابهة هذا التنظيم، وزاد عدد جنوده بالعراق.

وأظهر استطلاع للرأي أن ٦٢٪ من الأميركيين يؤيدون التدخل المحدود في العراق بعد شريط فولي، علما بأن الرأي العام الأميركي كان مناهضا لأي تدخل في سوريا إبان الإبادة الكيميائية لمئات الأطفال على يد النظام.

وأعلنت واشنطن بعد بث شريط فولي أنها نفذت "هذا الصيف" عملية لإنقاذ رهائن أميركيين يحتجزهم تنظيم الدولة في سوريا لكنها "فشلت". وهو ما فسره البعض بمحاولة تخفيف النقد الشعبي لواشنطن بعد تهييجه ضد "الجهاديين"، علما بأن الناشطين السوريين لم يذكروا شيئا عن العملية، بل لم يذكرها التنظيم نفسه الذي يفترض أن يحتفي بفشلها.

أما في بريطانيا فيخشى المسلمون من التضييق عليهم، حيث شرعت الشرطة في مداهمة منازل بعضهم بحثا عن أدلة تكشف هوية "القاتل" الذي تحدث بلهجة بريطانية، إذ يُعتقد أنه هاجر من بريطانيا إلى سوريا للانضمام لتنظيم القاعدة.

وتجدر الإشارة إلى أن الرأي العام يميل إلى الأخذ بظاهر الرواية التي ينقلها الإعلام ويتبناها صناع القرار، ولا سيما التي تمس الانتماء القومي، وهذا ما حرص عليه صناع الفيلم عندما اختاروا عنوان "رسالة إلى أميركا"، وغالبا ما تضيع شكوك الناشطين المشابهة في ملفات "نظرية المؤامرة"، لا سيما أن البحث عن المستفيد من "فبركة" فيلم كهذا سيفتح أبوابا لتعقيدات كثيرة، وأهمها التوثق من وجود اختراق مخابراتي غربي لمؤسسة الفرقان الإعلامية -التابعة لتنظيم الدولة- التي نشرت الفيلمين.

* * * *



ساسة بوست- ١٤ سبتمبر ٢٠١٤

في سياق الجدل الدائر مؤخرًا على مواقع التواصل، تتكرر أسئلة من قبيل: إذا كانت أحداث ١١ سبتمبر مؤامرة أميركية، فلماذا تبنّتها القاعدة؟ وإذا كان شريطا ذبح فولي وسوتلوف[1] مؤامرة أيضًا، فلماذا لم تنفِ داعش مسؤوليتها عنهما؟ ومع أنها أسئلة مبررة في سياق الجدل السياسي، لكن الاقتصار عليها يضعنا أمام مشكلة فكرية.

فهذه الأسئلة تقدم نموذجًا لآلية التفكير التي تتخذ ردود فعل تلقائية تجاه الأطروحات السياسية المخالفة للرأي الشائع، وغالبًا ما تُبنى على هذه الأسئلة مواقف سياسية تجزم بالنفي ولا تكتفي بالتشكيك، وبخطاب لا يخلو أحيانًا من لهجة ساخرة، بالرغم من صدورها عن عقول مثقفة، وسأناقش آلية التفكير هذه وفقًا للتسلسل الآتي.

أولًا: ينبغي الانتباه إلى أن الشكوك التي نطرحها، لإثبات تهافت التبرير الشائع للأحداث المذكورة، تقتصر في بنائها الأساسي على مناقشة مصداقية حدوث الأحداث نفسها، وهذا يعني وجوب أن يقتصر الرد عليها على الجوانب التقنية دون غيرها.

(١) جيمس فولي وستيفن سوتلوف هما مراسلان أميركيان أعلنت جماعة الدولة الإسلامية خطفهما في سورية، ثم بثت الجماعة شريط فيديو قالت فيه إنها توثق عملية إعدامهما بقطع الرأس.

فعندما نبني نظريتنا على أدلة علمية تنفي إمكانية سقوط البرجين بمجرد اصطدام الطائرتين فنحن نتحدث هنا عن جانب تقني لا سياسي، وكذلك الحال عندما نقول إن شريطَي فولي وسوتلوف لم يتضمنا لقطات ذبح ولم تخرج فيهما قطرة دم واحدة خلال الثواني التي اكتفى الشريطان بإظهارهما.

وعليه فإن الأصل في الحالة الأولى هو حدوث اصطدام طائرتين بالبرجين ثم سقوطهما، ويبقى إثبات العلاقة بين الاصطدام والسقوط أو نفيها هو موضوع البحث، وليس الأصل هو ثبوت العلاقة فعندما نأتي بالتشكيك نُتهم بالخضوع لنظرية المؤامرة.

وقد قدّمت شبكة الجزيرة في فيلمها الوثائقي "أدلة مذهلة" الذي عُرض في الذكرى الثانية عشرة (العام الماضي) شهادات لمعماريين وخبراء أثبتوا استحالة سقوط البرجين بفعل هذين الاصطدامين، بينما ما زلنا ننتظر من الطرف الآخر الذي يتبجّح بدعم الخطاب الشائع أن يثبت هندسيًّا وفيزيائيًّا أن البرجين سقطا بفعل الاصطدام.

وكذلك الحال في الحالة الثانية، فالأصل هو أن فولي وسوتلوف تم اختطافهما وأن شريطين عرضهما تنظيم الدولة الإسلامية من دون أن يتضمنا لقطات ذبحهما، فيُطلب هنا أولًا إثبات أن الشخصين اللذين تحدثا في الشريطين هما حقًّا فولي وسوتلوف، وثانيًا أن اللقطات المحذوفة بالمونتاج ولم يرها أحد تتضمن ذبحًا حقيقيًا لكل منهما. وطالما لم يُثبت أحد شيئًا من هذا في الحالتين المذكورتين، فالمنطق يلزمنا بأن يبقى كل شيء على أصله حتى يثبت العكس.

من جهة أخرى، يبدو أن إحداث الضجة عبر إثارة الأسئلة التي أشرنا لها في بداية المقال ليست سوى جدل سياسي، وإذا كان المُجادِل يكتفي بطرحها فقط فهو يرتكب مغالطة "رجل القش" عبر تحويل مجرى النقاش إلى قضايا جانبية وفرعية، أما الموضوعية فتقتضي ألا يربط بين موقفه من هذه الأحداث الجزئية، وبين نفوره النفسي من نظريات المؤامرة.

وبغض النظر عن الموقف النفسي والخلفية الأيديولوجية، فمن الضروري جدًّا أن يكون الباحث ملمًّا بمنهج علمي يستند إليه في قبول الرواية أو رفضها، فالقضايا السياسية بمجملها ليست قضايا علمية تجريبية (إمبريقية) أو إحصائية، بل هي خليط من روايات تنقل أحداثًا ومواقف وآراء وتصريحات، ويتم الربط بينها وتفسيرها للاستنباط منها.

ومن المعروف أن ضوابط نقل الرواية التي طبقها علماء المسلمين في علوم السنة والتاريخ لا يُستخدم منها شيء في التاريخ الغربي القديم ولا الحديث، فلا يبقى أمام الباحث سوى اعتماد "نقد المتن" بتمحيص الحدث نفسه للتحقق من مصداقيته، كما فعل ابن خلدون في كتابه "المقدمة" عندما ناقش منطقية بعض الروايات من الناحية العقلية وفقًا لما بات يسمى بالتاريخ المقارن، دون التعرض لمصداقية الناقل نفسه.

وبهذا التمحيص قد يتمكن الباحث من بناء نظريات مقبولة ومرجَّحة (غير يقينية) لتفسير الأحداث، كأن يرجّح مثلًا صحة نسبة بروتوكولات حكماء صهيون لنخبة متحكمة في مراكز قوى العالم، لكن الالتزام بالمنهج العلمي قد يحكم باستحالة وصول الباحث إلى حكم يقيني بهذا الشأن.

وفي المقابل، لا يتيح المنهج العلمي للرأي الآخر -وهو الأكثر شيوعًا- أن يجزم يقينًا بأن البروتوكولات ليست سوى أكذوبة مفبركة من المخابرات الروسية القيصرية، أو أنها لعبة ابتكرها أحد الصحفيين، ليس لغياب الدليل التاريخي فحسب، بل لأن هذا الرأي يعني بالضرورة الاعتقاد بمؤامرة مضادة، فلماذا يُبرّأ "حكماء صهيون" ويُتهم الروس طالما كان الدافع الأبرز هنا هو النفور النفسي من التفسير المؤامراتي؟!

علاوة على ذلك، يُفترض بالباحث أن يدرك جيدًا أن عالم السياسة تحديدًا مبني على نزعات التسلط، وأن "التآمر" جزء أصيل فيه، وأن لدى الغرب تبرير فلسفي لهذا الأساس اللاأخلاقي للسياسة، منذ ظهور كتاب الأمير للمؤلف الإيطالي نيكولو ميكيافيلي في القرن السادس عشر، ومرورًا بالفلسفة البراغماتية التي دافع عنها وليام جيمس في مطلع القرن العشرين، وصولا إلى ما لا يحصى من النظريات والتحليلات الحديثة التي تربط بين حفاظ الغرب على هيمنته وبين كل أشكال التآمر التي عرفتها البشرية.

لذا فإن اقتحام "طبيبي القلب" لعالم التحليل السياسي لا يذكّرني سوى بكتاب الغزالي "إلجام العوام عن علم الكلام"، فصفة العامّي هنا هي مصطلح منهجي قد يشمل باحثًا عبقريًّا في مجال الهندسة والطب، لكنه -في أحسن الأحوال- لا يملك الأدوات المنهجية والقدرات الفكرية وسعة الخيال لاستيعاب طبيعة الشر واحتمالات تجسده وتطبيقاته، ثم تحليل نتائجه وربطها في إطار تفسيري متسق مع ذاته، ومن دون أن يميل بدوافع نفسيّة لا موضوعيّة إلى النفي والاستبعاد، ثم الركون

لاحتمالات النوايا الطيبة، لا سيما إذا اقتصرت خبرته في السياسة على متابعة نشرات الأخبار ومقالات الرأي فقط.

ومن يقتحم عالم الجدل الفلسفي سيجد من سفسطات العقول الكبيرة ما يدفعه للتواضع وإعادة التفكير مرارًا قبل الاجتراء على التنظير والمناظرة، وأذكر هنا مواقف لبعض الزملاء أثناء دراستنا للفلسفة، إذ لم يستطع البعض استيعاب موضع الخلل في "مغالطات زينون" الشهيرة، فكانوا عاجزين عن تصوّر بعض القضايا الأساسية.

وقبل أن تعجب عزيزي القارئ من قصور طلاب اختاروا تخصص الفلسفة، أنصحك بقراءة ما قاله الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" عن فلسفة الفيض التي آمن بها ابن سينا وغيره، وشارِكْه التعجب من اقتناع تلك العقول الجبّارة بأساطير خرافية لتفسير قضايا وجودية كبرى.

ولن تتسع هذه المساحة لإشباع قضايا الفلسفة بحثًا، ولكن من الضروري القول إن هناك الكثير من الشكوك بشأن "علمية" البحوث السياسية والاجتماعية، فمع أن مناهج البحث العلمي المتفق عليها تُطبق منذ أكثر من قرن في كافة مجالات العلوم الإنسانية، إلا أنها ستظل عرضة للطعن في جوانب كثيرة.

وإذا استوعبنا تعقد الأمور على هذا النحو، يمكننا الآن العودة إلى الأسئلة التي بدأ بها المقال، لنقول إننا في حال اقتناعنا بجدوى ومنطقية طرحها، فلن نعجز عن مناقشتها سياسيًّا، إذ يسهل وضع احتمالات عدة للتفسير، ومنها ما قدمه الصحفي يسري فودة مثلا في برنامجه الاستقصائي "سري للغاية" على شبكة

الجزيرة[1]، عن أدلة تكاد تثبت معرفة المخابرات الأمريكية بأنه كان هناك من يخطط لهجمات ١١ سبتمبر قبل سنوات من تنفيذها.

ويمكن هنا وضع طيف واسع من النظريات تبدأ بعمالة قادة القاعدة أنفسهم لأمريكا، وتصل إلى احتمال اختراق المخابرات الأمريكية لتنظيم القاعدة ودفعه لتنفيذ الخطة التي استثمرتها إدارة بوش الابن فيما بعد، ويدعم هذا التوجه التذكير بأن القاعدة نفت مسؤوليتها رسميًّا في البداية، ثم ظهرت تسجيلات لأسامة بن لادن واعترافات للقيادي رمزي بن الشيبة في "سري للغاية"، وهم يتبنونها ويترحمون على منفذيها.

وبالطريقة نفسها يمكن القول إن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) إما أن تكون قيادته عميلة أو مخترقة جزئيًّا، وإما أن يكون الشريطان قد نُفذا أمريكيًّا، وتم التواطؤ مع الجهات المُخترقة لتبنيهما، وهي أشرطة تناسب التوجه العام للتنظيم، وتُشبع نهم أعضائه غير المخترَقين للذبح والانتقام والتباهي بدلا من النفي.

وسواء كان هذا هو الواقع أم لا، فسيبقى التآمر ركنا أصيلا في عالم السياسة، ومن المؤسف في المقابل أن تبقى عقلية "اللامؤامرة" هي السائدة في عالم التحليل السياسي.

* * * *

---

(١) في سبتمبر ٢٠٠٥، قدمت شبكة الجزيرة ضمن هذا البرنامج أربعة أجزاء بعنوان "الحقيقة وراء ١١ سبتمبر"، وتضمنت تفاصيل حصرية نُشرت لأول مرة.



أوراق الثورة- ٢٣ نوفمبر ٢٠١٤

يؤكد المؤرخون أن العرب السنة في سورية اعتادوا تاريخيا على استيعاب الأقليات وإدماجها وابتلاعها ضمن نسيج الأكثرية، واعتادوا أيضًا -في الغالب- على التماس العذر لنزعات التمرد المكبوتة تحت وطأة السلطات المستبدة. وقد نجحت هذه السياسة على مدى قرون في تذويب دوافع الصراع لدى الطائفة الإسماعيلية -على سبيل المثال- مع أنها كانت أكثر الطوائف استعداءً للدول الإسلامية، منذ تسلّل الحشاشين إلى المنطقة في خضم الحروب الصليبية.

تظهر هذه الثقافة المتسامحة بوضوح أكبر لدى أهل المدن الذين اندثرت أصولهم القبَلِيّة، وانخرطوا في الحياة المدنية بوتيرتها السريعة، وعلاقاتها الاجتماعية الأقل ترابطًا من البادية والأرياف، لذا كانت هذه الفئة في دمشق وحلب أكثر تبصّرًا بالكوارث التي ستحل بسورية عندما ينفرط العقد الاجتماعي، وتخرج الأحقاد المتراكمة على السطح.

ونظرًا للتفاوت الطبقي في البلاد، ظلّت صورة العربي السنّي في ذهن بعض الأقليات -باستثناء المسيحيين واليهود- مرتبطة بالبرجوازية المستبدة، مع أن معظم العرب السنّة من متوسطي الحال والفقراء، لأنهم غالبية الشعب.

لم تتغير هذه الصورة بعد سيطرة العلّويّين على السلطة بدعم من الاحتلال الفرنسي، وحتى بعد معاناة سورية في عهدهم من أبشع صور الاستبداد، بل تطورت صورة البرجوازية السنّية في أذهان الأقليات لتأخذ شكل الأكثريّة المتواطئة مع الأقليّة العلَويّة المستبدة، فأصبحت كل مجموعة طائفية أو عرقية تنظر لنفسها على أنها أكثر مظلوميّة، بينما تنظر الأكثريّة السنيّة في المقابل إلى تلك الأقليات على أنها عناصر متربّصة تستبطن الحقد الديني أو الطبقي وتتواطأ بالطريقة نفسها مع الطائفة العلّويّة الحاكمة.

في المقابل، تحرص الطائفة الحاكمة بشدّة على إبقاء جذوة هذا التوجّس مشتعلة بين الجميع، لترى كل طائفة أن الطائفة الأخرى أكثر تواطؤًا مع النظام، وهكذا لا يثق أحد بالآخر، ويظل الحاكم العلَوي هو الوحش المهاب دائمًا، الذي يجب على الجميع أن يضمنوا سلامتهم باسترضائه أكثر من الآخرين.

الخوف من الآخر

في بداية عام ٢٠١١، وعقب اندلاع الثورة المصرية وتنحّي الرئيس حسني مبارك، قال لي أحد تجّار دمشق -من البرجوازية السنّية- إنه يخشى انتقال العدوى الثوريّة إلى سورية، لأن آلاف الشباب الأكراد، الذي يعيشون في حيّ عشوائيّ فقير على أطراف حيّ آخر راقٍ، سيخرجون إلى الشوارع مع أول ساعة ينفلت فيها الأمن، ليستبيحوا كل شيء. وكان يستحضر أحداث الشغب التي حدثت في المنطقة سنة ٢٠٠٤، عندما انتقم الأكراد لكرامتهم عقب إحدى الحوادث، وقاموا بأعمال تخريب واسعة.

وبالطريقة نفسها، كان العرب السنّة يستحضرون أعمال شغب أقل انتشارًا قام بها بعض الشباب الدّروز، على خلفية خلاف شخصي قيل إنه وقع بين درزيّ وبدوي في جنوبي البلاد. وهكذا نجح النظام في إقناع الأغلبية بضرورة وجود القبضة الحديدية العلَوية لضبط الأمن ومنع الفوضى.

في الوقت نفسه، كان أبناء الأقليّات الأخرى يخشون اندلاع أية ثورة وهم يستحضرون أحداث العنف في الثمانينات، عندما ثارت جماعات تابعة للإخوان المسلمين ضد النظام، وانتهت بمجزرة حماة. ولا سيما بعد أن تضخمت صورة "الإرهاب الإسلامي العالمي" عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١، ليصبح الإسلام في أذهانهم وحشًا كاسرًا.

وهكذا يستحضر السنّة مشاهد المداهمات التي قام بها النظام ضد الأكراد والدروز، وكذلك مشاهد المناوشات التي كانت تجري أحيانًا بين الإسماعيليين والعلويين، وأخبارًا غير مؤكدة عن مداهمات ضد جماعات مسيحية مرتبطة بالخارج. وفي المقابل يستحضر أبناء الأقليات الأخرى حملات المداهمات المتقطعة التي يقوم بها النظام ضد الجهاديين ومنتسبي الإخوان وحزب التحرير. فكل طرف كان ينظر إلى هذه الحملات -التي يشنها العلَويون ضد الطرف الآخر- على أنها صمام الأمان الوحيد الذي يحافظ على استمرارية الحياة في مجتمع فسيفسائي مفكك.

التقسيم ليس حلًا

إذا اجترأنا على البوح بكل ما سبق، فربما نتفق إذن على أن ما حدث في سورية

لم يكن ثورة شعبية كما تمنّينا، بل حراكًا شبابيًا حالمًا، أشعلتْه في البداية الحميّة القبَليّة في درعا، ثم تلقّفته أحلام شباب ولدوا في التسعينات ولا يعرفون شيئًا يُذكر عن تاريخ الصراع السياسي وتعقّد تركيبة النظام وتفكك المجتمع المشبع بالخوف والتوجس، وكل ما كان يستند إليه الشباب المندفع للتظاهر هو صورة النظامين المنهارَين في تونس والقاهرة، وأحلامٌ طوباوية تحاكي روايات وأفلام الثورات الرومنسية في دول أخرى.

من أجل هذا كان الآباء والأمهات من الطوائف كلها يجتهدون في منع أبنائهم عن المشاركة في الحراك عند بدايته، بينما يرفع الشباب الحالم رايات الوحدة الوطنية غير آبهين بتحذيرات "العجائز".

وعندما انتقلت الثورة من الحَراك الثوري المدني إلى أتون الحرب الأهلية، تحت ضغط القمع الوحشي، تقوقعت الطوائف على نفسها مجددًا وتشرنقت، وعاد الأبناء إلى حضن الآباء لاستشعار دفء الانتماء، وانفضّت عرى الوحدة الوطنية داخل التكتلات الشبابية الثورية ومؤسسات المعارضة بعد انهيار بنائها الداخلي.

والآن تنظر الأغلبية السنية العربية إلى سورية، فلا ترى سوى أنقاض وطن على وشك الزوال، ليس بفعل الخراب العمراني والتفكك الاجتماعي فحسب، بل لاستئثار كل جماعة بما ترى أنه نصيبها من وطن رسم الاستعمار حدوده؛ فكثير من الأكراد طرحوا عن أنفسهم الخجل وأعلنوا عن نوايا الانفصال بوطن مستقل، على الرغم من مواصلة عملهم داخل كيانات المعارضة الوطنية السورية، فلماذا لا يمهّد

هـذا التحـرك لإعـلان العلـويين والـدروز عـن رغبـتهم أيضًـا في العـودة إلـى التقسـيم الاستعماري الذي كان قائما بالفعل؟[1]

عنـدما استشـعر الـرئيس السـوداني عمـر البشـير خطـر الانفصـال الـذي حـرّض الغرب عليه طوال عقود، أطلق مشروع "الوحدة الجاذبة" لإقناع الجنوبيّين بـالتراجع عن مشروعهم، لكن تنازلاتـه كلهـا بـاءت بالفشـل، فانفصـل الجنـوب بمباركـة غربيـة واحتفالات كرنفالية، ليتحول "جنوب السودان" إلى أكثر دول العالم فقرًا وفشلًا.

أما "تيمور الشرقية" التي انفصلت عن إندونيسيا، وسط احتفالات دولية رعاهـا الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون بنفسه، فمـا زالـت تسـعى حتـى الآن لاسـتكمال مقومات الدولة، وهي تتحول يومًا بعد يوم إلى وكر إقليمـي للعصـابات، علـى الـرغم مما قدمه لها الغرب من مساعدات ودعم.



(١) أسس الاحتلال الفرنسي دويلات طائفية مستقلة للعلويين والدروز، لكن الخطة لم تنجح على أرض الواقع فأعيد رسم الخريطة السورية بعد اقتطاع لبنان منها.

مَن المستفيد
من "قتل" الكساسبة؟

زمان الوصل- ٨ فبراير ٢٠١٥

ما إن أُعلن عن "حرق" الطيار الأردني معاذ الكساسبة الاثنين الماضي حتى سارع العامة والمثقفون على حد سواء -كالعادة- لإبداء آرائهم، وعمّت موجة غضب عارمة في وسائل الإعلام ومواقع التواصل إزاء المشهد "البربري"، كما اندلعت بالتوازي نيران الجدل البيزنطي المعتاد لبحث الموقف الشرعي من طريقة الإعدام الجديدة و"الإبداعية"، حتى انخرط العلماء والمجامع الفقهية والمؤسسات الدينية في حملات الدفاع التقليدية عن الإسلام، تمامًا كما يحدث كلما احتفى الإعلام الغربي بصورة يُدان فيها الإسلام من دون دليل، مع تجاهل ملايين الصور التي يكون فيها المسلمون هم الضحية المسكوت عنها.

كنتُ كأي مشاهد مفجوعًا عند الصدمة الأولى، فمع أني اعتدْتُ على مشاهدة كافة أشكال القتل الوحشي -بحكم عملي في غرفة الأخبار- إلا أن الإعدام بالحرق كان عملًا "إبداعيًا" لم أتصور أن أشهده يومًا، لا سيما مع تصويره بتلك الطريقة السينمائية أيضا. ومع ذلك فقد آثرتُ التريث وعدم التورط في الجدل البيزنطي، ريثما ينقشع الدخان وتهدأ ثورة الغضب التي لا تخلو غالبًا من العبث.

تذكرت بعدها شكوكي التي احتفظت بها لنفسي لحظة نشر الصور الأولى لاعتقال الكساسبة، فكان أول ما لفت نظري هو مظهر عناصر تنظيم الدولة الإسلامية المحيطين بالطيار الأسير في الرقة، إذ فوجئت بمظهرهم العسكري الاحترافي، فمع أن المشهد كان يُفترض أنه صُوّر فجأة عقب القبض على الطيار الذي سقط في نهر الفرات، لكن العناصر كانوا فيما يبدو مهيئين لالتقاط صور تذكارية جميلة، فملابسهم وأقنعتهم وتجهيزاتهم العسكرية الكاملة لم تكن تشبه مظهرهم المعتاد في كل الصور المنشورة سابقا ولاحقا، وقد قارنتُ هذه الصور بكل ما وجدته من صور أخرى -وخصوصا في الرقة- ولم أجد سوى صور لمقاتلين يجمعون في مظهرهم بين الملابس القروية والعسكرية، من دون انضباط بزيّ موحد نظيف ومرتب.

قد لا تعني هذه الشكوك بالضرورة أن الطيار لم يسقط في الرقة، لكنها تُبقي الأمر مفتوحًا أمام احتمالات مخالفة للرواية الرسمية، فإذا كان تنظيم الدولة بصعوده الصاروخي والمفاجئ يضم تشكيلات مختلفة ومتفاوتة الولاء والارتباطات بجهات عدة، فمن الصعب الجزم بحقيقة وخلفية التشكيل الذي قبض على الطيار واحتفظ به عنده، ولا ندري هل هو تشكيل أصيل أم مرتبط بجهة ما.

وبعد قصة إعدام الطيار "حرقًا" بيومين، بدأت التساؤلات والشكوك بشأن مصداقية الفيلم تتكاثر في وسائل التواصل، وانتشرت مقالات ومشاهد فيديو تشرح للجمهور الذي لا يملك المعرفة الكافية بالخدع السينمائية أن فيلمًا كهذا يمكن لأي مخرج محترف أن يصنعه وبطريقة أكثر إقناعًا مما بدا عليه. ومع أن الجدل بشأن هذه النقطة سيكون بيزنطيًا أيضًا، ما يجعل من الصعب التوصل به إلى قرار حاسم، إلا أن

النقطة الأهم التي يجب طرحها هنا هي: هل يمكن في ظل هذه الشكوك لأي جهة أن تثبت أن القتل قد حدث فعلا؟ أو أنه تمّ بالطريقة المذكورة تحديدا؟ وبما أنه لا يمكن لأحد أن يؤكد ذلك، لا سيما أن الفيلم منتَج بطريقة احترافية تكفي لإثبات أن الذي أنتجه قادر على تزييف عملية الحرق كلها، إذن فالشك بمصداقية الفيلم أولى من التسليم به.

علاوة على ذلك، هل يمكن التصديق بأن تنظيمًا متخلفًا وبربريًّا تمكن من امتلاك قدرات إعلامية وسينمائية بهذا الاحتراف وبسرعة غير منطقية؟ فمن واقع خبرتي وتجربتي بالعمل مع مؤسسات إعلامية عملاقة يحمل أصحابها فكرًا تقليديًا لكنه أكثر انفتاحًا بكثير من فكر القاعدة؛ خرجتُ بنتيجة مفادها أن التطوير التقني البصري لا يمكن أن يحدث من دون تطوير فكري وإداري تراكمي على المدى البعيد. وليس هناك أي مؤشر على أن تنظيمًا لا يزيد عمره عن عام قد نجح في التخلص من عبء التخلف الفكري والتنظيمي ليؤسس هيكلا إعلاميا وسينمائيا ناجحا، فالأمر لا يتعلق بوجود كفاءات احترافية فردية، بل يتطلب بيئة عمل كاملة وعقلية إدارية منظمة تتدرج من السلطة العليا وصولا لفريق العمل.

ولا يغير شيئا مما سبق القول بأن تنظيم الدولة قد استفاد من تراكم الخبرات التي أسسها تنظيم القاعدة الأم، ولا يفيد كثيرًا الاستناد إلى حقيقة اندماج خبرات تنظيمية من حزب البعث العراقي المنحل في التنظيم، فالقاعدة وحزب البعث على السواء ما زالا حتى الآن أبعد بكثير عن المستوى المطلوب فنيًا وإداريًا وتنظيميًا لما يقدمه تنظيم الدولة من أفلام الإعدام الاحترافية.

أما القول بأن منتجي هذه الأفلام هم من عناصر تنظيم الدولة الغربيين الذين حملوا خبراتهم من الغرب لتوظيفها في التنظيم؛ فهذا عذر يقوّي الشكوك نفسها، إذ ما الذي يضمن أن هؤلاء الغربيين -وبعضهم ادعى اعتناق الإسلام حديثًا- ليسوا سوى عملاء للمخابرات الغربية التي نشك أصلا بأنها وراء التنظيم كله؟

فعلى سبيل المثال، تحدثت صحيفة "صندي تايمز" مؤخرًا عن هوية خمسة شبان بريطانيين يشكلون فريقًا احترافيًا لإنتاج أفلام الذبح التي يطبّل لها الغرب ويزمّر لإثبات "وحشيّة" المسلمين، بل يردد ناشطون غربيون على تويتر أحاديث عن إجراء عمليات المونتاج والمؤثرات الخاصة لبعض تلك الأفلام داخل استديوهات احترافية في أميركا، وهو أمر يصعب التحقق منه.

سيُطرح هنا بالطبع الطعن التقليدي في شكوكنا استنادًا إلى التخويف من "نظريات المؤامرة"، ما يدفع المواطن العادي لتصديق الروايات الرسمية، فيريح بذلك عقله المثقل بهموم الحياة اليومية من تبعات مخالفة الجماعة، ومن تحمّل الاتهامات الثقيلة بانعدام الوطنية والانتماء، وهذه ليست سوى إحدى القواعد المبدئية لسيكولوجيا الجماهير.

لنبحث عن المستفيد إذن، فمنذ تشكيل "التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة" في سبتمبر الماضي بقيادة واشنطن، ما زالت هناك حالة غضب شعبي في المنطقة بشأن مشاركة حكومات عربية في هذا التحالف، وما زال هناك الكثير من الغموض والتخبط إزاء الموقف الشرعي من دخول جيوش مسلمة تحت قيادة أميركية لمقاتلة المسلمين حتى لو كانوا من الخوارج والتكفيريين، ولا ننسى أيضا أن قطاعًا شعبيًا لا يستهان به في الأردن كان لا يخفي موالاته للخطاب الجهادي، فحتى والد الطيار

الكساسبة نفسه كان رافضًا لمشاركة ابنه في الغارات وفقًا لما نقلته عن صحيفة التلغراف، ثم لنتأمل في انقلاب الرأي العام الأردني مباشرة بعد إعلان أسر طيار أردني ينتمي لقبيلة عريقة، ولنقرأ أيضًا عن حالة الاصطفاف الاستثنائية وراء الخطاب الرسمي الذي أعلن أن تنظيم الدولة عدو مباشر للشعب، وأن الحرب ضد هذا التنظيم ضرورية جدًا.

وللنظر للأمر من زاوية أوسع، أقدم للقارئ شكوكًا أخرى قد تساعده على المزيد من التأمل، فأثناء عملي على تأليف كتاب "ضريبة هوليود" عام ٢٠١٠ عثرتُ على كتابات لناشطين غربيين يشككون في الرواية الغربية لتفجيرات عمّان عام ٢٠٠٥، التي استهدفت ثلاثة فنادق في ليلة واحدة وأسفرت عن مقتل ٥٧ شخصًا، حيث أعلن تورط تنظيم القاعدة فيها بإرساله انتحاريين عراقيين كي يقتلوا أنفسهم وسط الجموع، من دون أن يتساءل الإعلام عن تلك الصدفة العجيبة التي كانت وراء وجود مصطفى العقاد (المخرج السينمائي المسلم الوحيد في هوليود) في ذلك المكان البعيد عن مقر إقامته في كاليفورنيا ليلقى مصرعه، علمًا بأن العقاد كان قد اقترب آنذاك من تحقيق حلم ظل يتأجل عشرات السنوات لإنتاج فيلم هوليودي عن صلاح الدين الأيوبي، ويقدّم به للعالم رؤية المسلمين للصراع الحساس على القدس.

المدهش هنا أن ساجدة الريشاوي، التي ثبت خلال التحقيقات أنها امرأة خرقاء لم تستطع حتى تفجير الحزام الناسف آنذاك فهربت مع الهاربين قبل أن يُقبض عليها؛ هي تلك المرأة التي قيل إن تنظيم الدولة كان يساوم عليها مقابل الإفراج عن الكساسبة، قبل أن يعدمه حرقًا.

إذن، هل القاعدة بريئة من الاختراق ومن تحقيق أهداف الحكومات؟ هل تنظيم الدولة يمثل حقًا دولة الخلافة؟ هل قبض تشكيل غير مُخترق داخل التنظيم على الكساسبة؟ هل جرت بالفعل مفاوضات جادّة لمبادلته بالريشاوي؟ هل تم قتل الكساسبة حرقًا بالفعل؟ هل كانت تفجيرات ٢٠٠٥ تستهدف المدنيين الأبرياء لإرهابهم وللضغط على حكومتهم فقط أم للتخلص من مصطفى العقاد؟ أم لأهداف أخرى؟

لا أظن أن أحدًا منا يملك الإجابة على هذه الأسئلة، ولكن يكفي على الأقل عدم الاستسلام للخطاب الرسمي دائمًا، والبحث عن المستفيد من بعض الأحداث والجرائم الصادمة.

* * * *



ساسة بوست- ٢ سبتمبر ٢٠١٥

"صحيح أن الثورة لم تصلح كل عيوبنا، إلا أنها أظهرت أجمل ما لدينا"، كتبتُ هذا الشعار الرومنسي في السنة الأولى من الثورة السورية، واتخذه بعض الناشطين أيقونة، ولم يكن أحدنا يدري إلى أين نحن ذاهبون، ولم نتوقع حينها أن المنحنى البياني المتصاعد لأخلاقنا سيتوقف عند ذروته يومًا، وأنه سيترنح بعدها ويميل نحو الأسفل، ثم يهوي سريعًا كانهيار مدننا المصنوعة من الملح(١).

أمضيتُ عاما كاملا قبل اندلاع الثورات في اعتزال الناس والتأمل، وشرعت في تدوين رواية وكتاب، فتضخّما ليسوِّدا مئات الصفحات، وما زالا في الطور الجنيني. رواية تحكي ضياع الشباب في عالم زائف، وكتاب يبحث حرفيا في "جنون العالم". وعندما انقدحت شرارة الثورات طويتُ الصحف وكسرت الأقلام، وعقدتُ الأمل على هتاف الشارع ورصاصة البندقية.

أظهرت المأساة أجمل ما لدينا بالفعل، وكشفت زيف فقهاء السلطان وخواء "الدعاة الجدد" ونفاق مثقفي القومجية. كُسرت الأصنام وسقطت المرجعيات

(١) استعارة من عنوان الخماسية الروائية للسعودي عبد الرحمن منيف، والتي كان يقصد بها تضخم المدن النفطية بسبب إثرائها السريع، لتصبح عرضة للانهيار.

الكاذبة وأعيد ترتيب الأولويات، وتضخم فينا -نحن الشباب- جنونُ العظمة. ثم ماذا؟

بلغت الدماء الرُّكب، واختلط السلاح، ولفظت السجون حثالة المجتمع إلى الشوارع، وفُتحت حدود البلاد أمام شذّاذ الآفاق، واغتيل بعض قادة الفصائل المخلصين، وسقط مرتادو الفنادق بالبزّات السوداء، وكشّر "المجتمع الدولي" عن أنيابه، وتخاذل الأشقاء العرب، ورخصت الذمم في سوق الحاجة، وغاب الراعي فنشبت الذئابُ أنيابها في ظهور الرعيّة.

ظهرت عصابات "داعش" في المسافات الفاصلة بين طرفي الصراع، وأطاحت بكل الشعارات في تطبيق استعراضي لأكثر أفلام الرعب وحشية. فانهار منحنى الأخلاق نحو الهاوية، وأظهرت الثورة أخيرا أسوأ ما لدينا!

إسقاط هيبة الدين

كان ثمة أمل في الدعاة وطلبة العلم، وكانت ثمة جهود قاصرة للترقيع وسد الثغرات. لكن انهيار صورة فقهاء السلطان أخذ معه كل شيء، والمنظومة العلمية لدى سلك المشيخة -الذي لم يكن النظام ليسمح لغيره بالبقاء- لم تجد في جعبتها الكثير لتقدمه، وتلطَّخت لحى الخوارج بالدماء، وقلبَ الجهلُ الطاولة على العلم الشرعي كله، بل على "الدين" نفسه في أذهان جيل كان قد أضاع البوصلة أصلا في ظل تربية العسكر العلماني وحُكم الأقليات، قبل أن تجرفه ريح العولمة.

كان العلماء والدعاة على مر التاريخ نخبةَ الأمة وملاذها، فصاروا اليوم -ونحن في قلب المحنة- رمزا للخيانة. كان سمْتهم رمزا للانصراف عما في أيدي

الناس، فأصبح اليوم -شاؤوا أم أبوا- شعارا للإقبال على الدنيا، وهناك من يغذّي هذه الصورة النمطية كل يوم.

ودخل أنصاف المشايخ على الخط، وقد كان بعضهم في مطلع الثورات مترددا متخوفا على مصالحه، ثم وجد في الثورات طريقا أسرع للشهرة والمناصب، فبدأ سباق البحث عن لقب "شيخ الثورة" و"شرعيّ" اللواء أو الجبهة، وصار معيار المشيخة في إعلان طالب العلم موقفه من الثورة "المبجلة" أو من الجهاد، وبالتبرؤ من مشايخه الصامتين، حتى إن كانوا في آخر أيام شيخوختهم وكان موقفهم السياسي لن يغير من عزيمة الثوار ولا من ظلم الطاغية.

أما معيار المفاضلة في التأهل لمناصب القضاء الشرعي بالمحاكم الثورية فهو مدة المحكومية في سجون النظام قبل الثورة، وثمة أفضلية لمن تخرّج من سجن صيدنايا العتيد، فهو في عُرف "أخوّة المنهج" من أعظم "جامعات" العلم الشرعي!

وبطبيعة الحال، دخل مثقفو الحداثة أيضا على الخط، وأخرجوا ما في جعبتهم من الحقد على "المؤسسة الدينية" كما فعل معلّموهم إبان الثورة الفرنسية ضد "رجال الدين". وبعدما كان الطعن مقتصرا على "مؤسسة" فقهاء السلطان؛ اتسع ليشمل طبقة العلماء المتسلسلة منذ أكثر من ألف عام، فباتت في أدبياتهم حلقةً متصلة من "المتآمرين" على الوحي للانحطاط بالأمة إلى ما صارت إليه. وبعدما كان تجديد الدين على رأس كل قرن هو تخليصه من الشوائب المستوردة؛ بات في قرن الثورة نقضا للتراث كله واستيرادا جاهزا للبديل من مصانع ما بعد الحداثة.

وهكذا انصرفت أبصارهم عن الماسون والاستعمار والرأسمالية والشيوعية والقومجية، وصارت المؤامرة في قلب كتب تراثنا، وفي ما تركه الكبار من ذخائر

التفسير والفقه وعلم الحديث واللغة. لم يعد العدو موضوعا بل أصبح فكرة، ثم أصبح ذاتًا تُجلد وتُداس بتلذذ "مازوشي" مريض، وأصبح الشاب المنفتح مفتوحا خاويا كأعجاز نخل منقعر، وغاية نشوته في التشفي من ذاته التي أعياها الفشل.

بلغ هوان الشاب على نفسه ألا يرى لنفسه قيمة في عين العالم، والعالم عنده هو الغرب ولا أحد سواه. حتى لم تعد هناك مؤامرة تُحاك ولا عدو يكترث في منظور مدرسة الانفتاح. أوَليس "العيب كله فينا"؟ فمنذا الذي يهتم لأمرنا ليتآمر علينا؟

أصبح معيار الحق والباطل في مدرسة "أصول الفقه الفيسبوكية" هو موقع إقامة العالِم أو طالب العلم، فإن كان يقيم تحت وابل الرصاص فكل ما يقوله "حق يُسمع" ولو كان مجرد دعيّ أميّ، أما إن كان جالسا في غرفة مكيفة آمنة فكل ما يقوله "هراء"، حتى لو فتح الله له فأبدع من العلم ما يبز فتاوى أبي حنيفة والشافعي وابن تيمية.

أصبح قيام العالِم وطالب العلم بالحدّ الأدنى من واجبه الشرعي "تنظيرًا"، وسواء كان تبليغه حكمَ الله للناس اجتهادا صائبا أم خاطئا فالأمر في عُرف المُجحفين سيان، فإما أن يوافق الحكمُ الشرعي هواهم فيُقبل؛ أو يُبصق على لحية صاحبه مهما بلغ طولُها وبياضُها، وما أسهل الإتيان بالرد والنقض من سوق التجديد المنفتح.

أصبح العلم الشرعي بكل عظمته في ميزان بعض الجيل ورقةً صفراء تُقتطع من كتب تراث "الانحطاط"، وأصبح التراث المحفوظ منذ أكثر من ألف عام كلًا مباحًا. فصار لكل طالب في كليّة تقنيّة الحقّ في أن يختار ويرجّح ويقابل ويعارض، وأن يقول "رأيي هو كذا"، ولو كان لا يجيد كتابته بلغة سليمة. ولم يعد الأمر في أن يستفتي الفتى قلبَه في الاختيار بين فتاوى أهل الذكر، بل يُعمِل هواه في ما لم يقله أحد سواه،

ويضربُ بالعلم حائطًا اسمُه "لا يحقّ لمن لا يجاهد أن يفتي"، وهو قد جمع إلى قعوده عن الجهاد جهلًا مركّبًا.

يقول الشيخ سلمان العودة في مذكراته، إن أحد زملاء الصبا من طلبة العلم جادل شيخه الدكتور محمد عبد الوهاب البحيري في حلقة علم قائلا "عندي أن الأمر كذا"، فقال له الشيخ "يا ابني إنت ما لكش عند!".

يقولــون هــذا عنــدنا غيــرُ جــائزٍ ومن أنتم حتى يكون لكم عندُ؟

أما الروائي الإيطالي أمبرتو إيكو فصرّح مؤخرا بأن مواقع التواصل الاجتماعي "تمنح حق الكلام لفيالق من الحمقى، ممن كانوا يتكلمون في البارات فقط بعد تناول كأس من النبيذ، دون أن يتسببوا بأي ضرر للمجتمع، وكان يتم إسكاتهم فورا، أما الآن فلهم الحق بالكلام مثلهم مثل من يحمل جائزة نوبل؛ إنه غزو البلهاء".

ولعل إيكو، الذي يعدّ من أكثر مثقفي العالم تأثيرا في تويتر، والذي كتب سابقًا رواية "بندول فوكو" وسخِر فيها من كل من يتهم الحركات السرية بالمؤامرة، لعله يعلم طرفًا مما يقال عن ازدواجية المعايير في خوارزميّات مواقع التواصل، فضلا عن قرارات الحظر والتقييد المجحفة ضد الحسابات والمنشورات التي تؤيد ثوراتنا وقضايانا العربية والإسلامية.

وسواء علِم إيكو أم لم يعلم، فما قاله عن الحمقى في بارات الغرب لا يختلف كثيرا عن الحمقى في مجالسنا، فالذين كان الشيخ البحيري يُسكتهم في مجالس العلم -عندما كان الشيخ العودة صبيا- أصبحت لديهم الآن منابر في هواتفهم الذكية، وخلفهم قطيع يصفق ويرفع شعارات الإسقاط والتشهير ضد كل من لا يروق لهم.

ظنَّ الجيل الجديد أن التغريد سلاحٌ سيغيّر العالم، وأنهم أسقطوا به طاغيتين في تونس ومصر في غضون ثلاثة أسابيع، وأنهم سيُسقطون به أيضا "تراث الانحطاط" في غمضة عين. ومع أن خيوط المؤامرة تكشّفتْ في الثورات المضادة فما زال الاعتراف بالخديعة صعبا، وما دام التغريد هو "السلاح" الوحيد الذي كان وما يزال متاحا فسيبقى هو الملاذ الوحيد، وطالما ظل المشايخ هم الطرف الأضعف فلتتّجه إليهم إذن فوّهات الأسلحة الزائفة.

اتسع الخرق على الراقع، وسقطت هيبة الحق في بئر العدمية، وحُمّلت مسئولية الفشل الجماعي على أولئك "الدراويش"، وقُدّم المنطق قربانًا على مذبح الفوضى.

أصبحت الفضيلةُ رذيلة، بل أصبح الهروبُ أمَّ الفضائل، وبات الغريق في قوارب اللجوء إلى بلاد الفرنجة "سيد الشهداء"، وأقطاب المؤامرة الحاكمون باسم الديمقراطية في "الفردوس" الأوروبي هم "خلفاء" الله في أرضه.

أليس طبيعيًا إذن أن تسأل إحداهن صديقاتها: ألم تخلعن الحجاب بعد؟ وأن يعلن أحدهم بين أصحابه أنه وجد ضالته في "الإلحاد"، وأن يُلام "المشايخ" مجددا: لماذا لا تنقذون هؤلاء؟ وأن يصبح الانشغال بالكشف عن أصابع المتآمرين وأذيالهم في الثورات والثورات المضادّة مؤشرا على "خرف" الباحث الرصين.

أين الحل؟

في كل مرة تقريبا أصف فيها هذه الأمراض المزمنة يتكرر التعليق الاستنكاري على الفور: "حسنا لقد فهمنا، أين هو الحل؟" ولا يمكن فهم هذا السياق

الاحتجاجي إلا من وجهة نظر "أصول الفقه الفيسبوكية"، والتي تنصّ على أن كل من لا يملك الحل لا يحق له طرح المشكلة، وعليه أن يجلس بجانب الفاشلين ويلتزم الصمت.

حسنا، قل لي بالله عليك: ما الذي يمنعك من الانسلاخ عن تلك الجماهير والتوقف لحظة للتأمل؟ ومن أن تغلق التلفاز ومواقع التواصل وتعتزل المقاهي وجلسات الجدل ليلة واحدة فقط؟ ثم تفكر بعقلك المجرد عن الهوى؟ وأن تستحضر الاقتراح القرآني للمشركين في إتاحة الفرصة لعقولهم بالنظر مرة واحدة بعيدا عن تأثير المحيط: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

ولتسأل نفسك حينئذ: هل هناك مانع عقلي وفيزيائي وتاريخي من التصديق بأن العدو يعبث بنا ويستغلّ جهلنا وغرائزنا وتشتت صفوفنا؟

ألا يمكننا استعادة رشدنا الذاتي ما دام الوحي الإلهي مطبوعا في مصاحف ومكتوبًا بلغتنا؟ ألا نستطيع التفكير مجددا في الواقع من دون السقوط المزمن في المغالطات المنطقية؟ هل نحن مضطرّون للاستماع إلى الجدل المشحون بكل الأمراض النفسية على مواقع التواصل؟

حتى إن كان الوسط المُحيط بنا عاجزا ومُحبِطا، فالحساب في الآخرة سيكون فرديا، وسيركّز على نوايانا وأفعالنا وليس على النتائج الخارجة عن إرادتنا. فهل أخلصنا النية؟ وهل قام كل منا بدوره الفردي البسيط؛ حتى وهو يعلم أن الجماهير تتجه نحو الهاوية؟ وهل حاولنا إصلاح أنفسنا وتذكير الدائرة الضيقة التي حولنا بواجبها الفردي لإبراء الذمة؛ حتى ونحن على وشط السقوط معها في الهاوية؟

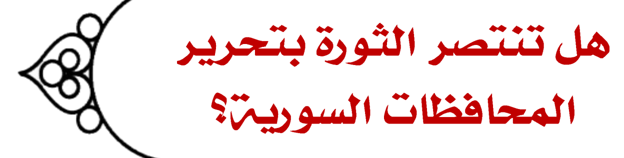
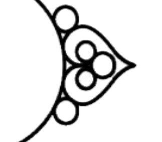
وإن لم نفعل، فهل اعتزلْنا الجماهير المندفعة نحو الهاوية على الأقل؟ وهل حفظنا ألسنتنا وأقلامنا عن مشاركتهم في السقوط ولو بالكلام؟

وبجانب هذه الفوضى، سيظل هناك أبطال مخلِصون يضحّون بأرواحهم في كل شبر من أرضهم، ومعهم مرابطون صالحون لا يتركون بيوتهم للمحتلّ الإيراني والروسي، وبينهم دعاة صادقون يحتكمون إلى الشرع ولو خالف هوى الجماهير.

النصر يكون للأمة كلها، فلا يتحقق ما لم تستحق أغلبيتُها تلك الجائزة. فإن لم تجد أمّتَك أهلًا لذلك فعليك بخاصة نفسك، وليس ذلك بالانسحاب والقنوط، بل بإصلاح نفسك التي تُحاسَب عليها، وبإصلاح ما أمكن حتى لو تيقّنت بأن جهدك لن يغير في الأمة شيئا. فمن كانت في يده فسيلة وقامت عليه القيامة فليغرسها، حتى لو علم أنها لن تثمر في هذه الدنيا، فإنها ستثمر حتما في صحيفته، وقد يُحاسَب إن لم يفعل.

من لم يستطع أن يساهم بالبناء فليحرص على ألا يحمل معولا للهدم، ومن لم تُظهر هذه الثورات أجمل ما لديه فليعمل على ألا تمسخه إلى كائن غريزي متوحش، وذلك أضعف الإيمان.

لا تقنط إن لم ترَ النصر بعينيك، فالاحتلال الصليبي لأجزاء من الشام استمر قرابة قرنين، وكانت الحرب سِجال، وعندما اشتغل المربّون -مثل أبي حامد الغزالي وعبد القادر الجيلاني- على التزكية، نجح صلاح الدين الأيوبي بعد نصف قرن في قطف ثمار تلك التربية وحرّر بيت المقدس.

هل تنتصر الثورة بتحرير المحافظات السورية؟

رابطة العلماء السوريين- ٢١ أكتوبر ٢٠١٥

قبل ثلاث سنوات، وبعد شهرين فقط على اقتحام الجيش الحر لمدينة حلب، دخلتُ المدينة مراسلا صحفيا، واستمعتُ لآراء الثوار والمدنيين، وكان من أوضح مشاهداتي العفوية أن البسطاء يؤيدون المنتصر أيًا كان، فالذين كانوا يردّدون لجندي النظام وعنصر الأمن إذا التقوا به في الطريق "الله يحميك وينصرك"، باتوا يقولونها للمقاتل المنتسب إلى الجيش الحُرّ[١]، مع أنهم لم يكونوا مضطرين غالبا للتملّق لأي من الطرفين في مواقف الحياة اليومية!

ومع ذلك، اكتشفت من خلال بعض الأحاديث الخاصة مع بعض الناس أنهم لم يكونوا مطمئنِّين ولا ممتنِّين بالضرورة للجيش الحر الذي يعتقد أنه حرَّرهم،

(١) الجيش السوري الحرّ هو المصطلح الذي أطلق في البداية على الضباط المنشقين عن الجيش النظامي، احتجاجًا على قمع المحتجّين وقتلهم، حيث كان كل منشقّ يعلن في تسجيل مصوّر انضمامه إلى "الجيش الحرّ" لحماية الشعب من الجيش النظامي، ومع أن أول فصيل مقاتل كان قد تشكل على يد ضابط شاب في حمص، لكن بقية الفصائل التي توالدت على مدى السنوات اللاحقة تشكلت كلها من قبل الثوار المدنيين المتطوعين، وكان قادتها يعلنون ظاهريّا وإعلاميّا أنها جزء من الجيش الحر، بدون أي تنسيق يُذكر مع قيادة موحدة لهذا الجيش الافتراضي، أما الفصائل الجهادية فلم تكن مهتمة أصلا بالانضمام للجيش الحر.

وسمعتُ ممن يُعطى الأمان ليعبّر عن رأيه تساؤلات عن سبب تحرير أحياء المدينة التي لم يصبها سوى التدمير، من دون أن يصاب النظام بأذى.

التقيتُ بقادة الجيش الحر في الجبهات وغرف العمليات وأماكن أخرى، وكنت أكرر سؤالي -كلما سنحت الفرصة- عن سبب اختيارهم اقتحام البلدات والمُدن وانتزاع أراضي الدولة الواسعة شبرًا شبرًا، بدلًا من شن الهجمات على المقرات العسكرية والمؤسسات الحكومية.

وفي حوار تلفزيوني بثته قناة "الجزيرة مباشر"، طرحتُ هذا السؤال أيضا على قائد لواء التوحيد عبد القادر صالح، وهو المسؤول عن اقتحام مدينة حلب وانتزاع نصفها، فكان جوابه أنهم كانوا يتمنّون تطبيق الخيار الثاني لكن الاكتفاء به صعب، فاختاروا القيام بالخيارين على التوازي[1].

وإذا كان هذا جواب المُخلِصين الذين لا أشكّك في صدقهم، فإن قادةً آخرين لم يكونوا يهتمّون أصلا بإسقاط النظام نفسه بقدر اهتمامهم بالسيطرة على المدن والقرى، ومن المعروف أن المبرّرات جاهزة دائمًا.

ومع أني عدتُ من تلك الرحلة بشحنة إيمانية قوية، بعد ما رأيته من تضحيات وبطولات يبذلها أولئك الشباب، إلا أني لم أغفل عن حقيقة أن معظمهم -بما فيهم القادة- لم يكونوا متعلّمين، ولم يقرأوا شيئا يُذكر في السياسة ولا التاريخ ولا العلوم العسكرية، ولا حتى في الفقه وأحكام القتال والسياسة الشرعية غالبًا. وإذا كان

---

(١) نص الحوار نُشر أيضا في موقع "الجزيرة نت"، وهو موجود في هذا الكتاب تحت عنوان "حوار خاص مع عبد القادر صالح قائد لواء التوحيد في الجيش السوري الحُرّ".

معظمهم يقول إن الضباط المنشقين والمتعلمين لم يأتوا إلينا ليفيدونا بخبرتهم، فإن الضباط كانوا يقولون بالمقابل إن الثوار لم يسمحوا لهم بالتدخل أصلا[١].

في تلك الفترة، والتي يسميها الكثيرون بأيام الثورة الجميلة، بالرغم مما فيها من فواجع، كانت بعض التحليلات تتنبأ بانهيار النظام بعد ستة شهور من اقتحام حلب، ليس لأن النظام خسر نصف المدينة المهمة خلال أيام فحسب، بل لأن الأمل الأكبر كان معقودا على عمليات الاغتيال وشراء ذمم الضباط وزرع السيارات المفخخة في قلب دمشق، ومن ثم خلخلة النظام من الداخل. وعندما حدثت عملية التفجير التي قضى فيها آصف شوكت صهر بشار الأسد، مع بقيّة قيادات الخلية المخابراتية، تداول ناشطون إشاعة عن انهيار النظام في دمشق، وقيل إن عناصر المخابرات والشبّيحة يطلقون الرصاص عشوائيا في عملية انسحاب كيفيّ من العاصمة نحو مصير مجهول تركهم فيه النظام!

تتمة القصة معروفة، فالجيش الحر الذي اقتحم نصف حلب في أيام، ظلّ عالقا عند خط التماس ثلاث سنوات، بل خسر بعض مواقعه بالرغم من اكتسابه مواقع أخرى في الريف والأطراف. وحسب الخرائط التي يعدّها صحفيون وناشطون دوريّا لتوزيع مساحة البلاد بين القوى الفاعلة؛ فإن الجيش الحر كان في السابق أكثر انتشارا، وخصوصًا بعد دخول تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) إلى الساحة.

(١) وفقًا لما رأيته وسمعته في الميدان، لم يكن الثوار يسمحون للضباط والجنود المنشقين بقيادة المعارك ولا حتى بإبداء الرأي ووضع الخطط، إما بحجة عدم ثقة الثوار بالضباط المنشقين، أو لشعور الثوار بأن الضباط يريدون انتزاع القيادة منهم. لذا ظل مئات الضباط المنشقين معزولين في مخيّم خاص للاجئين بجنوب تركيا، وعلى رأسهم قائد الجيش الحرّ العقيد رياض الأسعد، ما يعني أن انضماهم للجيش الحرّ لم يكن سوى واجهة إعلامية.

القوة ليست بالمساحة

في كتابه "خرافة التنمية الاقتصادية" يصف المؤلف أوزوالدو دي ريفيرو الدول التي فشلت في التنمية خلال القرن العشرين بأشباه الدول، ويجد أن الدول التي لحقت بالمتقدمة هي غالبا دول مدينية (أي صغيرة بحجم مدينة)، مثل تايوان وسنغافورة وهونغ كونغ، ويمكن أن نضيف لها دبي مؤخرا. ومع أنه لا يلتفت إلى تحالفات الكواليس والأدوار الخفية التي دفعت بهذه الدول-المدن إلى رأس القائمة فإنه يقصُر اهتمامه على انتهاء صلاحية فكرة الاستعمار (ومرحلة الاستقلال أيضا) القائمة على احتلال المساحات الشاسعة وتسخير الشعوب في المصانع والمزارع، فالذين يديرون دفة العالم اليوم يتحكّمون بمفاصل القوة عن بعد.

وقد يقال إن هناك نماذج تنموية أخرى ناجحة باعتمادها على المساحة والموارد التقليدية، مثل تركيا ودول مجموعة البريكس، لكن المؤلف يرى حسب معايير عدة أنها لم تصل إلى مراتب الدول المتقدمة، فنموذج الدولة-الأمة المتقدّمة لم تستطع أي دولة-أمة من خارج إطار الغرب اللحاق به حتى الآن؛ باستثناء اليابان.

ولطالما سمعنا ونحن صغار أن ١٥ مليون يهودي فقط قادرون على التحكّم بأمة المليار مسلم، والحقيقة أن هذه الأقلية قادرة على فرض سياساتها ومصالحها على معظم البشرية أيضًا، بل أرى أن هذه الأقلية نفسها تخضع بدورها لسيطرة قادة الصهيونية وعائلات النخبة المالية.

وحتى أكثر النظريات تعاطفا، فهي لا تغفل دور المركزية الشديدة والشتات (انعدام المواطنة) في قدرة النخبة الأوربية من تلك الطائفة على الانتقال بأقليتهم من

الاضطهاد إلى السيطرة والتحكم خلال بضعة قرون. فالذين استطاعوا النفاذ إلى مواطن القوة في المعسكرين الرأسمالي والشيوعي في آن واحد؛ كانوا هم الطرف الوحيد الذي لم يخسر، سواء في الحرب العالمية الثانية أو في الحرب الباردة، لأنهم لم يكونوا مرتبطين بالأرض والجغرافيا، بل يملكون المال والإعلام والقوة الناعمة العابرة للحدود.

التحرير وإسقاط النظام

وبالعودة إلى قضيتنا، هل يمكن القول إن تحرير كامل المحافظات السورية، باستثناء الساحل ودمشق، سيُسقط النظام؟ وذلك لو افترضنا أصلا أن النظام لا يملك التحكم بخزان بشري من ملايين الشيعة، وهو يستوطن "الهلال الشيعي" الممتد من لبنان، مرورا بسورية والعراق وإيران، ووصولا إلى باكستان وأفغانستان، وأنه لا يملك الدعم المالي والعسكري المفتوح والمعلن من روسيا، وغير المعلن من بقية القوى العظمى في العالم.

وبالرغم من الاختلاف المعروف فيما بين آراء المعارضة والناشطين السوريين، فلعلّ الحقيقة الوحيدة التي باتوا يتفقون عليها جميعا هي أن الغرب وروسيا وجهان لعملة واحدة، وأن ما كانت تسمى بمجموعة "أصدقاء سوريا" لم تكن سوى خدعة كبيرة.

واليوم تعلن الولايات المتحدة أن دعمها سيكون لتحالف "قوات سورية الديمقراطية" المكوّن من كتائب علمانية كردية ومسيحية وعشائرية في الحسكة والرقة، وذلك بعد أن فشل مشروع تدريب المعارضة "المعتدلة" الذي اقتصر على

٥٠ عنصرا فقط، وهذا يعني أن كل ما حرّره وسيحرّره الثوار يجب أن ينتهي في يد داعش ومليشيات كردية ماركسية، أو يبقى منطقة توتُّر إلى أجل غير مسمى مثل أفغانستان والصومال.

وحتى قبل الوصول إلى تلك المرحلة، فإن الثابت عمليا هو أن تحرير المدن والقرى، وصولا للمحافظات كاملة، لم يؤدِّ سوى لتهجير أهلها وتدميرها، بدءًا باليوم التالي لإعلان التحرير، ونموذجُ إدلب ما زال الأكثر حضورًا في الذاكرة.

كان الأمل معقودًا على نجاح تجربة الدولة البديلة في "حلب المحرّرة"[١]، فتمّ إنشاء مدارس ومستشفيات وجهاز شرطة وأمن وقضاء، وانتشرت صحف وإذاعات بديلة، وأعلن الائتلاف المعارض عن حكومة مؤقتة ووزراء، وانتعش الأمل بتقديم نموذج مدنيّ للثورة يُقنع العالم بأن السوريين قادرون على إدارة وطنهم في حال إسقاط النظام الطائفي، لكن العالم كله لم يقتنع، بل أعطى الضوء الأخضر للنظام بتدمير حلب بالبراميل المتفجرة، والأمر نفسه تكرر في حمص وغوطة دمشق، وفي كل مكان حاول سكّانه إيجاد بديل محرَّر.

ربما كان التحرير سيحقّق النتائج المرجوّة في حال توسّعه بسرعة لإسقاط النظام خلال سنة من بدء الصراع المسلح، عندما كانت شعبية الجيش الحر في أوْجِها، والكتائب أقرب إلى التعاون والتوحد، فضلا عن أن داعش والمليشيات الكردية لم تكن قد ظهرت بعد. أما اليوم فقد ذهب نصف المساحات المحررة تقريبًا لصالح تلك القوى، وهي ما زالت تتمدّد بدعم غربي وروسي.

---

(١) أي الجزء الخارج عن سيطرة النظام في شرق حلب.

الروس بدأوا الشهر الماضي[1] بالسعي لتحقيق التقسيم مباشرة، فهم يرسمون -كما يبدو- بنيران صواريخهم حدود الدويلة العلَوية المرتقبة، ويريدون إفراغ الشريط الحدودي من الثوار بأسرع ما يمكن، بينما يطعن خوارج تنظيم الدولة في ظهر الثوار من الخلف، ويستعدون لانتزاع أي أرض تُحرّر في غضون أشهر، فالقذائف التي قصف بها الروس كتائب الثوار خلال أسبوعين قد تزيد عن كل ما أطلقه التحالف الدولي على تنظيم الدولة منذ سنة تقريبا.

وفي ظل شحّ التمويل والدعم للثوار، والحظر الدولي على إمدادهم بالسلاح المضاد للطيران، واتساع دائرة اتهام بعض الفصائل دوليًا بالإرهاب، فمن غير المنطقي أن يستمر التعويل على وعود تضاف إلى قائمة بآلاف الوعود السابقة بالتسليح أو تغيّر المواقف الدولية أو حدوث أي شيء لصالح الثورة، ما لم يكن معجزة إلهية لم يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بانتظارها.

ومن خلال متابعتي اليومية في العمل الصحفي، واطلاعي على ما يكتب ويقال، فإني أجزم بأن كل ما تردد ويتردد عن وعود عربية وإقليمية بتسليح الثوار بمضادّات الطيران، أو بمفاجأة غير متوقعة على غرار "عاصفة الحزم"[2]، هي كلها تخمينات فارغة، ومازال أصحابها أنفسهم يصرّحون بأنهم غير واثقين من صحّتها. ومع أننا لا نستبعد تحقّقها لكن العاقل لا يعلّق مصير بلده وقضيته بسراب.

---

(١) كان هذا في أواخر سبتمبر ٢٠١٥، وهو التاريخ الذي أعلن فيه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين التدخل العسكري المباشر في سورية إلى جانب النظام للقضاء على الثوار، وعدم الاكتفاء بالدعم والتسليح والتدريب.

(٢) هو اسم الحملة العسكرية الذي أطلقته السعودية في مارس ٢٠١٥ على التدخل العسكري الذي تقوده ضد الحوثيين في اليمن.

من المؤكد أن يحقّق تحريرُ الأراضي مكاسبَ إعلامية وجماهيرية، فتحريرُ إدلب وجسر الشغور -مثلا- على يد الثوار كان له أثر نفسي كبير، لكن الضربة تكون باهظة دائمًا، والمكاسب الاستراتيجية أقل مما يُعلن، أما سقوط النظام فهو أمر آخر.

وما ينبغي على قادة الفصائل أن يطرحوه الآن للبحث في مجالسهم المغلقة ليس فقط التحقق من جدوى تحرير الأراضي، بل مدى قدرتهم على الاحتفاظ بها أيضا، ووضع سيناريوهات مستقبلية لما سيحدث في ظل التدخل الروسي.

فسواءً كان الهدف هو منع التقسيم أصلا، أو زعزعة أمن الدويلة العلَوية المستقبليّة -طالما كان إسقاط النظام صعب المنال حاليا- فالحل الوحيد اليوم هو غزو معسكرات النظام في منطقته ووسط حاضنته الشعبية على امتداد الساحل كله، وإجباره على الانكماش من كل سورية إلى هناك، وتوريطه هو والروس في معركة جبليّة وعِرة كما حصل في أفغانستان، وقلبُ الطاولة عليه بدفعه لخوض المعارك في مناطق العلويين حتى ينفضّوا عنه.

من يتخذ القرار؟

العجيب أنه لا يُكتب مقال أو منشور في هذا السياق إلا ويسارع ناشطون -لا نشكّك في إخلاصهم- ممن لم يقرؤوا شيئا في السياسة والفقه، للحكم على هذا الطرح بالتعارض مع مقتضيات الإيمان، ولعلهم يقصدون هنا الإيمان بالمعجزات وليس بالسنن الكونية، فضلًا عن الاعتراض على ما يسبّبه هذا النقاش من إحباط واستياء، مع أن ما يُكتب على الإنترنت في أقصى حالات انتشاره لن يصل في تقديري

إلى عُشر المقاتلين والناشطين والفاعلين، فضلا عن أن يصل للعوام في داخل سورية ممن لا يؤبه لرأيهم كما يبدو، حتى نخشى عليهم من الإحباط!

ولا أكشف سرًّا إن قلت إني لمست حالة استياء واسعة بين المدنيين في آخر زيارة قمت بها لريف إدلب قبل أكثر من عام، ولا أظن أن أحدا يفترض أنهم باتوا أفضل حالًا الآن. لكن العجيب في الأمر أن يُعلن جهارًا على ألسنة بعض قادة فصائل الثورة أن تذمّر الناس ليس بحُجّة، وأنهم لو استمعوا لكلام العوامّ لما قاموا بالثورة أصلا، ثم يحاجج بعض الناشطين بأن هذا هو منطق الأبطال، وأن من يطالب بتفهّم حاجات الناس هو المتعالي، أي أنه يتعالى -كما يبدو- على الجانب الثوري من الشعب وليس على عامة الشعب التي يُراد لها أن تؤيد المنتصر فقط، وكأننا أمام إعادة إنتاج علنيّة ومتوافق عليها للاستبداد الذي يجب على الشعب المنكوب أن يتحمّل الموت كي يتخلص منه!

من المعروف تاريخيًّا أن الثورات التي يطول أمدُها تبدأ بافتراس أبنائها، ولدينا أمثلة لا تحصى لمقاتلين وناشطين غسلوا أيديهم من كل شيء، وخرجوا لالتماس طريق الخلاص الفردي في تركيا أو أوربا. ونحن شعب يجيد تبادل إلقاء المسؤولية على الآخرين، ولا أذكر أني سمعت قياديًّا يعترف بالخطأ ويعتذر من الشعب، سوى القيادي في حركة "أحرار الشام" أبي يزن الشامي الذي قُتل على يد النظام قبل أن يشتهر.

معظم الذين يقرؤون مقالي هذا يعيشون في الخارج، مثل كاتبه، وما أصعب أن يتقمص أحدنا دور المنكوبين هناك، وما أصعب أن أقارن شعوري عند سماع نبأ

احتمال خسارتي لوظيفتي بشعور من يعيش على الكفاف عندما يسمعُ نبأ احتمال قدوم الفاتحين إلى مدينته لتحريرها من النظام المحتل، فهو يعرف جيدا كيف سيدفع ضريبة هذه "الحريّة"، ويتمنّى من كل قلبه أن يتركه كل من النظام والثوار ليعيش بسلام.

نحن ننتشي بأخبار الفتوحات وتحرير المدن والقرى كما ينتشي من يشجّع فريقا رياضيا يحقق فوزًا على ملعب يبعد عنه آلاف الأميال، ثم نتعاطف مع المهجّرين والمقتولين والمسحوقين عقب كل تحرير كما نتعاطف مع ضحايا الزلازل والحوادث المرورية.

نحن لا نسمح بأي مقارنة بين أبطالنا الذين يضحّون بحياتهم وبين النظام، وتثور ثائرة الكثير من المُخْلصين لمجرّد سماعهم نقدا أو تشكيكا بحقّ الأجنحة المتطرفة داخل الفصائل السلفية الجهادية، والتي كان وما يزال سلوك الكثير منها متوافقا تماما مع مصلحة النظام، كما هو حال "داعش" بالضبط، وكأننا لا نريد أن نستفيد من تجارب من سبقونا في الجزائر والشيشان وأفغانستان، والذين سجّلوا ووثقوا حالات اختراق المخابرات لقياداتهم.

المشكلة ليست في فكرة تقديس من يضحّي بروحه فقط، بل أيضا في عدم الاقتناع بأن الذين يخترقون الثورة ويحوّلون مسارها هم بضعة أفراد لا يضحّون بشيء ويعيشون كأمراء الحرب وسط حراسة مشددة، وأيضا في عدم التصديق بأن المجاهدين المخْلصين يمكن خداعهم، مع أن آلاف المخْلصين قد خُدعوا أمام أعيننا وتحوّلوا إلى خوارج وقتلة وتكفيريّين بسبب دعاية "داعش".

يكفي أن نتذكر أن معظم الشعب السوري كان قبل الثورة مخدوعًا بدعاية المقاومة التي رفعها النظام و"حزب الله" اللبناني زورا وبهتانا، ولو لم تقم الثورة لظلّ معظمنا مؤيدًا لطرف يراه اليوم عدوًا مبينًا.

قبل بضع سنوات كنا نسخَر من الأنظمة التي تردد شعار "لا صوت يعلو على صوت المعركة"، وبعضُ إخوتنا الثائرين على تلك الأنظمة باتوا يرفعون الشعار نفسه اليوم ضد كل من لا يوافقهم على طريقتهم في إدارة المعركة!

❋ ❋ ❋ ❋

هل يدفع الصمت الدولي إلى تقسيم سوريا؟

الجزيرة نت- ٧ فبراير ٢٠١٦

تتزايد إشارات الاستفهام حول تقاعس المجتمع الدولي عن حماية المدنيين من قذائف طائرات النظام السوري وروسيا، حيث تسابق الطائرات الزمن لتهجير أكبر عدد ممكن من سكان الشمال السوري إلى تركيا، بينما يتوسع نفوذ النظام والقوات الكردية وتنظيم الدولة الإسلامية هناك خلال الأسابيع الثلاثة التي تلت تعليق مفاوضات جنيف-٣.

وتزداد الصورة تعقيدًا بعدما سرّب ثلاثة ناشطين سوريين حديثًا مسجلا نسبوه إلى وزير الخارجية الأميركي جون كيري -لم يتم التأكد من صدقيته- على هامش مؤتمر دعم سوريا الذي دعي إليه ناشطو المجتمع المدني في لندن قبل أيام، حيث نقلوا عنه إجابة عن سؤال أحد الناشطين بشأن "تقاعس" واشنطن عن حماية المدنيين، فقال إنه يجب عليهم أن يلوموا المعارضة السورية لأنها لم تقبل التفاوض في جنيف على وقف إطلاق النار.

وفي اتصال أجريناه مع الناشط أسعد العشي، نقل لنا عن الناشطين الثلاثة أن كيري قال لهم "هل تريدون أن نخوض حربًا مع روسيا؟"، وأنه طلب من المجتمع

المدني السوري الضغط على المعارضة للعودة إلى التفاوض وإلا فإن القصف الروسي الأسوأ لم يأت بعد، و"سيتم اقتلاع المعارضة خلال ثلاثة أشهر".

بدوره، نقل موقع "ميدل إيست آي" البريطاني عن الناشطين الذين فضّلوا عدم الكشف عن هويتهم تصريحات كيري السابقة، كما نقل الموقع عن مصدر -قال إنه كان وسيطا بين النظام السوري وواشنطن خلال الشهور الستة الماضية- أن كيري أرسل لرئيس النظام بشار الأسد في أكتوبر/ تشرين الأول رسالة تؤكد أن واشنطن لا تريد خلعه من منصبه.

وأضاف المصدر أن كيري اشترط وقف القصف بالبراميل المتفجرة، وعرض على الأسد أن يتولى بنفسه "تسويق" بقاء النظام إن فعل.

تراجع أميركي

من جهته، قال لنا عضو الهيئة العليا للمفاوضات (معارضة) منذر ماخوس إنه يصعب التحقق من صحة التسريبات المنسوبة إلى كيري، لافتا إلى أن الموقف الأميركي كان يتبنى سابقا اتفاق جنيف-١ بإنشاء هيئة حكم انتقالي، مما يفضي عمليًا إلى إسقاط النظام، وهو أمر لن يحدث -بحسب قوله- بعد أن تدخلت روسيا عسكريا بهذا الزخم غير المسبوق، مما دفع واشنطن أخيرًا للتوافق مع موسكو وطهران على أن يكون الحل بإنشاء حكومة وحدة وطنية.

وجدد ماخوس رفض المعارضة لهذا الحل الذي سيفضي عمليا إلى مصالحة وإصلاحات شكلية، كما لم يستبعد لجوء النظام إلى خيار التقسيم كحل أخير، لكنه رأى أن من الصعب الحكم بأن تكون الولايات المتحدة جزءًا من هذا المخطط.

يُذكر أن كيري قال لرئيس الهيئة العليا للمفاوضات رياض حجاب قبل جولة جنيف-٣، إنه يجب عليهم أن يذهبوا إلى التفاوض مع النظام ضمن الشروط المفروضة عليهم، "وإلا فسيخسروا دعم حلفائهم"، كما أكد كبير المفاوضين في وفد المعارضة محمد علوش آنذاك أن كيري ضغط عليهم للتخلي عن مطالبهم الإنسانية والتوجه للتفاوض بشأنها.

دويلة للأسد

في المقابل، تبدي أنقرة تخوفا من مستقبل غامض يمس أمنها القومي، حيث صرح رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو خلال مؤتمر لندن بأن موسكو تزيد من حدّة هجماتها في سوريا بعد كل لقاء يجمع بين مسؤولين روس وأميركيين.

ولفت داود أوغلو إلى أن هنالك نحو ثلاثين ألف شخص يهربون إلى حدود بلاده من القصف الروسي وهجمات قوات النظام المدعومة بمليشيات أجنبية، واصفا ذلك بـ"جريمة حرب وتطهير عرقي"، ومضيفا "هذه ليست حدود روسيا، وإنما حدود تركيا وسوريا".

أما الرئيس التركي رجب طيب أردوغان فقال الجمعة إن روسيا تحتل سوريا وتسعى لإقامة دويلة صغيرة للأسد، كما استنكر تدخل روسيا وإيران في سوريا التي تتشارك مع بلاده حدودا طولها تسعمئة كيلومتر، ما يعرّض تركيا للتهديد.

وتبدو مخاوف تركيا مسوَّغة مع تزايد موجة النزوح باتجاه حدودها، ومع تمدد خصومها من المقاتلين الأكراد بريف حلب الشمالي (قرب الحدود) الذين سيطروا

اليوم على قرية العلقمية وفقا للمرصد السوري لحقوق الإنسان، بينما تواصل الطائرات الروسية قصف جبال اللاذقية (التي تقطنها أغلبية تركمانية) وتستهدف اللاجئين أنفسهم في المخيمات الحدودية، فيما يبدو أنه دفعٌ لتهجيرهم إلى داخل الأراضي التركية.

* * * *



النزيف يتواصل.. أهم قادة حزب الله الذين قتلوا بسوريا

الجزيرة نت- ١٣ مايو ٢٠١٦

مع إعلان حزب الله اللبناني صباح اليوم الجمعة عن مقتل القيادي مصطفى بدر الدين في سوريا -والذي تضاربت الأنباء بشأن مصرعه ما بين غارة إسرائيلية واستهداف من قبل المعارضة السورية- يبدو أن الثورة السورية باتت محرقة لمعظم قيادات حزب الله البارزين، وربما لقوّته الضاربة التي خسرت -وفقا لبعض التقديرات- ألفَي عنصر.

وفي العامين الأولين للثورة السورية، نفى حزب الله مرارًا مشاركة مقاتليه في الحرب داخل سوريا بالرغم من وصول جنائز العديد من عناصره إلى لبنان، واكتفى الحزب بالقول إن هؤلاء قتلوا خلال دفاعهم عن المواقع الشيعية المقدسة في سوريا.

وقبل ثلاث سنوات من الآن، اعترف الحزب بالانخراط المباشر في القتال، ولا سيما بعد المشاركة في هجوم قوات النظام السوري على بلدة القصير بريف حمص قرب الحدود مع لبنان.

وتوسعت مشاركة حزب الله في جبهات عدة بسوريا من شمالها إلى جنوبها، وتوالى سقوط قادته ووصول جنائزهم إلى مدن وبلدات لبنانية مختلفة وسط مواكب

تشييع ضخمة. وفيما يلي سرد لأهم قادة الحزب الذين سقطوا في ميدان القتال بسوريا.

أهم قتلى الحزب

فوزي أيوب: يحمل الجنسية الكندية، وكان مطلوبا لدى مكتب التحقيقات الفدرالي الأميركي منذ عام ٢٠٠٩ بعد محاولته العبور إلى إسرائيل بجواز سفر أميركي مزور، ولقي مصرعه بمحافظة حلب في مايو/ أيار ٢٠١٤.

جهاد مغنيّة: نجل القيادي العسكري بالحزب عماد مغنية الذي اغتيل في دمشق عام ٢٠٠٨، وقد لقي الابن مصرعه مطلع عام ٢٠١٥ بمحافظة القنيطرة، وقيل إن غارة إسرائيلية استهدفته.

محمد أحمد عيسى: يعتقد أنه أحد مسؤولي ملفَّي العراق وسوريا في حزب الله، وأعلن الحزب أنه قُتل مع جهاد مغنية في غارة إسرائيلية، إضافة إلى أربعة عناصر آخرين.

غسان فقيه: قتل في منطقة القلمون في ريف دمشق قرب الحدود مع لبنان في يونيو/ حزيران ٢٠١٥، وقُتل بعده أخوه القيادي جميل فقيه في ريف إدلب.

علي خليل عليان: قُتل في مايو/ أيار ٢٠١٥ خلال معارك القلمون ضد فصيل "جيش الفتح"، وقال الأخير آنذاك إنه قتل في تلك المعارك أكثر من ستين عنصرا من حزب الله.

فادي الجزار: قيادي بالحزب لقي مصرعه خلال معارك القصير بريف حمص مع عدد من رفاقه في مايو/ أيار ٢٠١٥.

حسن علي جفال: قائد قوات النخبة بالحزب، قتلته المعارضة السورية في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٥ ببلدة الزبداني المحاذية للحدود مع لبنان، وذلك في هجوم مسلح أدى لمقتل خمسة عناصر آخرين لحزب الله. وكانت قوات النخبة بالحزب -ذات التدريب القتالي العالي- قد استدعيت إلى الزبداني بعد عجز جيش النظام وقوات حزب الله عن السيطرة عليها.

حسن حسين الحاج: من القادة المخضرمين، وكان مشرفا على مليشيات الحزب التي تقاتل في ريفي حماة وإدلب، بينما يرى مراقبون أنه كان القائد الفعلي لكل قوات حزب الله في سوريا. قُتل بمحافظة إدلب في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٥ إثر استهدافه بصاروخ من قبل المعارضة، كما قُتل خليفته مهدي حسن عبيد بعد أيام من مصرعه.

سمير القنطار: كان أسيرًا لدى إسرائيل لمدة ثلاثين عامًا، وتم الإفراج عنه ضمن صفقة تبادل الأسرى بين حزب الله وإسرائيل عام ٢٠٠٨، ثم انضم إلى قوات الحزب في سوريا قبل أن يعلن عن مقتله أواخر ٢٠١٥. وتضاربت الأنباء بشأن مصرعه، حيث أعلن النظام السوري في البداية أنه قُتل في "هجوم إرهابي"، ثم قال إن غارة إسرائيلية استهدفته ببلدة جرمانا قرب دمشق.

مصطفى بدر الدين: يُعدّ رجل الظل في حزب الله ومستودعًا للكثير من أسراره، شارك في عمليات نوعيّة بالكويت عام ١٩٨٢ وتولى مسؤولية الوحدات الأمنية بالحزب، ليصبح أعلى قائد عسكري فيه، وكان يقود كتائب الحزب في سوريا قبل أن

تصدر تصريحات من داخل الحزب اليوم عن مصرعه الثلاثاء في تفجير قرب مطار دمشق، أو في غارة إسرائيلية على الحدود السورية.

وتتحدث مصادر عن مقتله على يد المعارضة السورية في خان طومان بحلب. وهو شقيق زوجة عماد مغنية، وكان على لائحة المتهمين بالتورط في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري عام ٢٠٠٥.





نحن قوم لا نصدّق حتى نجرب

مدونات الجزيرة– ٢٥ أكتوبر ٢٠١٦

أحاول أن أتخيّل ما كان يفكّر فيه أجدادنا قبل مئة عام، عندما كان العدو التاريخي (الإنجليز) يعِدُهم بالحرية والمستقبل المشرق في حال قيامهم بثورة ضد العثمانيين. ربما لم يكونوا يصدّقون بعض الصرخات التي تتردد على الهامش محذّرة من الخيانة، ولم يتخيّلوا أصلا أن خلافةً عمرها ألف وثلاثمئة سنة ستنهار لأنهم لم يصدّقوا.[١]

ربما لم يتخيلوا أيضا أن جيلهم هو الذي سيشهد نجاح محاولات بني إسرائيل المتواصلة منذ ثلاثة آلاف عام لاحتلال فلسطين، ولم يصدّقوا من كان يحذّرهم من ضياع ثالث الحرمين.

أتخيل أيضا أن الكثير من آبائنا لم يكونوا ليصدّقوا أن جمال عبد الناصر كان يخدّرهم بأحلام الوحدة وفقاعات النهضة، وأن حافظ الأسد "بطل التّشرينين" كان قد قبض ثمن الجولان وتركهم يستشهدون فرادى على جنبي الطريق، وأن أنور السادات كان سيطير بنفسه إلى تل أبيب ليصافح العدو.

---

(١) كانت ذريعة الكثير من المنخرطين في "الثورة العربية الكبرى" هي إعادة الخلافة إلى العرب بعد انتزاعها من يد الأتراك، لا سيما أن المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني كانت مليئة بالمظالم، فضلا عن سيطرة الماسون والقوميين العنصريين على مقاليد السلطة.

وعندما فتحنا أعيننا على عالم آخر، يختلف تماما عما تعلمناه في المدارس، لم نصدّق أن ياسر عرفات سيذهب إلى أوسلو وكامب ديفيد، ولم يخطر ببالنا أن محمود عباس سيخلفه في حياته ويصبح شرطيًّا للاحتلال.

لم نصدّق أيضا أن صدام حسين سيحتل الكويت، وأن ثورة الخميني ستعود للحياة من تحت الرماد بالرغم من حرب السنوات السبع العجاف.

لم نصدّق أن الجزائر ستسقط في مستنقع الدم، وأن بلد المليون شهيد سيشهد بداية ظاهرة اللحى المزيفة، وأن العشرية السوداء ستنتهي باتفاق مع أمراء الحرب من دون أي تغيير.

لم نصدّق أن قصص "جهاد الصحابة" في أفغانستان ستنتهي باحتراب داخلي، وأن بعض أبطال قندهار سيصبحون أمراء حرب، وأن بعض أقرانهم في مقديشو سيصبحون قراصنة بحر.

كنا نشكو من إهمال الإعلام الغربي لنا، فكان يتجاهلنا وكأننا غير موجودين على خارطة الكوكب. وفجأة انهار برجان في نيويورك، ولم نعد نصدّق أننا أصبحنا في بؤرة اهتمام العالم، حتى إذا عطس أحدنا في مطار دولي احتشدت قوات الأمن لتتحقق من هويته وحسن نيّته.

عندما حشد جورج بوش الابن قواته على ضفاف الخليج، تطوع المحلّلون لطمأنتنا، فلم يصدق الكثيرون أن المجتمع الدولي الذي نضجت قوانينه ومبادئه سيحتل بلدا منهكا ومحاصرا ومنزوع السلاح. وقبل أن نتعافى من صدمة الغزو، لم نصدّق أن بغداد الرشيد قد سقطت بالفعل، واضطررنا للانتظار بضع سنين لنصدّق أن أكثر شعوبنا تسامحًا قد انغمس في مستنقع دم طائفي لا ينتهي.

لم نصدّق أن عدوانًا إسرائيليًا سيتجدد على غزة كل سنتين، ولم نتخيل أيضا أن عدوانًا خاطفًا سيدمّر أحياء من بيروت الجميلة، باريسنا المدلّلة، التي لم نكد نصدّق بعد أنها تعافت من حرب أهلية طاحنة.

لم يخطر على بالنا أن ثورة ما ستحدث، ولم نصدّق أن أحدًا سيصرخ "بن علي هرب"، وعندما هرب لم نصدّق أن حسني مبارك سيتنحّى، وأن مرشحًا إسلاميًا سيحكُم، وأن انقلابًا سيُنهي كل شيء في عصرنا الموسوم بربيع فيسبوك وتويتر.

لم نصدّق أن معمر القذافي سيُقتل على أيدينا، وعندما أسكرتْنا نشوة النصر لم نصدّق أن أبطالا مثلنا سيقتتِلون فيما بينهم.

لم نصدّق أيضا أن علي عبد الله صالح سيتنحى باتفاق سياسي يحقن الدماء، وعندما أخذت الديمقراطية بعقولنا لم نصدّق أن صالح المعزول سيعود على ظهور عملاء إيران بحرب إقليمية.[1]

لم نصدّق أن شعبًا مقموعًا في "سورية الأسد" قادر على التمرّد، وعندما فعلها لم نصدّق أن المظاهرات العابرة ستتواصل، وعندما تواصلت وتوسعت لم نصدّق أن "حُماة الديار"[2] سيفتحون النار على صدورنا العارية، وعندما فتحوا صدورنا ورؤوسنا بالرصاص لم نصدّق أن الجيش سينزل إلى الشوارع بالدبابات والمدرعات، وعندما طحَن عظامنا بمجنزراته لم نتخيل أبدًا أن طائراته ستدك أسقف منازلنا على من بقي حيًّا.

---

(١) بعد تنحي الرئيس علي عبد الله صالح، عاد إلى الواجهة متحالفا مع أعداء الأمس (جماعة الحوثي) وانخرط في المعارك ضد الجيش نفسه.

(٢) اللقب الذي يطلقه النظام السوري على الجيش.

وحتى بعد هذا كله، لم نصدّق أن مدنًا صمدت سبعة آلاف عام ستُدمر خلال غفوة من عمرنا القصير بنيران جيشنا، وظللنا نحاجج طويلا بأن العالم المتحضر لن يترك طاغية مجنونًا يقتلنا بالمجان بينما نبثّ على مدار الساعة مشاهد الجريمة الموثقة بكاميرات هواتفنا.

استبعدنا كثيرًا أن تستمر المجزرة المعلنة ضد مدن مأهولة بالأطفال شهورًا معدودة، وظللنا نحصي عدد مرات استخدام الفيتو بأرقام قياسية، لتطول المجزرة سنينًا بلا نهاية منظورة.

وعندما قررنا الدفاع عن أنفسنا، لم نصدّق أن الفيتو سيكون ضد منحنا السلاح أيضًا. وعندما أقسمنا ليلا ونهارا على وطنيّة مطالبنا لم نتخيل أن تنبُت القاعدة من تحت أقدامنا، وأن تسحب البساط وتُزحلقنا.

فوجئنا بالهراء المتكرر عن انتقال مليشيا "دولة العراق الإسلامية" منتهية الصلاحية إلى سورية، وكتب بعضنا "لماذا تضيعون وقتكم في الجدل حولها؟".

لم نصدّق أنها ستصبح "دولة"، وأن زعيمها سيعلن الخلافة على الأمة كلها، وأن قتالنا سيصبح ضد الخوارج، وأن ثورتنا ستصبح إرهابًا دوليًا، وأن الطاغية "الفاقد للشرعية"[1] سيصبح حليفًا للمجتمع الدولي، وأن البرعم الصغير الذي سمّي "داعش" سيتحول إلى بعبع العالم الأول، وستحتل أخباره صدارة نشرات الكوكب، وستُنسب إليه عمليات وراء البحار، وسيتشكل لمحاربته أكبر تحالف دولي منذ الحرب العالمية الثانية.

---

(١) كان زعماء الدول الكبرى، وعلى رأسهم باراك أوباما، يعلنون صراحةً بأن بشار الأسد فقد شرعيته ولم يعد رئيسًا معترفًا به.

لم نصدّق أننا سنأكل لحم الحمير جوعًا، وأننا سنموت غرقًا وحرقًا وحصارًا ودفنًا تحت أنقاض بيوتنا. لم نصدّق أن نفطنا سيصبح أرخص من الماء. لم نصدّق أننا سنذرف الدموع على هلاك شيمون بيريز.

لم نصدّق أننا سنقاتل "الإرهاب" بالنيابة عمن كان يومًا ما عدوّنا. لم نصدّق أننا سنحذف القرآن والسيرة من مناهج أطفالنا. لم نصدّق أن العربية ستصبح تراثًا لا يفهمه صغارنا. لم نصدّق أن ذاكرتنا ستمحى أمام أعيننا كما يمحى وجودنا من أرضنا.

يقال إن العاقل هو من يتّعظ بغيره، والأحمق هو الذي يفضّل سياسة التجربة والخطأ ويعيد اختراع العجلة، لأنه ببساطة لا يصدّق حتى يجرب.

كنّا نسخَر من جيل النكسة، متباهين بانفتاحنا على عصر العولمة، ولم نصدّق أن أبناءنا سيسْخرون من عدم تصديقنا حتى نجرّب، بل حتى نصبح موضع التجربة نفسها.

لم يعد يهمّني كثيرًا ما سيقوله أبناؤنا عنّا، المهم أن التاريخ سيقدّم لهم درسًا مهمًّا، وأرجو فقط أن يصدّقوه، فما يحدث في جيلنا أقربُ إلى الخيال من الواقع.

* * * *

بعد ضرب سوريا.. هل تمهد القمة العربية لبقاء الأسد؟

الجزيرة نت- ١٤ أبريل ٢٠١٨

قبل يوم من انعقاد القمة العربية في السعودية، نفذت واشنطن وعدها بقصف مواقع للنظام السوري كإجراء عقابي على استخدامه السلاح الكيميائي مجددًا، فتباينت المواقف العربية، مع إظهارها ميلًا جديدًا للتقارب مع النظام، فهل تشكل الضربة بداية لكسر عزلته تحقيقًا لمقولة "رب ضارة نافعة"؟

ففي دول الخليج العربي، مالت معظم المواقف إلى تأييد الضربة، حيث أعلنت السعودية تأييدها "الكامل" وحمّلت النظام السوري المسؤولية عنها، كما أعلنت الخارجية القطرية تأييدها، ثم أعربت الخارجية البحرينية في بيان عن "تأييدها الكامل" أيضا.

أما الكويت فاكتفت بالقول -على لسان مسؤول في وزارة الخارجية- إنها تتابع "باهتمام وقلق بالغين التطورات"، ملقية باللائمة على تعطيل جهود المجتمع الدولي للوصول إلى حل سياسي.

وبطريقة مماثلة حاول الأردن اتخاذ موقف محايد، فمع تأكيد وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي رفض بلاده استخدام السلاح الكيميائي ومطالبته بإجراء

تحقيق دولي طالب الناطق باسم الحكومة محمد المومني بإيجاد حل سياسي للأزمة السورية.

أما مصر فأعربت عن "قلقها البالغ من التصعيد العسكري الراهن"، وأكدت في الوقت نفسه رفضها استخدام أي أسلحة محرمة دوليا في سوريا دون اتهام لأي طرف.

مواقف متفاوتة

في الأثناء، اتخذت دول أخرى مواقف تتفاوت بين الأسف والرفض، فأعربت الجزائر على لسان رئيس الوزراء أحمد أويحيى عن أسفها، وقالت إنه كان يتوجب انتظار نتائج التحقيق في الهجوم الكيميائي على مدينة دوما الأسبوع الماضي، كما أعربت الخارجية المغربية عن أسفها، معتبرة أن الضربات الجوية تعقد الحل السياسي.

أما الرئيس اللبناني ميشال عون فأعرب عن رفضه استهداف أي دولة عربية، معتبرا أن الضربات لا تساهم في حل الأزمة السورية بل تزيد تورط الدول الكبرى فيها.

وبوضوح أكبر، نددت الخارجية العراقية بالضربات ووصفتها بأنها "تطور خطير"، معتبرة أنها قد تمنح الإرهاب "فرصة للتمدد" في المنطقة، داعية القادة العرب "لاتخاذ موقف واضح" تجاه هذه التطورات خلال القمة العربية غدا.

وفي السياق نفسه، نددت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بالضربات، ووصفتها في بيان بأنها "عدوان سافر على الأمة يهدف إلى استباحة أراضيها وتدمير مقدراتها حفاظا على وجود الكيان الإسرائيلي."

وعلى الصعيد الشعبي، لم تُسجّل مواقف بارزة، لكن أنصار النظام السوري تظاهروا في عدة مدن سوريّة، وكذلك في الضفة الغربية، مع دعوات للتظاهر بالعراق، كما خرجت مظاهرات ضد الضربة في لندن وأثينا وفيينا، حيث بدا النظام في موقف الضحية.

ضربة الشعيرات

أعادت هذه الضربات إلى الأذهان أول ضربة أمر بها الرئيس الأميركي دونالد ترمب ضد النظام، والتي سبقت الضربة الأخيرة بسنة وسبعة أيام، عندما قصف الجيش الأميركي مطار الشعيرات في ريف حمص بـ٥٩ صاروخ توماهوك بعد أنباء عن قصف النظام بلدة خان شيخون في إدلب بغاز السارين.

وبدت مواقف الدول العربية آنذاك أكثر تأييدًا للضربة من اليوم، حيث أيدت معظم الدول الخليجية قصف الشعيرات، بما فيها الكويت التي مالت للحياد اليوم، كما أيدها الأردن الذي لم يتخذ نفس الموقف اليوم أيضا، وألمح رئيس الحكومة اللبنانية سعد الحريري عن تأييده الضمني آنذاك رغم رفض عون الضربة الأخيرة، في حين كرّرت مصر إعرابها عن "قلقها البالغ" كما فعلت سابقا.

وإزاء هذا التباين العربي يبدو أن لقاءات القمة العربية التي تستضيفها السعودية الأحد ستجد المزيد من العقبات في صياغة موقف عربي واضح، ولا سيما أن جدول الأعمال يتضمن ملفات أخرى حساسة، وأهمها مستقبل القدس قبل شهر من نقل السفارة الأميركية إليها، والوضع المتأزم في اليمن.

وبينما تسعى الدولة المستضيفة إلى التعبئة ضد إيران، بحسب ما يرى محللون، قد يؤدي الخلاف بشأن الأزمة السورية إلى خلاف مشابه بشأن ملف اليمن أيضا، لارتباط الوضع في البلدين بتدخل إيران فيهما.

"الأسد باق"

ولا بد من الإشارة إلى أن موقف السعودية تجاه نظام بشار الأسد قد تغيّر ما بين الضربتين، فبعد سبع سنوات من تكرار التصريحات الرسمية بضرورة رحيل الأسد، قال ولي العهد محمد بن سلمان الأسبوع الماضي إن الأسد "لن يرحل في الوقت الحالي"، معتبرا أن الأهم بالنسبة لبلاده هو تقليص نفوذ إيران.

ويقول المحلل في معهد الدراسات الدولية كريم بيطار إن "القوى الإقليمية التي كانت مصممة على إسقاط الأسد -خصوصا السعودية وتركيا- قبلت الآن ببقائه"، مضيفا أن الإيرانيين يدركون بدورهم أنه سيتوجب عليهم التفاوض حول حدود نفوذهم في سوريا.

ويبدو أن بقاء الأسد بات موقفا دوليا يجمع عليه الأعداء والأصدقاء معا، فحتى الحلف الأميركي الفرنسي البريطاني الذي شن هجماته اليوم كان حريصا على توضيح ذلك، حيث قالت رئيسة الحكومة البريطانية تيريزا ماي بوضوح "هدفنا ليس إسقاط النظام."

ويغيب وفد النظام عن قمة الغد تنفيذا لقرار استبعاده المتخذ قبل سبع سنوات لمعاقبته على قمعه المظاهرات، لكن هذه القمة قد تشهد بداية ذوبان الجليد، فالأسد باق كما يصرح البعض، والتعاطف معه بعد ضربة اليوم يتزايد، وجيوب فصائل المعارضة الأخيرة تكاد تختفي من الخريطة.



شتاء لبنان.. موسم سنوي لمعاناة اللاجئين السوريين

الجزيرة نت- ٨ يناير ٢٠١٩

تتجدد في مثل هذا الوقت من كل عام مأساة آلاف اللاجئين السوريين في لبنان، فبالرغم من ظروفهم القاسية التي لا تبشر بأمل قريب ترافقهم طوال العام، تأتي السيول والثلوج لتحوّل فصل الشتاء إلى موسم لعذاب إضافي ما زالوا عاجزين عن تفاديه.

ويتداول ناشطون سوريون منذ أيام صورا لخيام لاجئين في لبنان بعد أن اخترقتها مياه الأمطار والوحل، كما تراكمت الثلوج على مخيمات أخرى، وسط مناشدات يومية لإيجاد حل نهائي.

ويتوزع معظم اللاجئين على عشرات المخيمات في محافظة البقاع، التي تضم بلدة عرسال الجبلية، إضافة إلى قضاء عكار التابع لمحافظة طرابلس شمالا، وتحاذي جميع هذه المناطق الحدود مع سوريا.

عرسال تستغيث

تواصلنا مع الناشط أبو الهدى الحمصي الذي أخبرنا أنه عاش ثلاث سنوات في مخيمات عرسال وجرّب المعاناة بنفسه، مما دفعه منذ ذلك الحين إلى إطلاق

حملة على تويتر تحت وسم #عرسال_تستغيث، وهي الحملة التي أعاد إطلاقها قبل أربعة أيام مع تجدد العاصفة الثلجية.

وأضاف "يجب أن تنتهي هذه المأساة المستمرة منذ أكثر من خمس سنوات، فاللاجئون لا تتوفر لهم فرص عمل، ويعانون في خيامهم من ثلوج في الشتاء وحرارة حارقة في الصيف".

وأوضح الحمصي الذي انتقل مؤخرا إلى شمال سوريا، أن قيمة الإيجار السنوي لإقامة المخيم تبلغ نحو خمسة آلاف دولار، وهي تُقتطع من المعونات التي تقدمها الأمم المتحدة.

وللوقوف على الواقع الميداني، تواصلنا مع أحد اللاجئين في عرسال، فأصر على إخفاء اسمه خشية تعرضه للملاحقة والاعتقال، مشيرا إلى أن حزب الله وأنصاره من مؤيدي النظام السوري يسيطرون على تلك المنطقة القريبة من الحدود مع سوريا.

وأوضح اللاجئ أن عرسال ترتفع عن سطح البحر نحو ١٥٠٠ متر، وطبيعتها جرداء قاحلة، مما يجعل طقسها في الشتاء أشد قسوة من مناطق أخرى.

وناشد اللاجئ في رسالة إلكترونية المنظمات الإغاثية في الدول العربية والإسلامية إغاثتهم، مؤكدًا أن اللاجئين في حاجة عاجلة إلى وقود للتدفئة وأغطية ومواد غذائية وطبية.

محاولات الإغاثة

على الصعيد الرسمي، قال رئيس بلدية عرسال باسل الحجيري -ردًا على استفسارنا- إن واقع المخيمات سيئ نتيجة للعاصفة الثلجية، موضحا أن نحو أربعين خيمة تهدمت أو تضررت جزئيا، مما اضطر ساكنيها للانتقال إلى المخيمات المجاورة أو لدى أقاربهم.

وأقر الحجيري بوجود نقص في مادة المازوت المخصصة للتدفئة، لكنه أكد عدم حدوث وفيات بسبب الأحوال المناخية.

من جهتها، قالت الناطقة باسم مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ليزا أبو خالد -ردًا على رسالتنا- إن العاصفة الثلجية التي تضرب لبنان تسببت في تضرر ٦٦ مخيما على الأقل، موضحة أنه تم نقل حوالي ثلاثمئة شخص من المخيمات إلى مراكز إيواء في المدارس والجوامع.

وأضافت ليزا أن المفوضية بدأت قبل أشهر عدة بتوزيع المساعدات النقدية المخصصة لفصل الشتاء على ١٦٦ ألف عائلة، كما تم توزيع الأغطية على المخيمات، لكن الحاجة الملحة حاليا هي سحب المياه التي غمرت المخيمات.

وأكدت المتحدثة الأممية أن المفوضية فعّلت خطة الاستجابة الطارئة بالتعاون مع البلديات والوزارات المختصة والجمعيات المحلية.

مخيمات عكار

أما في شمالي لبنان، فقال الناشط السوري نادر السيد -في اتصال أجريناه معه-

إنه قرر فتح أبواب مركز حروف التعليمي الذي يقدم خدماته للاجئين في عكار كي يؤوي أكبر عدد ممكن من المتضررين، ريثما يتم إصلاح خيامهم.

وأوضح السيد أن أكثر من ١٩ مخيما في عكار تضررت من الأمطار والفيضانات، وأن حوالي ١٥٠ عائلة باتت بلا مأوى.

وأشار الناشط إلى الجهود التي تبذلها جمعيات أهلية عدة والبلديات والمفوضية الأممية، إلا أنه يرى أنها لا تغطي الحاجة الفعلية لإصلاح الأضرار.

وفي اتصال آخر، قال الأمين العام للصليب الأحمر اللبناني جورج كتانة إن السيول غمرت خمسة مخيمات في عكار، مضيفا أن فرق الصليب الأحمر أخلت نحو سبعمئة شخص إلى مخيمات أخرى.

وأشار كتانة إلى أنه تم توزيع الأغطية على المتضررين بالتعاون مع جمعيات محلية ومفوضية شؤون اللاجئين، مؤكدا جاهزيتهم للتدخل في عمليات الإنقاذ والإغاثة بكل المناطق.

❊ ❊ ❊ ❊




الأسد على خطى السادات.. قاطعه العرب عقدًا ثم سامحوه

الجزيرة نت- ١٥ يناير ٢٠١٩

عندما واجه النظام السوري الاحتجاجات السلمية في ٢٠١١ بالرصاص والتعذيب، لم تجد الدول العربية بدًّا من مقاطعته، لا سيما مع تواصل التنديد الغربي بوحشية النظام، حتى اضطرت الحكومات المتحفظة كالعراق والجزائر ولبنان إلى "النأي بالنفس" كحدّ أدنى، لكن رجحان كفة النظام عسكريًا على أنقاض البلاد دفع المقاطعين -كما يبدو مؤخرًا- لإعادة حساباتهم.

تذكّرنا هذه المواقف بمقاطعة العرب لمصر عام ١٩٧٨، عندما قرر الرئيس أنور السادات اتخاذ مساره الخاص والتطبيع المفاجئ مع إسرائيل، فتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية، ونُقل مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس، الأمر الذي تلقاه السادات بتوجيه البوصلة كلها نحو واشنطن.

وخلال السنوات العشر التالية، لم تحظ محاولات الوحدة العربية المستعيدة لتراث جمال عبد الناصر سوى بالفشل، بينما لم يحِد السادات -وحسني مبارك من بعده- عن موقفهما، حتى تنازلَ العربُ أخيرا عن المقاطعة، بل لحقوا بالسادات نفسه في مسار التطبيع مع إسرائيل.

النظام السوري

في ١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١١ علقت الجامعة العربية عضوية سوريا، وذلك بعد رفض النظام المتكرر لكل مبادرات الحوار السياسي وسحب الجيش من المدن والإفراج عن المعتقلين، وكانت ردّة فعل النظام الفوريّة هي اقتحام سفارات وقنصليات قطر والسعودية وتركيا وفرنسا.

اضطر النظام بعد مُهَل عدّة للموافقة على دخول بعثة مراقبي الجامعة العربية لمراقبة الوضع الإنساني، وفي نهاية العام وصلت طلائع المراقبين، ولم يرتدع النظام عن استهداف المحتجّين في حضور البعثة، بل تعرّضت سيارات المراقبين أنفسهم للرصاص، فسحبَت الجامعة العربية في مطلع ٢٠١٢ مراقبيها بسبب "استمرار القتل في المدن".

وكما يمّمَ السادات وجهه شطر واشنطن، انزاح بشار الأسد بالكامل نحو طهران وموسكو، مولّيا ظهره لشعارات القومية العربية التي أقام عليها والده من قبل كل أيديولوجية نظامه.

أُغلقت معظم السفارات العربية في دمشق، ورفعَ النظام وتيرة القمع العسكري وتدمير القرى والمدن، وعندما صاح الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي في مؤتمر حاشد "بإستاد القاهرة" في يونيو/ حزيران ٢٠١٣: "لبيك يا سوريا"، لم يكن يدرك أن جيشه سينقلب عليه بعدها ببضعة أيام فقط.

بدأتْ بذلك سلسلة الثورات المضادة، وتبددتْ أحلام الربيع العربي بالحرية والكرامة. ومع أن الثوار السوريين واصلوا معركتهم وانتزعوا معظم مساحة البلاد من

النظـام، لـم تكـن روسـيا لتتنـازل حتـى لـو كلفهـا الأمـر انخراطًـا مباشـرًا في الحـرب، فاقتحمت الميدان بكل ثقلها في الثلاثين مـن سـبتمبر/ أيلول ٢٠١٥، وقلبـت الميـزان خلال سنة لصالح النظام.

وفي ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦، أعلن النظام استعادته مدينة حلب بالكامل، وأطلق بإشراف روسي سلسلة تهجير المعارضين والمدنيين من عشرات المناطق بأنحاء البلاد، ورفع علمه على جبال من الركام في احتفالات لا تغيب عنها أمارات التشفّي والانتقام.

ومع أن مسؤولي الحكومات العربية صرَّحوا مرارًا باستحالة إعادة علاقاتهم مع نظام دمَّر بلده وقتل شعبه، إلا أن الزمن كفيل -كما يبدو- بالتراجع عن كثير من المبادئ والتصريحات، كما حدث بالضبط في عصر السادات.

تطبيع وتردد

تميل بعض الأنظمة العربية للمواربة بشأن التطبيع مع الأسد، في حين تحرِق أخرى المراحل فجأة ومن دون مقدمات، ففي مارس/ آذار ٢٠١٨ استقبلت مسقط وزير خارجية النظام وليد المعلم لبحث "التعاون القائم بين البلدين"، وكأن شيئا لم يكن، وفي أواخر السنة نفسها قام الرئيس السوداني عمر البشير بالقفزة الكبرى إلى دمشق في زيارة غير معلنة، مُطلقًا سيلًا من التكهنات المحيِّرة حول دوافع وتداعيات هذه الخطوة.

ومع أن هناك من نفى أن تكون خطوة البشير مقدِّمة لتسهيل مهمة التطبيع على أنظمة أخرى، فإن بعض المواقف كفيلة بإثارة الشكوك؛ فسرعان ما فتحت الإمارات

سفارتها في دمشق، مكتفية بتبرير الخطوة بمحاولة التصدي "للتغوّل الإقليمي الإيراني والتركي"، ثم لحقت بها البحرين على الفور.

ولـم تمر سـوى أيـام قبـل أن تـتردد أنبـاء عـن احتمـال دعـوة النظـام إلـى القمـة الثلاثين للجامعة العربية التي تحتضنها تونس في مارس/ آذار المقبل، الأمر الـذي لـم تنفه الخارجية التونسية، مكتفية برمي الكرة في ملعب الجامعة.

وبـالأمس، افتتحـت السـلطة الفلسـطينية مكتبـا لهيئـة الإذاعـة والتلفزيـون الفلسطينية في دمشق، ونقلت وسائل إعلام النظام عن مسؤولي حركة فتح أن الرئيس محمود عباس سيسير على خطا البشير قريبا.

ويبدو أن فرحة النظام ببوادر التطبيع دفعت إعلامه للاحتفال والتبشير المبكـر، فردد أنباءً عن زيارة مباغتة لرئيسي الصومال وموريتانيا إلى دمشق، وعن تلقي رسالة مـن رئيـس الـوزراء العراقـي عـادل عبـد المهـدي، وحتـى عـن غـزَل سـعودي بالنظـام المزهوّ بالنصر، في حين صرحت وزارة الخارجية القطرية باستحالة إقدامها على هذه الخطوة لقطع الطريق على الإشاعات.

في عام ١٩٧٨، كافأ الغرب السادات بجائزة نوبـل للسـلام، وبعـد نحـو عـامين اغتيل في ظروف ما زالت محلّ جدل، ثم رُفعـت عـن نظامـه بعـد بضـع سـنين مقاطعـة العرب. ومع أن الأسد لن يحلم بجائزة نوبل، فحريّ به أن يطمئن إلى عـدم محاكمتـه علـى قتـل وتعـذيب وتشـريد الملايين، وأن يفخـر بتراجـع العـرب عـن المقاطعـة في حياته، وحتى قبل أن يسقط عن عرشه.



جواز السفر.. سلاح النظام لإذلال السوريين وابتزازهم

الجزيرة نت- ٢٨ يناير ٢٠١٩

علاوة على أشكال المعاناة المتعددة التي يجرّبها السوريون كل يوم، تجمع معاناةُ إصدار جوازات السفر بين الإذلال والابتزاز، فضلًا عن إكراه المعارضين على تمويل النظام الذي يحاربونه، كما تبلغ المفارقة أوجها عندما يصبح رابع أسوأ جواز سفر هو الأعلى كلفة ماديًا في العالم كله.

أصدرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان تقريرا اليوم الاثنين تحت عنوان "النظام السوري يستخدم إصدار جوازات السفر كتمويل للحرب وإذلال للمعارضين"، وتناولت فيه مراحل تطور استخدام النظام لهذا "السلاح" ضد معارضيه، بل ضد شعبه كله، مستندة إلى شهادات العديد من المواطنين.

ومع بداية الثورة السورية عام ٢٠١١، اتَّبع النظام سياسة مزدوجة، ففرض على كل من يرغب في الحصول على جواز سفر من داخل البلاد وخارجها الحصول على موافقة من الأفرع الأمنية، مما يعني حرمان كل معارض أو ناشط من الجواز، وفي الوقت نفسه أتاح النظام لشبكات مرتبطة بمسؤولين فاسدين إصدار الجوازات بطرق ملتوية مقابل مبالغ مالية كبيرة قد تبلغ خمسة آلاف دولار.

لكن مع تغوّل شبكات إصدار الجوازات وحصولها على ملايين الدولارات عبر هذه التجارة، فضلا عن حاجة النظام إلى الأموال في ظل الحرب، أصدر النظام مرسوما في منتصف عام ٢٠١٥ يسمح بإصدار جوازات السفر لجميع السوريين في الداخل والخارج، من دون تمييز بين معارض وغيره، مع إجبار المغتربين على دفع ٤٠٠ دولار لإصدار أي جواز، أو نصف المبلغ عند تجديد أو تمديد الجواز لمدة سنتين فقط.

وفي ٢٠١٧ أتاح النظام لمن يرغب في الحصول على جواز سفر مستعجل خلال ثلاثة أيام أن يدفع مبلغ ٨٠٠ دولار، وهو الخيار الذي يلجأ إليه الكثير من المغتربين الذين يضطرون للسفر إلى دول محددة في العالم ما زالت تستضيف سفارات وقنصليات النظام، لأن خيار الانتظار لمدة أطول قد تصل إلى شهرين، ما يكلّفهم مبالغ طائلة.

لذا أصبح إنفاق ٨٠٠ دولار (وهي أعلى رسوم لإصدار جواز في العالم كله)، إلى جانب رسوم السفر إلى الدول المستضيفة، بمثابة عقوبة جماعية للسوريين، مقابل الحصول على رابع أسوأ جواز سفر عالميًا وفق تصنيف موقع "باسبورت إندكس" (passport index).

ابتزاز ومعاناة

علاوة على كل ما سبق، يستخدم النظام السوري ملايين الدولارات التي يجنيها من مواطنيه لتمويل حربه على أولئك المواطنين أنفسهم، فضلا عن إذلال المعارضين في السفارات والقنصليات بالخارج.

وعلى سبيل المثال، يُجبَر السوري المقيم في تركيا على دفع ما بين ٢٥٠ و٥٠٠ دولار مقابل تحديد موعد فقط لدخول قنصلية بلاده في إسطنبول، وعندما يبدأ معاملة إصدار الجواز أو تجديده قد يفاجأ بأشكال متعددة من الإذلال والابتزاز، لا سيما إذا كان اسمه على قائمة المطلوبين، فقد يمزِّق موظف القنصلية جواز سفره ويرفض منحه بديلًا عنه، أو لا يمنحه إيصالًا بالأموال المدفوعة، أو تأكيدًا بأنه سلَّم جوازه المنتهية صلاحيته، ليدخل صاحب الجواز في متاهة أخرى من الابتزاز.

ووفقًا للتقرير، يعاني اللاجئون السوريون في لبنان والأردن ظروفا مشابهة، كما يضطر السوريون المقيمون في السعودية إلى السفر للبحرين، في حين يسافر المقيمون في قطر إلى عُمان. ويتضمن التقرير تفاصيل من الابتزاز الذي تعرض له العديد ممن تم التواصل معهم.

تمويل الحرب

وقالت الشبكة السورية لحقوق الإنسان في تقريرها إن النظام يوظّف العائدات المادية التي يحصل عليها في دفع رواتب المليشيات الموالية له، وشراء وصيانة الذخائر والأسلحة، والاستمرار في ارتكاب جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، مشيرة إلى أن فرض النظام أعلى ثمن في العالم لجواز السفر لم يلق أي إدانة دولية تُذكر.

وأضاف التقرير أن أجهزة الأمن ما زالت تشترط حصول المواطن على موافقة أمنية، وبما أن قوائم المطلوبين تشمل ملايين السوريين، فضلا عن المطالَبين

بالالتحاق بالخدمة العسكرية، فهذا يعني تعريض هؤلاء للابتزاز الإضافي، كما أنهم لن يحصلوا في النهاية إلا على جوازات سفر بصلاحية سنتين فقط.

وحسب إحصاءات الشبكة السورية، اعتقل النظام ما لا يقل عن ١٢٤٩ شخصا، بينهم ثمانية أطفال و١٣٨ سيدة، أثناء قيامهم بإجراءات إصدار الجوازات، وما زال الكثير منهم في عداد المفقودين.

وقال تقرير الشبكة إن نهب النظام أموال مواطنيه وإذلالهم مقابل حقهم الطبيعي في امتلاك جوازات سفر يُعتبر انتهاكا لحقوق الإنسان الأساسية، فلا تكاد توجد دولة في العصر الحديث "ترتكب هذا النمط من الانتهاكات الفاضحة"، إذ لا تزيد رسوم الجوازات في بقية دول العالم عن ٢٠ دولارا، مع أن المواطن السوري يعاني أصلا من مشكلات اقتصادية خانقة.

كما أوصى التقرير المجتمع الدولي بالضغط على النظام وحلفائه من أجل تخفيض رسوم الجوازات، معتبرا أن إعادة العلاقات السياسية والاقتصادية مع النظام بمثابة دعم مباشر "لنظام دكتاتوري قمعي يستغل أبسط حقوق مواطنيه".

❋ ❋ ❋ ❋



مواقف زعماء العالم من الأسد..
من العداء الصريح إلى التطبيع الخجول

الجزيرة نت- ١٦ مارس ٢٠١٩

مع حلول الذكرى الثامنة للثورة السورية، يحتفل النظام وحلفاؤه الروس والإيرانيون باستعادة نحو ٩٠٪ من مساحة البلاد، بعد أن كان على وشك خسارة كل شيء، في وقت تبدو فيه مواقف الدول الأخرى منقسمة بين مندفعة نحو إعادة الشرعية للنظام، وبين مترددة، ورافضة بالمطلق.

فبعد أربعة أشهر على انطلاق الثورة، قال الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما إن رئيس النظام السوري بشار الأسد "يفقد شرعيته في نظر شعبه"، الأمر الذي اعتبره مراقبون آنذاك إعلانا واضحا من أقوى رئيس في العالم لمصير الأسد المحتوم، وهو ما دفع المعارضة لمواصلة نضالها على هذا الأساس.

وبعدما تدخلت روسيا مباشرة بثقلها العسكري لإنقاذ النظام من الانهيار في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٥، عاد أوباما للتصريح في نهاية العام نفسه بأن الأسد فقد شرعيته وأن عليه أن يرحل عن السلطة. لكن المعارضة كانت حينئذ قد فقدت الثقة في التعويل على تلك التصريحات.

ومع وصول دونالد ترامب للبيت الأبيض، أبدى موقفا أكثر صراحة، ولكن في الاتجاه المعاكس، إذ أعلن في فبراير/ شباط ٢٠١٧ أن هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية

هي الهدف، وطلب من وزارة الدفاع وضع خطة لهزيمة التنظيم في غضون شهر، الأمر الذي استقبله الأسد بالترحيب الشديد، في حين رأى مراقبون أن بوصلة المجتمع الدولي قد انحرفت من إسقاط الأسد إلى مواجهة "الإرهاب" فقط، التي قد تشمل فصائل أخرى من المعارضة.

وفي الوقت الحالي، لا تبدي واشنطن موقفا واضحا، فبعد إعلان ترامب اتفاقه مع نظيره التركي رجب طيب أردوغان على سحب القوات الأميركية من سوريا، ما زالت المفاوضات جارية لتحديد صيغة الانسحاب مع الإبقاء على وجود عسكري واستخباراتي بالحد الأدنى، وما يزال الأسد يعوِّل على حليفه الروسي لإعادة تأهيله وتقديمه مجددًا للمجتمع الدولي بصفته منتصرًا على "الإرهاب"، وكأنّ شيئًا من المجازر التي ارتكبها لم يكن.

أوروبا مشتتة

احتضنت بروكسل مؤخرا المؤتمر الدولي الثالث بشأن سوريا، بمشاركة ممثلين عن ٥٥ بلدا، وذلك بدعوة من الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، وبهدف جمع التبرعات لصالح اللاجئين والدول التي تؤويهم، مع الإعلان الصريح أن الأموال ستذهب فقط إلى المساعدات الإنسانية وليس إلى إعادة إعمار البلاد.

وتسرّبت من أروقة المؤتمر تصريحات بتشتت مواقف الدول الغربية من مصير الأسد، حيث قال بعض المسؤولين إن واشنطن تتهرب من تقديم التبرعات وموسكو لا تملك المال. ومع أن الاتحاد الأوروبي يصرّ على ربط إعادة الإعمار بعملية سلام

تقودها الأمم المتحدة ويمدّد عقوباته الاقتصادية على النظام، إلا أن المواقف الفردية لأعضائه ليست موحدة.

فمن جهة، تدافع ألمانيا وفرنسا وهولندا بشدة عن سياسة حجب أموال إعادة الإعمار حتى تبدأ مرحلة انتقالية من دون الأسد، بينما تفضل إيطاليا والنمسا والمجر -وهي دول تحكمها أحزاب يمينية- انتقاد سياسة الهجرة، والتقرب من روسيا، والحوار مع الأسد من أجل إعادة اللاجئين إلى سوريا.

وقال دبلوماسيون إن المفوضية الأوروبية بدأت في تخصيص بعض الأموال للمساعدة في عودة اللاجئين، بينما تستخدم خدمةُ العمل الأوروبي الخارجي صور الأقمار الصناعية لدراسة المناطق المحتملة لإعادة الإعمار.

وفي مقال نشرته مجلة فورين بوليسي الأميركية مؤخرا، توقعت الكاتبة أنشال فوهرا أن تتقرب إيطاليا من النظام بذريعة إعادة اللاجئين، ثم رفع العقوبات، وصولًا إلى تقديم عروض لمشاريع إعادة الإعمار، مشيرة إلى أن بولندا بادرت في أغسطس/ آب ٢٠١٨ بإرسال نائب وزير خارجيتها إلى دمشق للهدف نفسه.

ونقلت الكاتبة عن مصادر دبلوماسية أن أكثر الدول الأوروبية تشددًا تجاه الأسد، مثل ألمانيا وفرنسا، تتوقع أن يفرج الأسد عن آلاف المعتقلين، ويمنح عفوا لمن يعتبرهم "خائنين" للوطن، ويسمح للأمم المتحدة بمراقبة وضعية العائدين، مما قد يمهّد تدريجيًا لإعادة العلاقات معه.

تطبيع عربي

وكما هي حال المجتمع الدولي، تبدو الدول العربية أكثر تشتتا تجاه الأسد. فمنذ قرار طرد سوريا من جامعة الدول العربية في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١١ بسبب القمع الوحشي للمتظاهرين، قرر العراق ولبنان اتخاذ "النأي بالنفس" موقفا محايدا، بينما اكتفت دول أخرى كالإمارات بالانضمام للمواقف الرسمية في مقاطعة الأسد بالتوازي مع تعاون وعلاقات غير معلنة.

وعندما رجَحت الكفة عسكريا لصالح النظام، بدأت المواقف المعلنة بالتلميح لضرورة مواكبة الواقع المستجد، فقام وزير خارجية النظام وليد المعلم بزيارة إلى سلطنة عمان في مارس/ آذار ٢٠١٨، واستقبله أسعد بن طارق آل سعيد نائب رئيس الوزراء العماني قائلا إن "سوريا على حق والحق ينتصر دائما".

وفي أغسطس/ آب ٢٠١٥، كشف القيادي في حزب الله اللبناني نواف الموسوي أن ولي العهد السعودي محمد بن سلمان عرض على الأسد صفقة تتضمن البقاء رئيسًا مدى الحياة من دون إصلاحات، مع التعهد بإعادة إعمار سوريا، مقابل قطع العلاقات مع حزب الله وإيران، الأمر الذي رفضه الأسد، بحسب الموسوي. وكان ولي العهد قد قال قبل ذلك بأربعة أشهر لمجلة تايم "أعتقد أن بشار باق في الوقت الحالي".

وفي ١٦ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٨، زار الرئيس السوداني عمر البشير سوريا بشكل مفاجئ والتقى الأسد، وقال موقع "إنتلجينس أونلاين" إن الزيارة رُتِّبت مع روسيا في ظل سعي البشير لإقامة شراكات اقتصادية مع موسكو، وتوقع الموقع أن

ترتب روسيا زيارات مماثلة لقادة عرب تشمل الرئيس اللبناني ميشال عون ونظيره المصري عبد الفتاح السيسي.

وبعد هذه الزيارة تسارعت وتيرة التطبيع العربي مع الأسد، فأعادت الإمارات فتح سفارتها في دمشق، مبررة ذلك بما أسمته "درء مخاطر التدخلات الإقليمية في الشأن العربي السوري"، في إشارة إلى إيران. وتوقَّعت مصادر روسية أن تكرر هذه الخطوة دول عربية عدة.

وفي القمة العربية التنموية الاجتماعية والاقتصادية التي استضافتها بيروت في يناير/ كانون الأول الماضي، دافع وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل عن إعادة النظام السوري إلى "الحضن" العربي، الأمر الذي أحدث انقساما لم يُنهه إعلان الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبو الغيط أن استعادة النظام السوري مقعده في الجامعة رهن التوافق العربي على هذه المسألة.

وقبل ذلك بنحو شهر، دعا البرلمان العربي صراحةً إلى استعادة سوريا مقعدها، ووصف أبو الغيط نفسُه قرار تعليق عضوية سوريا بأنه كان "متسرعًا".

ووسط هذا الغموض والتردد، تصرّ دول قليلة أخرى على موقفها الرافض لبقاء الأسد، حيث أكد وزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني على هامش قمة بيروت أن موقف قطر من النظام السوري لم يتغير.

* * * *

السياحة في سوريا.. خطر محدق ودعاية سياسية

الجزيرة نت- ٢٧ يوليو ٢٠١٩



صورة للسائح الأميركي سام غودوين نشرتها عائلته في مواقع التواصل الاجتماعي

أفرج النظام السوري عن سائح أميركي قرر خوض المغامرة بدخول سوريا، وذلك بعد وساطة لبنانية رسمية، مما يعيد إلى الذهن قائمة بالسيّاح المغامرين الذين تجاهلوا التحذيرات من دخول إحدى أكثر الدول خطرًا في العالم، والذين ما زال الكثير منهم في عداد المفقودين.

وقال والدا السائح الأميركي سام غودوين (٣٠ عاما) لوسائل إعلام أميركية إن "سام بصحة جيدة وهو مع عائلته"، كما وجّها الشكر للمدير العام للأمن العام اللبناني عباس إبراهيم الذي أتاحت وساطته الإفراج عن نجلهم بعد فقده في مايو/ أيار، قرب القامشلي ذات الغالبية الكردية بشمال شرق سوريا.

وكان غودوين يسعى لزيارة كل دول العالم، وهو هدف يحاول تحقيقه قلة من المغامرين بسبب الاضطرابات التي تعصف ببعض الدول، وعندما قرر زيارة سوريا لم يمهله النظام السوري سوى بضعة أيام ليعتقله.

وفي مطلع العام الجاري، كشفت الحكومة الكندية أن سائحًا كنديًا اعتقل في سوريا بعد دخوله بلدة قريبة من الحدود اللبنانية تخضع لسلطة النظام.

وقالت وزارة الخارجية الكندية آنذاك إنها لا يمكنها أن تفعل الكثير من أجل كريستيان لي باكستر (٤٤ عاما)، حيث سبق للحكومة أن حذرت رعاياها من زيارة سوريا، وليست هناك علاقات دبلوماسية بينها وبين النظام.

سياحة الحرب

وكان السائح الياباني توشيفومي فوجيموتو (٤٥ عاما) قد حقق شهرة حول العالم، عندما تناقل ناشطون على مواقع التواصل الصور التي يبثها عن رحلته السياحية بين جبهات القتال في حلب عام ٢٠١٤.

وكان توشيفومي يعتبر نفسه "سائح حرب" فرّ من روتين الحياة المملّ كسائق شاحنة في اليابان، ليجد الإثارة في مناطق التوتر، حيث سبق له أن انخرط في مظاهرات حمص الأولى نهاية عام ٢٠١١، ثم زار صنعاء في ٢٠١٢، والقاهرة في ٢٠١٣.

واحتفى عناصر الجيش السوري الحرّ (فصائل المعارضة) بضيفهم في حلب آنذاك، فكان يرافقهم مرتديًا ملابس عسكرية حصل عليها من الجيش الياباني، ويركض معهم كلما استهدفتهم رصاصة قنّاص أو قذيفة طائرة، ثم ينشر صوره ومغامراته على مواقع التواصل.

ومع أن توشيفومي نجا من خطر الموت الذي كان يتربص به في كل زاوية من حلب، التي كانت على رأس قائمة أخطر مدن العالم وفقا لمجلة "لايف واير" الأميركية عام ٢٠١٤، لكن سيّاحًا آخرين لم يحالفهم الحظ بالنجاة بعدما قرروا الدخول بطرق شرعية إلى مناطق النظام، حتى بعد انتهاء مظاهر الحرب في الأشهر الأخيرة.

فبعد فتح معبر نصّيب الحدودي بين سوريا والأردن في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، قرر مئات الأردنيين العبور إلى الجارة الشمالية التي تربطهم بها علاقات اجتماعية وعشائرية واقتصادية منذ قرون، فكان ردّ النظام هو اعتقال العشرات.

وفي أبريل/ نيسان الماضي، اضطرت الخارجية الأردنية للخروج عن صمتها إثر اعتصام أهالي المعتقلين الأردنيين في سوريا، وقالت إنها استدعت القائم بأعمال السفارة السورية في عمان أيمن علوش للمطالبة بالإفراج الفوري عن أكثر من ثلاثين أردنيا محتجزين هناك.

دعاية النظام

عانت سوريا طوال ثماني سنوات من إحدى أكثر الحروب وحشية في القرن الحالي، وكان أحد طرفيها هو النظام الحاكم نفسه. ومع ذلك حرص النظام طوال

تلك المدة على إقناع العالم بأن المناطق التي يسيطر عليها، والتي تقلّصت نسبتها في مرحلة سابقة إلى ١٥٪ من مساحة البلاد، كانت تعيش في سلام.

وبما أن سوريا كانت قبل اندلاع الثورة عام ٢٠١١ من أهم الوجهات السياحية في المنطقة، فكان من الضروري للنظام أن يبرز احتفاظه بجاذبيّته السياحية كأحد أوجه البروباغندا (الدعاية) التي يروّجها في الخارج.

وبنظرة سريعة على موقع وزارة السياحة التابعة للنظام، يبدو للزائر أن مسؤولي الوزارة يعيشون في مرحلة ما قبل الحرب، وكأنهم لا يعترفون بأن العشرات من مدن سوريا وقراها مدمّرة بالكامل، وأن الوضع الأمني في المدن الكبرى -التي انتزعها النظام بمساندة الجيش الروسي- هشٌّ للغاية، حيث لا يأمن المغتربون السوريون على أنفسهم إذا قرروا زيارة وطنهم خشية التعرض للخطف من عصابات الشبيحة، فضلا عن الاعتقال من قبل أجهزة الأمن.

مع ذلك، ادعى وزير السياحة رامي مارتيني في مقابلة صحفية مؤخرًا أن مليوني سائح زاروا سوريا العام الماضي، وقال إن وزارته تقدم كل التسهيلات لأي وفد سياحي يتقدم بطلب لزيارة البلاد، معتبرا أن "كل ما يشاع عكس ذلك هو غير صحيح".

ويكشف ناشطون أن السيّاح الذين يتحدث عنهم الوزير ليسوا سوى مجموعات من الحجّاج الشيعة، القادمين من إيران ولبنان على وجه الخصوص، لزيارة المزارات الشيعية في دمشق وأطرافها، وهي عادة دأبوا عليها منذ سنوات قبل اندلاع الثورة.

ترامب يكرر إعلان الانسحاب من سوريا.. تعرف على أهم المواقف الأميركية من الأزمة السورية

الجزيرة نت- ٧ أكتوبر ٢٠١٩

بدأت القوات الأميركية الانسحاب من مناطق في شمال شرق سوريا، بعد اتفاق الرئيس الأميركي دونالد ترامب مع نظيره التركي رجب طيب أردوغان على تأسيس منطقة آمنة، مما يعيد إلى الذهن تراجع ترامب عن الانسحاب، وسلسلة من المواقف الأميركية الغامضة بشأن تدخلها في الحرب السورية.

وفيما يلي نستذكر أهم المواقف الأميركية خلال سنوات الثورة والحرب السورية منذ مارس/ آذار ٢٠١١، والتي تفاوتت بين التأييد المحدود للمعارضة والتنديد والوعيد لنظام بشار الأسد، وبين التدخل لصالح المليشيات الكردية والتقلّب إزاء الموقف من الحليف التركي.

١٣ يوليو/ تموز ٢٠١١: اعتبر الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما أن الأسد "يفقد شرعيته في نظر شعبه"، وذلك بعد هجوم لأنصار الأسد على السفارة الأميركية في دمشق.

٢٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٢: أوباما يحذر الأسد من أن تحريك أو استخدام أسلحة كيميائية أو بيولوجية في الصراع ضد المعارضة سيكون "خطا أحمر". ولكن ذلك لم يمنع نظام الأسد من ارتكاب عدة مجازر بالسلاح الكيميائي ضد المدنيين،

وكان أكبرها يوم ٢١ أغسطس/ آب ٢٠١٣ في غوطة دمشق الشرقية الذي راح ضحيته المئات، واكتفت إدارة أوباما بعده بالقبول بتدمير ترسانة النظام من السلاح الكيميائي، وهو إجراء لم يكتمل بعد، ومن غير أي محاولة لمحاسبة المسؤولين عن أي مجزرة.

٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٢: أوباما يعرب -خلال المناظرة الأخيرة للترشح لولايته الرئاسية الثانية- عن ثقته بأن أيام الأسد باتت معدودة.

٧ أغسطس/ آب ٢٠١٤: أوباما يعلن بدء الضربات الجوية الأميركية ضمن قوات تحالف دولي يضم دولا عربية وغربية ضد تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق. وفي الفترة نفسها بدأت الولايات المتحدة تزويد فئات مختارة من فصائل الجيش السوري الحر بمساعدات غير قاتلة (حصص غذائية وشاحنات صغيرة) لمواجهة تمدد جبهة النصرة وتنظيم الدولة، مع بعض الدعم الاستخباراتي والتدريب في شمال سوريا.

٢ أغسطس/ آب ٢٠١٧: كشفت "نيويورك تايمز" أن وكالة الاستخبارات المركزية في إدارة أوباما أنفقت نصف مليار دولار لخطة تقضي بتدريب ١٥ ألف مقاتل سوري، لكنها لم تنجح إلا في تدريب العشرات، ثم أنهاها ترامب عام ٢٠١٧.

٧ أبريل/ آذار ٢٠١٧: ترامب يأمر بقصف مطار الشعيرات العسكري في محافظة حمص بـ٥٩ صاروخًا من طراز توماهوك، وهو المطار الذي يُعتقد أن النظام نفذ من خلاله هجوما كيميائيا على المدنيين. وجاء القصف بعد أقل من شهرين ونصف من وصول ترامب إلى البيت الأبيض، وهو أول استهداف أميركي مباشر

لقوات النظام السوري، الأمر الذي اعتبره عضوا مجلس الشيوخ جون ماكين وليندسي غراهام دليلا يثبت أن إدارة ترامب تستطيع اتخاذ القرارات المناسبة في سوريا بعكس سلفه أوباما.

١٧ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٨: وزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون يؤكد أن إدارة ترامب تعتزم الإبقاء على وجود عسكري مفتوح في سوريا، ليس فقط لمواجهة القاعدة وتنظيم الدولة، وإنما أيضا للتصدي لنفوذ إيران والإطاحة بالأسد، ولتهيئة ظروف عودة اللاجئين.

١٨ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٨: ترامب يعلن أنه ناقش مع أردوغان انسحاب القوات الأميركية من سوريا خلال شهر، على أن تتولى تركيا مكافحة تنظيم الدولة. وبعد يوم واحد، تقدم وزير الدفاع الأميركي جيمس ماتيس باستقالته من منصبه. وبعد أسبوعين قال مسؤولون في واشنطن إن ترامب تراجع عن قراره، وقرر تمديد خطة الانسحاب.

٢٥ فبراير/ شباط ٢٠١٩: البيت الأبيض يعلن أن الولايات المتحدة ستترك "مجموعة صغيرة لحفظ السلام" مكونة من ٢٠٠ جندي أميركي في سوريا لفترة من الوقت.

أغسطس/ آب ٢٠١٩: تركيا والولايات المتحدة تتفقان على إقامة "مركز عمليات مشتركة" لتنسيق وإدارة إنشاء "منطقة آمنة" شمالي سوريا.

٨ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٩: تسيير أول دورية برية مشتركة بين الجيشين التركي والأميركي في منطقة شرق الفرات السورية، ضمن اتفاقية تشكيل المنطقة الآمنة.

٣٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٩: انتهاء المهلة التي حددتها أنقرة للإنشاء الفعلي لمنطقة آمنة بالشراكة مع واشنطن، دون رد أميركي واضح. وأردوغان يرأس اجتماعا أمنيا يعلن فيه نية تركيا إنشاء هذه المنطقة بشكل فردي.

٧ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٩: البيت الأبيض يعلن أن القوات الأميركية لن تشارك في العملية التركية شمالي سوريا، ويؤكد أن القوات بدأت الانسحاب من سوريا مبررا ذلك بأن تنظيم الدولة صار مهزوما. و"قوات سوريا الديمقراطية" ذات الغالبية الكردية تعتبر أن "القوات الأميركية لم تفِ بالتزاماتها" تجاهها.

* * * *



واكتملت العشريّة الحمراء

فيسبوك- ١٥ مارس ٢٠٢١

اليوم تحلّ ذكرى الثورة السورية، ويكتمل العقْد الدمويّ الذي سأسمّيه "العشريّة الحمراء"، التي كانت وما زالت أفظع بكثير من "العشريّة السوداء" في الجزائر[١].

أحاول منذ أسبوعين أن أكتب شيئًا عن هذه المأساة، إلا أني -بفضل الله- فقدت الحماس للكتابة على فيسبوك، وتخلصتُ من شهوة الكلام، لا سيما أني لو أخرجت ما في جعبتي فسأكتسب المزيد من الأعداء، وربما أفقد ما بقي من الأصدقاء.

بعض الناشطين أطلقوا حملة "لن نندم على الكرامة"، وهي امتداد لكل الشعارات الشعبويّة التي بدأت بصرخة "الشعب يريد..." ولم تنته طوال عشر سنوات.

لا شك في أنها كانت شعارات مُجْدية للتعبئة والتحشيد، لكن المصيبة -كل

(١) بدأ الصراع المسلح في الجزائر بأواخر عام ١٩٩١، وذلك بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالانتخابات وإلحاق الهزيمة بالحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطني)، فلم يجد العلمانيون المدعومون من "الديمقراطية الفرنسية" حلًا لهذا الواقع الديمقراطي المؤلم سوى إعلان إلغاء الانتخابات وسيطرة الجيش على البلاد، لتبدأ الحرب الأهلية، ويستمر القتل والتدمير حتى بدايات عام ٢٠٠٢.

المصيبة- في أن الثورة في جوهرها قامت على الشعارات فقط، بدءًا بشعار إسقاط النظام، ثم شعار تحقيق اللُّحمة الوطنية، وشعار إقامة الديمقراطية، ثم شعار تطبيق الشريعة، ووصولا إلى شعار استعادة الخلافة... إلخ. كلها شعارات بلا برامج ولا رؤى ولا وعود ولا فهم للواقع، وبلا تواضع أيضا لمحاولة الفهم.

لا فرق بين من حمل السلاح وتلذّذ بنشوة السيطرة الوهميّة على بعض المدن والقرى، وبين من اعتلى المنابر وفُتحت له أبواب القاعات الدبلوماسية وتلذّذ بنشوة الجلوس مع صناع القرار.

الجميع -تقريبا- كانوا واهمين وحالمين ومخدوعين، والجميع -تقريبا- كانوا ينتظرون وعودًا فارغة، إلى أن شنّت طائرة روسية غارتها الأولى في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٥ وأيقظتهم.

في بداية سبتمبر نفسه، كتبتُ مقالا أختصر فيه كل شيء: "كي لا تفشل الثورات التي أظهرت أسوأ ما لدينا". ويا للمصادفة العجيبة، ففي اليوم الأخير من الشهر بدأ التدخل الروسي المباشر، وبدأ مسلسل تدمير الثورة من الخارج بعدما استوفت كل فرص إنقاذها من الداخل.

لعلك تسألني: هل تقصد أن الجميع كانوا مغفلين؟ فأجيبك بأن الغالبية الساحقة كانت كذلك، بدرجات متفاوتة، وأني كنت ضحيّة مثلهم. لكن المشكلة الكبرى ليست في الغفلة، بل في إصرار الكثير منا على الإنكار حتى الآن.

لا تسألني الآن عن دماء الشهداء واحترام تضحياتهم، فأنا لم أسمح لأحد بدفعي إلى ساحة الجدل الشعبوي منذ نشرت ذاك المقال، ولستُ معنيًّا الآن بدفع هذه "التهمة"!

نعم، البعض كان يسعى للإصلاح وإيجاد الحلول، لكن كارثة الفيسبوك كانت سيفًا مصلتًا على رقابهم. لم يبق رجل وطني واحد في صفوف المعارضة إلا سلخت الجماهير جلدَه، ولم يبق اسم واحد من المعارضة إلا لعنوه ورموه في خانة واحدة مع النظام المجرم، وأعرف الكثير ممن اعتزلوا كل شيء عندما فقدوا الأمل، وانصرفوا للبحث عن مستقبل أفضل لعائلاتهم في بلاد المهجر، بدلًا من هدر طاقتهم وما بقي من أعمارهم في ثورة يقودها الفيسبوك.

لن أكتب رأيي ولا شهادتي الآن، وعندما أكتبها فمكانها الكتب والمقالات المطوّلة وليس في المقاهي الافتراضية التي يسود فيها التعصب والجهل والسفاهة.

أما إذا سألتَني عن شعار "لن نندم على الكرامة" فسأقول لك: استيقظ أرجوك، فالشعب السوري هو أقل شعوب الأرض كرامة منذ عشر سنوات، وإلى أجل غير مسمى، سواء على أرضه التي صار فيها غريبًا سجينًا جائعًا مقهورًا أكثر من أي وقت مضى، أو في الخارج حيث يخجل من إخراج جواز سفره من جيبه.

نعم لن نندم على كل ما قدّمناه من تضحيات لأجل كرامتنا، لكن يجب أن نندم على كل فرصة أهدرناها لاكتساب تلك الكرامة.

معالجة الكابوس الذي ما زلنا نعيش فيه لا تحتاج شعارًا آخر، ولا إسهابًا في شرح معنى هذا الشعار الرومنسي. ولا أظن أن مواقع التواصل إلا ساحات لنشر المرض، وليست لإيجاد أي علاج.

البعض يتحدثون الآن عن خطة دولية للحل، وكأن صناع القرار كانوا ينتظرون بالفعل اكتمال العشريّة قبل أن يتحركوا، وأنا لا أملك الآن أي تعليق، ولست سوى متابع محايد للأخبار، إلى أن أرى بوادر الحل على الأرض وليس في الخيال.

وجهدي الآن منصرف بالأساس للتوعية، لمساعدة الناس قدر المستطاع على تخطي تداعيات الكارثة في نفوسهم وعقولهم وعقائدهم، وربما لإنقاذ شاب واحد من الإقدام على الانتحار، أو من إلقاء نفسه في جحيم الآخرة بعدما فشلتْ وعودنا له في بناء "جنّة" على هذه الأرض!

* * * *

أحمد دعدوش



» من مواليد 1979م - 1399 هـ.

» يحمل بكالوريوس في الاقتصاد والتخطيط، وأخرى في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين، ودبلوم دراسات عليا في العلاقات الدولية.

» من أهم مؤلفاته: "ضريبة هوليود، قوة الصورة، مستقبل الخوف، حواراتي مع القرآن".

» ساهم في إعداد وإخراج العديد من البرامج والأفلام الوثائقية.

» يعمل في الصحافة السياسية والثقافية منذ 2011.

» المؤسس والمشرف العام على موقع السبيل (http://al-sabeel.net).

مقالات العشرية الحمراء

"وبما أني كنت منخرطاً في الثورة السورية على وجه التحديد، كاتباً وناشطاً، وصحفياً بطبيعة الحال، فما كتبتُه عن هذه الثوره قد يملأ سفْراً ضخماً، بل عدة مجلّدات، أما مقالات الرأي والتقارير الصحفية، فقررتُ جمعَ أهمّها في هذا الكتاب، كي تبقى حاضرة فى الذاكرة، وشاهدة على العصر، لاسيما بعدما صُدمت بما رأيتُ وسمعتُ من جهل شريحة واسعة من الشباب العرب بما حدث في سورية، بل لا أستبعد أن يجهل الجيل القادم من أبناء البلد نفسه جزءاً كبيراً من حقيقة الأحداث وخلفياتها، مع أن الشهود عليها ما زالوا أحياء".

أحمد دعدوش





